الدهر في الشعر الجاهلي والإسلامي

محمود أحمد محمد الحلبوني

٢٨٥٧

باشراف

الاستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن

نوقشت هذه الرسالة في تاريخ : ١٩٩٠/٣/٢٦ م

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في
الجامعة الأردنية

All Rights Reserved - The University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهداء

إلى والدي العزيزين

إلى كل من قدم لي عونا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفتتح

قال أبو وائل التغلبي :-

" إن الدهر لا يزودنا طمعاً إلى الفراق، ولا يرزقنا أملاً
إلا يغتالنا في يأس، ويطوفون في خاطرنا شكاً
ما عدا الرجاء أن يغيب، وغائب الآخرة أن يشهد "

البيانة والتبيين
٣ : ١٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتـــــوى

مقدمـــــة ٦

التمهيـــد : الدهر وأسماؤه في معاجم اللغـــة ١٠
معنى الدهـــر ١٠
أسماء الدهـــر ١٢

البـــــاب الاول

الدهر في الشعر الجاهلـــــــــي

الفصل الاول : مفهوم الدهر في الشعر الجاهلي ٢٢
- الدهر والانسان في الشعر الجاهلي ـ صراع الانسان مع الدهـــر ٢٣
الدهر المفني ـ الدهر المفرّق ـ الدّهر المقلّب
- علاقة الدهر بالموت في الشعر الجاهلـــي ٢٥
- مفهوم المنون وعلاقته بالموت والدهر في الشعر الجاهلي ٢٨
- الدهر وحالات الانسان بين السعادة والشقاء في الشعر الجاهلي ٣٦
- الدهروالسلطان في الشعر الجاهلي ٣٧
- الدهر وقصص الحيوان في الشعر الجاهلي ٣٨
- الدهر والمكان في الشعر الجاهلي ـ الدهر والجبال ٤١
الدهر والطلل ٤٢
- الدهر ومظاهر الطبيعة في الشعر الجاهلي ـ الدهر والسماء ٤٤
الدهر والرياح والمطر ٤٥
- الدهر الرياضي الفلكي في الشعر الجاهلي ٤٧

الفصل الثاني : صورة الدهر في الشعر الجاهلي ٥٢
- صور أسماء الدهر ٥٣
- صورة الدهر الانسان ـ الدهر المفني ـ الدهر المفسد ٥٥
الدهر المتحدّى ـ الدهر المقامر ـ الدهر الساقي ـ الدهر
صانع الثياب ـ الدهر الصائد ـ بنات الدهر وبنوه
- صورة الدهر الحيوان : الدهر الغول ٧٦
الدهر الناقة
- صورة الدهر المتواشجة مع مظاهر الطبيعة ـ الدهروالرياح ٨٣
الدهروالمطر
- صور أخرى للدهـــر ٨٨
- معالم صورة الدهر في الشعر الجاهلي ٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثانـــي

الدهر في الشعر الاسلامـــي

الفصل الاول : الدهر في الكتاب والسنة ٩٩

- الدهر في القرآن الكريم (المفهوم الرياضي الفلكي) ٩٩
- المنون في القرآن الكريم ١٠٥
- الدهر في السنة النبوية الشريفة ١٠٦

الفصل الثاني : مفهوم الدهر في الشعر الاسلامي ١١٣

- الدهر والانسان في الشعر الاسلامي : صراع الانسان مع الدهر ١١٦
  الدهر المفني ـ الدهر المفرّق ـ الدهر المقلّب
- الدهر والعلاقات الاجتماعية : الدهر وحالات الانسان بين ١٢٦
  السعادة والشقاء
  الدهر والغزل
  الدهر والشيب
- الدهروالسلطان في الشعر الاسلامي ١٣٠
- الدهر وقصص الحيوان في الشعر الاسلامي ١٣١
- الدهر والمكان في الشعر الاسلامي ـ الدهر والجبال ١٣٣
  الدهر والطلل
- الدهر ومظاهر الطبيعة في الشعر الاسلامي ـ الدهر والسماء ١٣٥
  الدهر والرياح والمطر
- الدهر الرياضي الفلكي في الشعر الاسلامـــي ١٣٧

الفصل الثالث : صورة الدهر في الشعر الاسلامي ١٤٠

- صورة الدهر الانسان : الدهر المفني ـ الدهر المفسد ١٤٠
  الدهر المتحدّى ـ الدهر الفارس ـ الذهر المائد
  الدهر الكاسي ـ الدهر المسعد ـ بنات الدهر
- صور أخرى للدهر الانسان ١٥٢
- صورة الدهر الحيوان ـ الدهر الغول ١٥٥
  الدهر الناقة
- صورة الدهر المتواشجة مع الطبيعة ـ الدهر والماء ١٥٦
  الدهر والرياح
  الدهر والأرض
- صور أخرى للدهر في الشعر الاسلامي ١٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- معالم صورة الدهر في الشعر الاسلامي ١٥٧
- خاتمـــة ١٦٢
- المصـــادر والمراجـــع ١٦٧
- ملخّص باللـغة الانجليزيـــة ١٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدّمـــــــة

الحمد لله ، والصّلاة على رسول اللّه وبعـــد :

فان الدّهر قد استهواني منذ كنت طالبا على مقاعد الدّرس الإلزاميّ، ونما فيّ أثناء الدّراسة الجامعيّـــة الأولى حتّى قُدّر لي أن أكتب فيه ، وقد رأيت أنّ الزّمن قد دُرس في الشّعـر الجاهلـي فـي دراســة عبدالإلـه الصائـغ " الزّمـن في الشعـر العربـي في مرحلـة مـا قبـل الاسـلام "، ودراسـة عبدالعزيز طشطوش " الزّمن فـي الشّعـر الجاهلـي " أما الدهـر فلـم تنفـرد بـه دراسـة • ودراسة الدّهـــر فـي الشعـر مُهمّـة فـي تبيّـن العلاقـة بيـن الشّعـراء والدّهـر ، ومهمّـة لمـا للدّهـر مـــن علاقـة بالفكـر الاسـلامـي • فللاسـلام موقـف مـن الدهـر ، وتبيّـن أثـر هـذا الموقـف فـــي الشعـر الاسـلامـي كـان محتاجـا الـى دراسـة • ولذا قامت هـذه الدّراسـة لتبيّـن مفهـوم الدّهـر فـي اللّغـة وفـي الفكـر الوثنـي القديـم ، ومفهـوم الدّهـر فـي الفكـر الاسـلامـي • ولتبيّـــن مفهـوم الدّهـر فـي الشّعـر الجاهلـي وفي الشّعـر الاسلامـي ومدى تغيّـر النظـرة الـى الدّهـــر فـي الشّعـر الاسـلامي •

وقد وقفـت هـذه الدّراسـة على معاجـم اللّغة فأفادت منهـا فـي تبيّـن مفهـوم الدّهـر ووقفت علـى الدّواويـن الشّعريّـة الخاصّـة بشعـراء الجاهليّـة وشعـراء صدر الاسـلام والعصـــر الأموي ، والمجموعـات الشعرية كالمفضليـات للمفضل الضبّـي ، والاصمعيّات للأصمعـي وكتـب الحماسة، كحماسـة أبـي تمّـام وحماسـة البحتـري وحماسـة البصـري وحماسـة الخالديين، وأفـادت مـن الكتـب التاريخيّـة والكتب التـي تهتم بالوثنيّـة القديمـة كالأصنـام لابن الكلبـي وكتـاب الطّبـرى فـي التّاريـخ كما أفادت مـن كتـب التفسيـر،منهـا تفسيـر القرطبـي وتفسيـر الفخـر الـــرازى وتفسير الزّمخشـري " الكشّـاف "، وأفادت مـن كتـب الحديـث النبـوي " الصّحـاح " وكتـــب تأويل مشكـل الحديـث ككتـاب " تأويل مشكل الحديـث " لابن قـورك وكتاب ابن قتيبـة فـــي تأويل الحديـث • وكان مـن المراجـع المهمّـة التـي اعتمـد عليهـا البحـث دراسـة الدكتـــور نصرت عبـد الرحمـن " الصّورة الفنيّـة في الشّعـر الجاهلـي " ودراسـة الدكتـور مصطفى ناصـف " الصورة الا دبيّـة " •

وقـد جاء ت هـذه الدّراسـة فـي تمهيـد وبابيـن ، وقفـت فـي التّمهيـد علـى الدّهـر وأسمائـه فـي معاجـم اللّغـة العربيّـة فذكـرت معنـى الدّهـر والفـرق بيـن الدّهـر والزّمـان وانتهيـت الـى أنّ الدّهـر غنيّ بأسمائـه ، وشقيّ بهـا •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجيء هذا التمهيد ليكشف مفهوم الدهر عند اصحاب المعاجم ، ذلك انهم لا بد أن يكونوا قد استقرأوا اللغة عندما وضعوا المعاجم ، وهذا شيء نافع ينير الطريق أمامي ، وأود أن أتبيّن فيما سيأتي الى أي مدى استطاع المعجميون أن يحيطوا بمعاني الدهر في الشعر الجاهلي والاسلامي .

ثم كان الباب الاول خاصا في " الدهر " في الشعر الجاهلي " ، ووزّعته على مدخل وفصلين ، جعلت أولهما في مفهوم الدهر في الشعر الجاهلي وثانيهما في صورة الدهر في هذا الشعر .

وكان شاغلي هو تبين مفهوم الدهر عند الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، وما كان لي أن أتبيّن هذا المفهوم من غير أن أعود الى النصوص الشعرية الجاهلية والاسلامية . وأن أستخلص منها مفهوما تجريديا معنويا يوازي المعاني التي أوردها أصحاب المعاجم . ولكن هذا المنزع لو بقي لكان قد أحال الشعر الى فلسفة ، وفقد الشعر قيمته وجماله فكان لا بد من أن أعيد لهذا المفهوم صورته

وقد توزعت مفهوم الدهر مباحث عدة ، منها ما يتصل بالدهر والانسان في الشعر الجاهلي ومنها ما يتصل بعلاقة الدهر بالموت ومنها ما يتصل بمفهوم

المنون وعلاقته بالدّهر ، والدّهر وقصص الحيوان ، وكنت بحثت في هذا الفصل علاقة الدهر بالمكان، كالطلل والجبال ، .... وعلاقة الدّهر بالمظاهر الطبيعية كالمطر والريح .

وقد كان من همّ هذا الفصل البحث في مفهوم الدّهر الذي يعني " حالات الانسان بين الخير والشّر " وفي " مفهوم الدّهر والسّلطان " وفي " مفهوم الدّهر الرّياضي الذي هو تعاقب الايّام ومرور الأزمان " .

أمّا صورة الدّهر في الشّعر الجاهلي فقد توزّعتها مباحث أهمّها ما يتصّل بصورة أسماء الدهر التي ألفيتها في هذا الشعر ومنها ما يبحث في صورة " الدّهر الانسان " وصورة " الدّهر الحيوان " وصورة " الدّهر المتواشجة مع المظاهر الطبّيعية الأخرى كالرياح والامطار والبرق " .

ثمّ كان الباب الثّاني ، وهو خاص في الدّهر في الشّعر الاسلامي ، وقد وزعته على مدخل وثلاثة فصول . أولهما في " الدهر في الكتاب والسنة وتأثيرها في مفهوم الدهر " وثانيهما في " صورة الدّهر في هذا الشعر " وكنت أخططت في هذا الباب المنهج نفسه الذي أقمت به الباب الاوّل ... ولم أغفل المقارنة بين موقعيّ الدّهر في الشّعر في العصرين فنظرت الى اختلاف مفهوم الدّهر وما ترتّب على هذا الاختلاف من تغيّر بين العصرين في تناول صورة الدّهر في الشعر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثـمّ كانـت خاتمـة هـذا البحـث لمـا احتـواه البحـث وهـي اذ توكّـد نتائـج الدراسـة لا تُغفـل أنّ الدّهـر ظاهـرة فلكيّـة تتأثّـر بمؤثّـرات شتّـى ، ومـن أيسـر الأمور أن يتجـادل النـاس فـي الدّهـر ، وأن تتوزّعهـم الأهـواء ، وأتبعـت البحـث بقائمـة المصـادر والمراجـع .

ولا يفوتنـي أن أتقدّم بموفـور الشكـر والعرفـان للأستـاذ الدّكتـور نصـرت عبدالرّحمن الـذى تفضّـل بالاشـراف علـى هـذا البحـث فأعـان خيـر العـون ، وقدّم خيـر النصيحـة ، وأتقـدّم بالشّكـر للاستاذيـن الكريميـن الاستـاذ الدكتور إحسـان عبّـاس ، والاستاذ الدكتور هاشم ياغـي اللـذين سيغنيـان الدّراسـة ، ويُقيمـان مـن أوَدهـا بملاحظـاتٍ قيّمـة ، وأشكـر الأخوة والأخوات الّذيـن خفّـوا لحضـور مناقشـة هـذه الرّسالـة وهـم لـن يعدمـوا فائـدةً ولا ثنـاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدّهر : اسم معنى ، ويرد بسكون الهاء وفتحها وهما لغتان عند البصريين،[١] اذ الفتح جريٌّ على كل اسم على وزن فعل ، وعينه من حروف الحلق لكن ابن جنّي يعارض القول بفتح هاء الدّهر ، قال : " وما أظن الشجريّ إلاّ استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف الحلقي بالفتح اذا انفتح ما قبله في الاسم .... وان كنّا لا نراه قياسا [٢] " . ولا يعضد فتح الهاء من كلمة الدّهر في المعاجم غير قول أبي النّجم الرّاجز [٣] :

وجَبَلا طال مَعَدّاً فاشمَخَرْ أَشَمَّ لا يسطيعه الناسُ الدَّهَرْ

ويمكن - لديّ - أن يُقرأ الدّهر في البيت بضم الدّال وفتح الهاء (الدُّهر) على انّها صفة للناس ، وتعني الاقوياء وهي قراءة ملائمة يمكن فهم البيت بها .

ويُجمع الدّهر على : أدهر ، ودهور ،[٤] وأدهار [٥] .

والدّهاريـر : أوّل الدّهر في الزّمان الماضي [٦] ، وقيل : إن واحد الدّهاريـر هو دهر على غير قياس [٧] وقيل : أنه جمع دهر أو دِهْرِير [٨] .

ويقال : دهر داهر ، ودهر دهاريـر : شديد [٩]

والدّهوري : الرّجل الصُّلب [١٠]

والدّهورة : جمعك الشّيء وقذفك به في مهواة . " والواو في دهورة زائدة " [١١]

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب - دهر ، الزبيدي ، تاج العروس - دهر الفيروزآبادي . القاموس المحيط - دهر

(٢) ابن جنّي ، الخصائص ، ٢ : ٩٠

(٣) اللسان - دهر . التاج - دهر

(٤) اللسان - دهر .

(٥) مسكين الدارميّ ، ديوانه ، ٤٢ .
ولم أجد هذه الصيغة من الجموع في مادة دهر في كتب المعاجم مما اطّلعت عليه .

(٦) اللسان - دهر . وتعني الدّهاريـر : المصيبة الشديدة في قول المخبّل السعدي ، أنظر الأخفش ، الاختيارين ، ١٠١ .

(٧) اللسان - دهر . القاموس - دهر .

(٨) اللّسان - دهر .

(٩) اللّسان - دهر . القاموس - دهر

(١٠) انظر المصدرين السابقين .

(١١) نفسهما .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والدّهر الغلبة والقهر. قال ابن فارس :" وسُمّي الدّهر دهرا لأنّه يأتي على كل شيء وبغلبه "[١] وابن فارس يدلّ بقوله هذا على ان كلمة الدّهر صفة الزمن ولعلّه يشير الى أن الزمن كلمةٌ أسبق في الظهور من الدهر للدلالة على اختلاف الليل والنهار وتجدد الإشارة الى أن الزمن كلمة ساميّة مشتركة في اللغات السامية،وليس الدّهر كذلك[٢]

وهذا يقود الى الحديث عن اختلاف اللغويّين في ردف الدّهر لكلمة الزّمن ، تقول بعض معاجم اللّغة : الدّهر هو الزّمان طال أو قصر[٣] والدّهر : الزّمان الطّويل وحَسْب[٤] والدّهر ألف سنة في قول[٥] ودَهْر الرّجل : مدّة حياته ، ودهر كلّ قوم زمانهم[٦].

فالخلاف قائم في ردف الدّهر الزّمان، وفي تحديد قدر الزّمان من الدّهر وقد ذكرت المعاجم اختلاف اللغويّين أنفسهم في الدّهر والزّمان ، فخطّأ خالد بن يزيد شمرا في قوله :" إن الدّهر والزمان واحد" فقال :" إن الزمان زمان الرّطب وزمان الفاكهة ، وزمان الحر وزمان البرد ويكون الزمان شهرين الى ستّة أشهر، والدّهر لا ينقطع "[٧] ولكنّ الأزهري يستدرك على خالد قوله فيذكر أنّه سمع غير واحد من العرب يقول :" أقمنا على ماء كذا وكذا دهرا ، ودارنا التي حللنا بها تحملنا دهرا ، وان كان هذا كهذا جاز أن يُقال : الزّمان والدّهر واحد في معنى دون معنى[٨]" والعرب تذكر السنة على أنها أربعة أزمنة ، ولا تقول : السنة أربعة أدهر ، وهي: ربيع ، وقيظ ، وخريف ، وشتاء "[٩].

ويذكر الازهري أن الدّهر اسم لمدّة العالم منذ ابتداء وجوده الى انقضائه[١٠]

---

(١) ابن فارس . معجم مقاييس اللغة - دهر . اللسان - دهر . التاج - دهر

(٢) دائرة المعارف الاسلامية - زمن - والالف مزيدة في " الزمان " لأثر موسيقي في مقابلة كلمة " المكان " في اللغة العربية .

(٣) اللسان - دهر . التاج - دهر . القاموس - دهر .

(٤) الأزهري - تهذيب اللغة - دهر ٦/ ٢٩٢

(٥) القاموس - دهر

(٦) الرّاغب الأصفهاني ، مفردات اللغة - دهر .

(٧) اللّسان - دهر . التّاج - دهر . القاموس - دهر ٦ : ٢٩٢

(٨) اللّسان - دهر ، التّاج - دهر .

(٩) اللّسان - دهر . الجوهري ، الصحاح - دهر .

(١٠) اللّسان - دهر . التاج - دهر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقع الدّهر - المحلّى بألف ولام - عند العرب على بعض الدّهر الأطول ، ويقع على مدّة الدّنيا كلّها [١] .

ولا نكاد نلمس فرقا بين الدّهر والزّمان لدى أبي هلال العسكريّ في كتابه [٢] ، وان وجدنا التهانويّ - وهو متأخّر - يذكر أنّ الدّهر هو الأمد الممدود ، ويُعبّر به عن كل مدّة كثيرة بخلاف الزمان فانّه يقع على المدّة القليلة والكثيرة [٣] . والدّهر في المعاجم يختصّ بما لا يختصّ به الزمان من كثرة الأسماء واقتران الدّهر في جذره "دهر" بالقهر والغلبة ، فيقال : " دَهر فلانٌ أخطب : إذْ دهاه وغلبه ، ودَهْرَهم أمر قَهَم مَدهورون " [٤] وفي حديث موت أبي طالب ، قال : " لولا أنّ قريشا تقول : دهَره الخرع لفعلت أي:أسلمت " [٥] ويرد الدّهر بهذا المعنى في قول ليلى الاخيليّة [٦] :

نحن قَتَلْنا المَلِكَ الجَحْجاحَا دَهراً فَهِجْنا به أَنْواحا

ويرد الدّهر بمعنى الطّيش والقوّة غير المحكّمة في قولهم : دَهْورَ الحائط:دفعه فسقط ، والواو في دهور زائدة [٧]

- ٢ -

أسماء الدّهر في معاجم اللّغة :-

من أسماء الدّهر ما يَصبّ في مجرى القهر والغلبة ، مثل : العصر ، والحِرْس والمنون ، والنّازلة ... ، وهي مواضع ليست من الحمْد في شيء ، وتزخر بمعاني الشدّة والاعتصار والإنقَاص . ومن أسماء الدّهر ما ينظر الى الدّهر بوصفه لفظا لتركيب مطابق وموضوعي لظاهرة طبيعية هي:مرور الأيام وتكرار الليل والنهار وتتابعهما .

---

(١) ابن دريد - جمهرة اللّغة - دهر .

(٢) الفروق في اللّغة - ١٨٤ .

(٣) التهانوي - كشّاف اصطلاحات الفنون - دهر

(٤) أبو عثمان البرقيطي ، الأفعال ، ٣ : ٢٩٨ .

(٥) اللّسان - دهر . الصّغاني ، التّكملة والذّيل والصّلة لكتاب تاج اللّغة - دهر والخرَع : الدّهشة والخوف .

(٦) ديوانها ، ٦١ .

(٧) الصّحاح = دهر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدّهر النّازلة :

من أسماء الدّهر ، النّازلة ، قال ابن منظور : "والعرب تخصّ الدّهر بالثّبور فتقول : بؤسا للدّهر وتبّا له ، اذا ما نزلت بهم فادحة أو عاضلتهم كريهة حتّى غدا الدّهر في إحدى معانيه يعني النّازلة"! (١)

ويكون النّزول للخير والشّر ، وانّما يمتاز نزول الخير عن نزول الشّر باقتران نزول الشر بحرف الجر " الباء " (٢) والنّزول سواء في الرّحمة والعذاب إذا سبقه حرف الجر " على " فنقول : نزلت عليهم الرّحمة كما نقول : نزل عليهم العذاب واذا أُطلقت "النّازلة" من غير وصف دلّت على الشدّة والمصيبة الثّقيلة المعجزة (٣) .
والعرب أطلقت "النّازلة" على الدّهر لما تعتقده من أنّه الطارق بالحوادث النّازلة بهم .

الدّهر الدُّولة :

الدّولة : الدّاهية من الدّواهي (٤) وهي من الإدالة : الغَلَبَة فيقال : اللّهم أدلني على فلان : انصرني عليه (٥) .
والدّولة : هي الدّهر لما بين الكلمتين - الدّهر والدّولة - من معنى الغَلَبَة .
وأمّا قولهم الدّهر دُول (٦) فإنه على أن الدّهر لا ثبات به ولا قرار عليه .

الدّهر الأُبّض :

الأبض (بالفتح) الشدّة (٧) ، والأبض (بالضم) الدّهر (٨) ولعل وجه المناسبة بين الأبض والدهر هو الشدّة في كلا جذريّ الكلمتين ، وجمع الأُبض: آباض (٩) وهذا الاسم وَرَد في الشّعر الجاهلي (١٠)

الدّهر الحَرْس :

الحَرْس : السّرقة ليلا . حرَس الابل : سرقها . (١١) وقد تعني الحرْس الحِفاظ

---

(١) اللّسان - دهر - نزل
(٢) اللّسان - نزل - وانظر الصافات الاية ١٧٧
(٣) اللّسان - نزل
(٤) الزّمخشري - أساس البلاغة - نزل
(٥) اللّسان - دول
(٦) المصدر السابق - دول
٠٧ المصدر السابق - أبَض
٠٨ المصدر نفسه
٠٩ المصدر نفسه
٠١٠ ديوان امريء القيس ، ٠٣١٩
٠١١ اللّسان - حَرس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحرس بالمكان : أقام به ، ومثله : أزمن ، وأدهر [١]
ومنه البناء الأحرس : القديم أتى عليه الحرس : أي الدهر [٢] والحرسان : الليل والنهار [٣]
وأقام درجا من الدهر زمانا مثل حرسا ، وجمع حرس أحرس [٤]

الدهر السبت :

يعني السبت : القطع [٥] ، ولعله أطلق على الدهر لأنه " يقطع الأعمار ويوفي الآجال " [٧] .
ويسمى الليل والنهار بابني سبات [٦] والدهر سبات أي : قطاع [٨] والسبتات : الرجل الداهية [٩]
وورد السبت اسما للدهر في الشعر الجاهلي والإسلامي .

الدهر العصر :

العصر : المنع والشدة [١٠] . والعصر الدهر [١١] . والعصر الوقت من النهار وقيل هو العشي [١٢] والعصران : الليل والنهار [١٣]
وجاء فلان على عصار من الدهر : على حين [١٤]
ولعل وجه المناسبة الذى يجمع بين الدهر والعصر هو الشدة والاعتصار في معنى الكلمتين .

---

(١) القاموس - حرس
(٢) قطرب - علي بن المستنير ، الأزمنة وتلبيات العرب في الجاهلية ، ٤٠
(٣) اللسان - حرس
(٤) الأزمنة وتلبيات العرب في الجاهلية ، ٤٠
(٥) اللسان - سبت
(٦) المصدر السابق
(٧) المصدر نفسه
(٨) المصدر نفسه
(٩) المصدر نفسه
(١٠) اللسان - عصر . التاج - عصر
(١١) انظر المصدرين السابقين
(١٢) نفسهما
(١٣) أساس البلاغة - عصر
(١٤) الصحاح - عصر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي القرآن الكريم ، جاء العصر على أنه الدّهر في تفسير بعض المفسّرين (١)

الدّهر الأوجس :

الأوجس - بفتح الجيم وضمها والفتح أفصح : هو الدّهر كله (٢) والوجس : فزعة القلب (٣)
ويقترن الأوجس بالقول : " سَجيس عُجيس " فيقال : لا آتيك سجيس عجيس أي : الابد (٤)
قال ابن السّكيت : يقال : لا أفعل ذلك سَجيس الأوجس وسجيس عُجيس الأوجس (٥)

الدّهر المسند :

المسْند : الدّعي أو الكفيل (٦) وقد ورد من اسماء الدهر قال امرؤ القيس في تهديد بني أسد (٧) :

لقلت من القول ما لا يزا م ل يؤثّر عنّي يد المسند

والعرب تُسند الى الدّهر الحوادث ، وربما سُمي الدّهر بالمسند لهذا الأمر وثمة ملاحظة في الدّهر والمسند وهي أنّ اليد تضاف الى هاتين الكلمتين ولا تضاف الى سواهما من أسماء الدّهر، ولا تضاف اليد الى الزّمن أو الزّمان لتعني الطّول والامتداد كما هو في الدّهر والمسند .

الدّهر المنون :

المنون من المنّة :النقض والامرار والقطع ، والمنون : المقطوع وهو الموت والضّعف (٨)
والمنى : قدّر الموت في قول صخر الغيّ (٩) :

لعمر أبي عَمْرٍو لقد ساقه المنا الى جَدَث يُوزى له بالأهاضب

والمنى : المنيّة (١٠) ومناه الله : ابتلاه منْيا ومنوا . ومُني بـ : ابتلي (١١) والمنون : الدّهر (١٢)

---

(١) اللّسان - عصر
(٢) اللسان - وجس . القاموس - وجس
(٣) الفارابي ، ديوان الأدب - أوجس
(٤) اللّسان - وجس . وانظر ابن الشجري : الحماسة : ١ : ٣٢٠.
(٥) اللسان - وجس
(٦) اللسان - سند
(٧) ديوانه ، ١٨٦.
(٨) اللسان - منن

(٩) ديوان الهذليين ، ق ٢-٥١-يوزى له : يرفع له الأهاضب : رؤوس الجبال ، المنا : المقدار.
(١٠) الزمخشري - أساس البلاغة - منى
(١١) اللسان - منن
(١٢) المصدر السابق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الأصمعي : وسُمّي الدهر المنون لأنه يذهب بمنّة كل شيء والمُنّة هي القوة كما تعني الضعف (١)

- ٣ -

أسماء الدّهر الرّياضي (٢) (الفلكي)

ثمة أسماء للدّهر تنظر إليه بوصْفه لفظا دالا على كرور الليل والنهار واختلافهما، ولا تحمل هذه الاسماء الصبغة المجازية بالقوة نفسها التي تحملها أسماء الدّهر الأخرى التي تعني الغلبة والقهر وهذه الاسماء تعني الدهر من حيث هو مرور الوقت وتتابعه باختلاف ليل الدّهر ونهاره .

الدّهر العَوْض :

ذكر الجوهري : " عوْض هو الأبدُ وهو للمستقبل من الزمان ، كما أنّ " قطّ " للماضي من الزّمان ، ويُبنى " عوض " على الحركات الثلاث (٣) وذكر ابن فارس : أن العوض اسم للدّهر (٤) ، وتقول العرب : عوض لا أفعل كذا ، بنصبٍ وبرفعٍ ، ويقال : إنه يجرى مجرى القسم ، ولو كان اسما لجرى بالتنوين .

وحكى بعضهم : أفعل ذاك من ذي عوض ، أي : من ذي قبل (٥) أما ابن جنّي فعدّ العوض من لفظ عوّض : وهو الدهر قال : " العوض أصل تشقّق منه العوض " وعنده : " أنّ الحروف ع ، و ، ض ، موضوع لعدم الاول وتعويض الثاني منه " ويذكر أن الدهر " إنما هو العوض لأنه مرور الليل والنهار فكلما مضى جزء منه خلفه جزء آخر يكون عوضا منه ، فالوقت الكائن الثاني غير الوقت الماضي الاول (٦) "

ورأي ابن جني في اطلاق العوض على الدّهر هو من حيث مرور الليل والنهار واختلافهما وهو رأي فيه وجاهة وقوّة .

---

(١) ابن الانباري ، شرح القصائد السبع الطوال ، معلقة الحارث بن حلزّة ٤٦.

(٢) أطلق هذه التسمية أو أشار اليها عبدالمعطي محمد ، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، ١٠٨.

(٣) الصّحاح - عوض

(٤) ابن فارس ، مجمل اللغة - ٣ : ٤٢٣.

(٥) اللسان - عوض

(٦) الخصائص : ١ ، ١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدّهـر الجديـد :

تثبت معاجم اللّغة الجديد [١] من أسماء الدّهر ، وتطلق اسم الجديدين على الليل والنّهار [٢] ، وهو من المجاز عند الزمخشري [٣] ، والدّهر من هذه الوجهة هو الفتى [٤] ، وتطلق المعاجم اسم الفتيّين على الليل والنّهار وهو من المجاز عند الزّمخشري [٥] .

الدّهـر الـدّار :

لعلّ وجه المناسبة بين الدّهر والدّار هو الدّوران في كلّ ، والدوران هو الطواف حول الشيء والعودة الى الموضع الذي ابتدأ منه [٦] وكذا تقويم الدّهر .
قال ابن منظور : الدّار : الدهر ، وذكر القول ، " الدّهر بالانسان دوّاري " قال : أي دائر به [٧] .

والدائرة تعني الهزيمة ، والسوء في أحد معانيها ، وهي بهذا المعنى في قوله تعالى : " فترى الذين في قلوبهم مرض يُسارعون فيهم يقولون نخشى أن تُصيبنا دائرة " [٨]

ويقابَل الدّوران في اللغة بالهبوط والفساد أو الامتداد والتنقل [٩] وثمة دوائر للدّهر والأيام [١٠] وتعني : الدواهي [١١] .

وأكاد أخلص من هذه الأقوال الى أنّ الدّوران هو وجه المناسبة الجامع بين الدهر والدّار ويمكن أن يكون معنى الهبوط والفساد في الجذر (دار) فجذر الدّهر وجذر الدّار لهما المعنى نفسه من حيث التغيير والإفساد .

---

(١) اللسان - جدد
(٢) اللسان - جدد
(٣) أساس البلاغة - جدد
(٤) أساس البلاغة - فتي
(٥) المصدر نفسه
(٦) اللسان - دار
(٧) المصدر نفسه
(٨) سورة المائدة ، ٥٢
(٩) ميثال إسطفان ، المعاني الفلسفية في لسان العرب ، ١٣٥
(١٠) انظر ديوان الاعشى ، ٢٤٥.
(١١) اللسان - دهر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدهـر المنجنـون :

المنجنون هو الدولاب الذى يـدور بالمـاء ، ويُوصـف الـدهـر بالمنجـنون [١] لـدورانـــه وتقلّبـه .

الدّهـر الأزلـم الجَـذع :

قـال ابن السّكيـت : أتى عليـه الأزلـم الجـذع : الدّهـر [٢] وقيـل الأزنـــم الجـذع [٣] وقالـوا فـي تفسيـر ذلـك : أنّه الأزلـم لخفتـه [٤] . وفـي المخصّص أنّـه الأزنـــم من زنمـة الشـاة وهـي الهنـة المعلقـة تحـت حنكهـا [٥] .

ونـرى معنـى الخفّـة فـي الأزنـم والأزلـم ، أمّـا الجـذع فهـو الوعـل ، وهـو الفتيّ البكـــر مـن الإبـل أيضـا [٦]

ويقـال للوعـول والظبـاء أنهـا جذعـان أبـدا لأنهـا لا يسقـط لهـا سـن [٧] ويقـــال : أودى بـه الأزلـم الجـذع : الدّهـر . وهو من المجاز ، ذلـك أن الدّهـر فتـيّ جديـد لـم يسـن فشُبّـــه بالجـذع مـن الابـل .

قال الأخطـل [٨] :

يا بِشْرُ لـوْ لَـم أكـنْ منكـم بمَنْزِلَـة ... ألقـى عليّ يدَيْـه الأزلَـم الجَـذع

قيـل : عنـى الدّهـر ، وقيـل : عنـى الأسـد [٩] ، " وزعـم يونـس أنّ الازلـم هـو الدّهـــر " [١٠]

ولعـلّ لهـذا الاختـلاف فـي معنـى الأزلـم الجذع مـا يُسـوّغـه مـن قبـل المجـاز ، علـى أنّـه يمكـن القـول بأن الازلـم الجذع هـو مـن أسمـاء الدهـر لما فيـه مـن القوّة والفتـاء .

****

(١) اللســان - منجنـون
(٢) اللسان -زلـــم
(٣) المصدر السابـــــق
(٤) نفســـــه
(٥) ابن سيـده ، المخّصـص سفـر ٩ ، ٦٩ .
(٦) اللســان -جـذع
(٧) المصدر السابـــق
(٨) ديوانـه ، ٣٦٥ وبشْـر ممدوحـه ، ذكـر فـي شـرح البيـت " وانما هـذا مثـل " ٣٦٦ .
(٩) المخصّص (٢) سفـر ٩ ، ٧٠ .
(١٠) فطرة ، الأزمنـة وتلبيات العرب في الجاهليـة ، ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي كلّ ما سبق دلالات على أن الدهر قد انبسط الى غير معنى الزمان فبعض أسماء الدّهر ممتلئة في معانيها المركزيّة بالقهر والشدّة ، ومما يتصل بالغلبة ، وهذا يذكّر بما قاله الإمام الزمخشري في الدّهر قال : والدّهر مشكوّ أبدا [1] .

والدّهر شرّ بالمعاني الصّلبة ، وثمّة مضامين تُمثّلت لتتجسّد في كلمة الدّهر كالمنون والسّبت والدّولة من أسماء الدّهر ، وهي مواضع من الذّم والشّكاية وتشوّش ضبط الدّهر في جهة متجهة،حتى حسبت أنّ المعجميين أنفسهم لم يقفوا وقفة واحدة الى الدّهر قويّة ومحدّدة .
ومجمل تفسير مواقف المعجميّين هو الإستناد الى المجاز عند من يقول بهذه الاسماء للدّهر .

والدّهر زاخر بالصور في المخيّلة المعجمية نِتاجا لهذا الاستناد ونشأةً من هذا التجوّز ، أما الزّمان فشحيح المادة في المعاجم ، وإن عُبّر بالدهر عن الزّمان غير أن الدّهر اختص بالمواضع الاكثر شقاء مما يُغري بالقول بأنّه من الأولى ان يأتي الزمان في سعة من القول ورخاء من الحديث ، والدّهر أكثر شقاء وغنىً بأسمائه .

---

(١) أساس البلاغة ـ سبت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الاول

الدهر في الشعر الجاهلي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الاول

مفهوم الدهر في الشعر الجاهلي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ١ -

يرجع أصحاب المنهج التاريخي الى الحديث عن العلاقة الحميمة بين الأدب والمجتمع ، وارتهان الأدب بالنظم السائدة والحالة العقليّة العامّة لدى الحديث عن شروط النتاج الأدبي والفنّي ، ويعدّ هذا المنهج البحث في مفهوم الجاهليّين للدّهر أمرا واجبا اذا ما شاء الدّارس معرفة صورة الدهر في الشّعر الجاهلي وتجليتها .

وفي البحث في مفهوم الدّهر في الشعر الجاهلي نرى أن لا ضرورة لأن ينطلق البحث من تعريف الفلسفة للدّهر في رؤية مفهوم الدّهر ومدى مطابقة هذا التعريف لما عليه الجاهليّون من فهم الدّهر ، ولعلّ الدّهر هو الظّاهرة الكونيّة التي ما يزال تحديد مفهومها أو تعريفها مدار اختلاف بين الفلاسفة ، وان صعوبة الوقوف الى تعريف الدّهر في معاجم اللغة لدليل على تباين الآراء فيه واشتجاراتها .

ويبدو من وجهة منطقيّة أنّ الدّهر يتحلّى بالصدق والموضوعية في أبحاث المؤرخين والعلماء ، وليس هذا من المهم في الشعر ، وان جرى الشعراء حينا على ما جرى عليه المؤرّخون باعتبار الدّهر هو تعاقب الأيام والليالي ومضيّ الاوقات وتتابعها ، ولكنّ الهوّة تبدو واسعة بين ما يتصل بهذا الدّهر - الظّاهرة الفلكيّة - وبين ما يحمّله الشعراء من مهام ينوء بها حينا ، وتثقل عليه مما هو متصل بذوق الشعراء وخبراتهم، وهذا من أمر الشعر وفنيّته ، فمعلوم أنّ الشّعراء لا يقفون في اسناد الأفعال الى القائم الحقيقي بها ، ولذا كان لهم أن يقوموا بالدهر على النحو الذى يرتضون ، والنّقاد ينظرون - بعد - في طبيعة العقلية المُشكّلة لهذا القيام ، والعناصر الداخلة فيه .

ولقد توجّه الجاهليّ في الدّهر وجهته ، فجعل الاهلاك سمة الدّهر وعنوانا عليه ، وهو توجّه يمكن أن يُقال فيه ، فالدّهر هو هذه الحركة المستمرة من المستقبل الى الماضي ، والانسان في حركته يمتد من الماضي الى المستقبل ، وهذه حركة مغايرة لحركة الدّهر مما يهيّىء الفرص لنقاط اشتباك بين الحركتين ، ومما يترك خواطر موحية يبدو معها القول بأن الدهر محايد قولا جامدا تنقصه الاثارة

ولكن، أليس الدّهر هو الغطاء المشترك للموت والحياة ؟ ، أليس يحدث فيه الميلاد والتجدد والنماء والقوّة مثلما يحدث فيه الهرم والضّعف والموت ؟ أليس هو النسيج الناهض بعناوين الحياة مثلما هو الناهض بالموت ؟ وكأنّما هي خطوط وهمية تلك التي تفصل بين الحياة والموت ، وكأنّما الموت والحياة في حدود متداخلة متشابكة ...

ولكن الشاعر الجاهلي يتابع الدهر في الموت ، ويأبى الاّ أن يُوقفه اليه، والدّهر مجال خصب ورحيب للروّى ، وهذا بسبب من أن الشاعر الجاهلي لا يحفل بالحياة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثلما يحفل بالموت ، وان بدت مواقفه العابثة الباحثة عن اللذّة كثيرة في الشّعر الجاهلي ، فهذه مواقف لحظية ، والاّ فانّ السؤال الكبير الذى يجثم على عمره هو " ما غبطة حيّ إلى الممات يصير ؟ (١) " . وهو يظنّ أنّ الدّهر هو السير الحتمي نحو الموت ، ويظن الموت هو النهاية الأولى والأخيرة ، فبه فناؤه ، ولم يكن يؤمن بحياة أخرى فنظر الى المستقبل نظرة بالغة الحنق فهذا المستقبل من الدّهر يجرفه نحو الموت ، وهذا الحنق على الدّهر كان من الشاعر الجاهلي حبّا في البقاء ، ورغبة عارمة في الخلود .

- ٢ -

الدهر والانسان في الشّعر الجاهلي

كنت قد أوردت ما ذكره ابن فارس من أنّ الدّهر يعني الغلبة والقهر، وأنه إنما سُمّي الدّهر دهرا لأنه يأتي على كلشيء ويغلبه . وهو قول تابعه فيه ابن منظور وغيره وأيّده كثير من نصوص الشعر الجاهلي ، فقد نظر الشاعر الجاهلي الى اختلاف الليل والنهار نظرة اسراف وغلو فتعدّى المنطق العلمي الذي يرى ان اختلاف الليل والنهار ، وتتابع الوقت لا يتعدى تهيئة الظروف لتغييرات محتملة ، وأنّ المستقبل ظرف مفتوح .

وآمن الجاهلي بالدهر مؤثّرا وفاعلا سالبا ، فالتقى الدّهر في كثير من نصوص الشّعر الجاهلي مع الحديث عن القهر البيئي القائم في قلة الموارد ، والمشقة في العيش ، والحياة الاجتماعية التي أفرزت الكثير من المنازعات والغارات . فنرى حاتم الطّائيّ يقول " انّ الدّهر قام بالحرب ، وان الحرب هي إحدى خطوبه . قال لابن عمه مالك يحفزه (٢)

يا مَالِ ، إحدى خُطوب الدَّهْرِ قَدْ طَرَقَتْ ... يا مَالِ، مَا أنتُمْ عَنْهَا بزَحْزَاحِ

ويرى الممزّق العبدى الدّهر يقاتل القوم ويباشرهم بسهامه ، وأن ما أصابه انّما هو من سهام الدّهر وقال : (٣)

كأنّني قد رماني الدَّهْرُ عن عُرَضٍ ... بنَافِذاتٍ بلا ريشٍ وأَفْوَاقِ

---

(١) ديوان عديّ بن زيد العبّادى ، ٨٧.

(٢) ديوانه ، ٢٥٨.

(٣) المفضّل الضبي ، المفضليات ، ٣٠٠ . أفوق : السهم الذى انكسر فوقه ، وهو موضع الوتر من رأس السّهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وامرؤ القيس يرى الدّهر يلتهم الرّجال ، ويصف الدّهر بالختور قال : (١)

ألم يُحزنك أنّ الدّهر غُول ختورُ العَهْد يلتَهِمُ الرّجالا

غير أنّ الشعراء الجاهليّين لا يمضون في هذا الاتجاه طويلا ، بل يسجّلون للدّهر بعض الحسنات ، وان كان هذا التسجيل في غير موضع الحمد فامرؤ القيس يورد الدّهر فاعلا في الأبيات الأربعة التالية وينسب له الخير وأنّه يُعطي القوم الثّراء غير أنّه يراه غير عادل في عطائه ، قال :(٢)

بينما المَرءُ شِهابٌ ثاقبٌ ضَرَبَ الدّهرُ سَناه فخَمَدْ
ولبَيْنا المرْءُ يَهوي قُدُما أفْسَدَ الدّهْرُ غِنَاه فَفَسَدْ
وبجهْدٍ يَتَنَفّى عَيْشَه عاضَهُ الدّهر ثراء فمَجُدْ
عاجزُ الحيلَةِ مُسْتَرْخي القُوى جاءَهُ الدّهرُ بمالٍ وَوَلَدْ

فهو يراه غير عادل في تقلّبه بالناس ، وغير منطقي ، ويسند اليه تقلّب شؤونهم وعدى بن زيد العبادي يرى رأي امرىء القيس فيقول (٣) :

رُبَّ مَأْمُولٍ وَراجٍ أَمَلا قَد ثَناهُ الدَّهرُ عَنْ ذاك الأَمَلْ
وفتىً من دُولَةٍ مُعْجِبَةٍ سُلِبَتْ عَنْه وللدّهْرِ دُوَلْ

ويرى بشر بن أبي خازم أنّ الدّهر يرمي بقومه من بعد نعمى الى حال بئيسة يقول : (٤)

فأَصْبَحوا بعدَ نَعْماهُمْ بِعَبأَسَةٍ والدّهْرُ يَخْدَعُ أَحياناً فَيَنْصَرِفُ

ويقول عدىّ بن زيد في الدّهر يقلّب أحوال المرء ويرمي به كل مرمى : (٥)

وكذاكَ الدّهرُ ، يَرْمي بالفَتَى في طِلابِ العَيْشِ حالاً بعدَ حالِ

وقد وجدت أنّ الشعراء الجاهليين أكثروا في الدّهر الذى يقلّب أحوالهم من خير لسوء ولم يلتفتوا الى انقلاب حالهم إلى حسن الا نادرا ، ولعل في هذا اخبار عن النفس الانسانية واشارة عنها فهي النفس التي تأبى الاّ أن تحيل تغيّر حالها الى أمرٍ غيبي فمن ذلك قول الحطيئة في قومه وقد فسد وفاقهم . (٦)

والدهرُ ليسَ بمأْمُون تُخالجُه على الأَحبّةِ والأهواءُ تَنْصَفِقُ
كانُوا بليْلٍ عصاهمْ وهيَ واحِدةٌ فأصبَحُوا وعَصَاهمْ غدوة شِقَقُ

(١) ديوانه ، ٣٠٩. الختر : أشد الغدر
(٢) نفسه ٢١٨.
(٣) ديوانه ، ٩٩
(٤) ديوانه ، ١٣٩
(٥) ديوانه ، ٧٧
(٦) ديوانه ، ٣٨٤. تخالجه : تنازعه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يرى الدّهر قد أفسد صالح أمر قومه ، وقول الجاهليين في الدّهر المفسد يؤيد أنّ الدّهر في جذره اللغوى " دَهَر " يعني الغلبة والقهر ويُشعر بأنّ الدّهر هو صفة لكلمة " الزّمن " ويؤيد هذا في وجه جليّ ما يتبدّى تاليا من أمر العلاقة بين الدّهر والموت في الشّعر الجاهلي .

- ٣ -

الدّهر والموت في الشّعر الجاهلي

يشير الشعر الجاهلي الى أنّ العرب أدركت ثنائية الرّوح والجسد، من ذلك ما قاله امرؤ القيس ، قال : (١)

ليتَ شِعْري ولَيْتَ تَبْوةٌ أَينَ صَار الرُوحُ إذْ بانَ الجَسَدْ

فهو يسأل عن الروح ومصيرها بعد أن تفارق الجسد ، ويعلم أن الموت يقع بالافتراق بين الجسد والروح .

وللعرب تصوّر في النفس ، أنّها طائر ينبسط في الجسم فاذا مات الانسان أو قُتل يطير هذا الطائر ويطوف مستوحشا يصدح على قبر الميّت . أو أن الانسان اذا مات أو قتل اجتمع الدم في الدماغ وتحوّل الى طائر هامة يهوم في السماء ، وسمّي هذا الطّير بالهامة وبالصدى وبالضّوء (٢) .

ولا نجد للعرب التصوّر الواضح حول العالم الاخر على النحو الذى جاء به الاسلام لكن ثمة ما يشير الى ايمان بعض الجاهليين بالحشر ، ومن مظاهر هذا الايمان - النّاقة - التي يشد رأسها الى الخلف وتقطع قوائمها كي لا تهرب وتُترك حتى تموت عند قبر الميّت وتسمّى " البليّة " وهي تكون عند قبر الميّت ليحشر عليها .

وهذا التصوّر للحشر لم يكن اعتقاد الجاهلية كلها ، ولعلّه جاء في قلّة من العرب مما جعل الموت يأتي في هيئة مخيفة في الشعر الجاهلي ، أى نتاجا من عدم الايمان بالحشر والبعث .

وقد ساعدت البيئة العربية والحياة الاجتماعية في الجزيرة على استفحال صورة الموت ، فالموت رَصَد للفتى حيث سلك (٣) ويدركُ النّاسَ أينما كانوا

---

(١) ديوانه ، ٧٩ . بان : من البَيْن وهو الفراق .

(٢) د . جواد علي ، المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ١٨٠ .

(٣) الأصفهاني ، الزهرة ، ٧٢ والقول لسليكة بنت السلك، وانظر حديث الاعشى عن الموت ، ديوانه ٢٧ وديوان امرىء القيس ، ٩٨ . وديوان الخنساء ، تحقيق د . انور ابو سويلم ، ٣٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الأسود بن يعفر (١) :-

إن المنيَّةَ والحُتُوفَ كلاهما (٢) يُوفي المَخَارِمَ يَرقبَان سَوَادي
لنْ يَرْضَيا مِني وَفاءَ رَهينَةٍ مِنْ دون نَفْسي طَارفي وتِلادِي

فهو يرى الموت يرقبه ، ولا ينجيه منه لا مال ولا إرث . والجاهلي مدرك للموت ولكنه يفسّره تفسيرا خاصّا ويحمل له التقديس الكبير في نفسه .

ويشير الشعر الجاهلي الى الارتباط بين الموت والدّهر ، فيذكر الشّاعر الجاهلي الصلة التي تربط بين الدّهر والموت ، وهي صلة التعليل ، فالدهر يعلّل وقوع الموت ، ويفسّره والشاعر الجاهلي يرى في الدّهر سبب الموت وعلتّه ، وعنده أن الدّهر هو السير بكل صالح الى فساد ، والدّهر يملك ناصية الناس فيزحزح لمن شاء آجالهم ، ويوفي آخرين ، قال المتلمّس في رثاء نفسه (٣)

خليليَّ إمّا مِتُّ يوماً فَوَزِّعَا منايَاكُما فِيما يُزَحْزِحُه الدّهرُ
فَمُرَّا عَلى قبْرِي فَقُوما وَسَلِّمَا وقُولا سَقَاكَ الغَيْثُ والقَطْرَياقبرُ

والدّهر مَنْ يملك قضاء الموتِ في قول قيس بن الخطيم (٤)

ومَنْ يَكُ غافلاً لَمْ يلقَ بُؤْسا يُنَخْ يوماً بساحتِهِ القَضَاءُ
تَنَاولُهُ (٥) بناتُ الدَّهرِ حتَّى تُثَلِّمُهُ كما ثُلِمَ الإناءُ

والدّهر يعجّل البؤس في قول الحطيئة ، قال لولديه وقد تمنّيا موته : (٦)

قَد عجّلَ الدَّهرُ والأَقْدارُ (٧) بُؤْسَكما فاستَغْنيا بوَشيكٍ إنَّني غانٍ

---

(١) ديوانه ، ٢٦ . المخارم : الصخور العالية ، سوادي : شخصي ، الطارف : المال يُطرَف العين
(٢) هذا على الزام المثنى الالف ، وفيه قوله تعالى " ان هذان لساحران " سورة طه ، ٦٣ .
(٣) ديوانه ، ٢٥٦ .
(٤) ديوانه ، ٧١
(٥) وتنسب للربيع بن الحقيق ، حماسة الخلديين ، ١ : ٧٢ وتروى " تعاوده بنات الدّهر
(٦) ديوانه ، ٢٧٩ .
(٧) رواية الميداني ، الامثال : " الدّهروالاحداث " ، ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتفسير هذه الرّؤية الجاهلية للدهر يقدمه قيس بن الخطيم في قوله (١) :

يودّ المرءُ مَا تَعدِ اللّيالي ... وكان فَناؤُهنّ لَه فَناءُ
كذاكَ الدّهرُ يَصْرفُ حَالتيْهِ ... ويعقِبُ طَلعَةَ الصبحِ المساءُ

فهو يرى أن الليالي من الدّهر تأخذ المرء أخذا حتى تفنيه ، وهذا الدّهر حَاتّ للقوى لدى الأفوه الأودى ، قال (٢) :

إنّما نعمةُ قومٍ مُتْعَةٌ ... وحياةُ المَرءِ ثوبٌ مُسْتَعَارُ
ولياليهِ الآلّ للقوى ... من مُداةٍ تَخْتليها وشِفَارْ
حَتَم الدّهرُ علينا أنّهُ ... ظَلَفٌ ما نَال مِنّا وجُبَارُ

فالدّهر ينال القوم جبرا وقسرا ، ويعتلي حياضهم ، ويختلس قواهم ، وهذا الدّهر هو المؤثّر في هلاك الأنفس ، وقد وُصف النّاس بالضآلة أمام قوة الدّهر في هذا الشعر ووُصف الدّهر يسلب ثوب الحياة ويهيمن على الخلق ويسير بهم نحو الهلاك . قال لبيد بن ربيعه (٣) :

تعنّى ابنتاى أنْ يعيشَ أبَوُهُمَا ... وهَلْ أنا الاّ مِنْ رَبيعَةَ أو مُضَرْ
وفِيمَنْ سِواهُم مِنْ مُلوكٍ وسُوقَةٍ ... دَعلعْ عَرْشٍ خَانَهُ الدّهْرُ فانقعَرْ

فلبيد يعلم أنّه ليس أحسن حالا ممن سبقه في أمر الموت ، ويرى الدّهر قد أفنى على من سبقه من الملوك والعامة ، ويرى موته بموتهم ولكنه يشير الى أنّ الدّهر فاعل الموت ومسبّبه (٤) .

ويرى النابغة الذّبياني الدّهر يقمر أرواح النّاس ، ولا فارّ من حكمه ومن تقديره الموت على النّاس ، ولا قادر عليه ، قال : (٥)

---

(١) ديوانه ، ١٦١ .
(٢) عبدالعزيز الميمنى ، الطرائف الأدبية ، شعر الأفوه الأودي ، ١١ . وانظر الأبيات في حماسة البحتري ، ١٧٧ . تختليها : تقطعها ، إلآل : خراب .
(٣) ديوانه ، ٢١٣ : السوقة : الرّعيّة .
(٤) انظر ايضا : ديوان الاعشى ، ١٤٥، ١٨١، وديوان طرفة بن العبد، ١٥١ . وديوان عمرو ابن قميئة ، ٣٨ ، وديوان الأفوه الأودي ، الطرائف الادبية ، ١١ ، والأخنس بن شهاب ، المفضليّة ٤١ ، المفضليّات ، ٢٠٤ ، والنابغة الذّبياني ، ١٣٠ . وديوان قيس ابن الخطيم ، ١٥٦ . وديوان امرىء القيس ، ٢٦٥، ٢١٨ ، ٣٠٩ . وديوان عدي بن زيد العبادي ، ٨٢ . وديوان ذي الاصبع العدواني ، ٣٥ .
(٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحاديثُ نفسٍ تشتكي ما برَّ بها ... ووِرْدُ هُمومٍ لم يجِدْنَ مَصادِرا
تُكلِّفُني أنْ يغفلَ الدَّهرُ هَمَّها ... وهَلْ وَجَدتْ قَبلي على الدَّهرِ قادِرا ؟
ونحنُ نُرجِّي الخُلْدَ إنْ فازَ قِدْحُنا ... ونرهبُ قِدْحَ الدهرِ إنْ جاء قامِرا

والدّهر قاهر نطوح لدى عديّ بن زيد، وهو من طحطح السابقين ، وهو لا يُعرّى من ربيعة أحدا ، قال عديّ بن زيد (١) :

إنّما الدَّهرُ لَيِّنٌ ونَطوحٌ ... يترُكُ العَظْمَ واهياً مكسُورا
فاسْأل النّاسَ أينَ آل قُبَيسٍ ... طحطح الدّهر قبلَهُم سابُورا
أينَ أينَ الفرارُ ممّا سَيأتي ؟ ... لا أرَى طائِراً نَجَا أن يَطيرَا

فلا منجاة من ريب الدّهر بالناس ، وان لان حينا ، لهم وسالم .

وفي الحديث عن الدّهر والموت نرى الحديث عن الشيب ، وهو مظهر من مظاهر الموت وعلامة عليه ، ويقترن بالحديث عن الدّهر ويجاوره ، وقد تحدّث الشاعر الجاهلي في الشيب فالتفت فيه التفاتات حزينة شجيّة ، وقال في الشّعر الأسود وجعله رمز الشباب والافتتان ، قال الأعشى يمدح لمّته أيّام شبابه ، وهي لمّة كجناح الغراب في السواد قال (٢) :

واذْ لِمّتي كَجَناحِ الغُرابِ تَرَنو الكِعابُ لاعجابِها

وذمّ الشعراء الجاهليون الشيب ، ولونه المنكر ، وجعلوه من صنع الدّهر . قال الأفوه الأودي في نزول الشيب برأسه : (٣)

إن تَرَي رأسِي فيه قَزَعٌ ... وشواتي خَلَّةٌ فيها دُوارُ
أصبحت من بعد لون واحدٍ ... وهيَ لَوْنانِ وفي ذاك اعتبارُ
فصُروفُ الدَّهرِ في أطْباقِهِ ... خِلْفةٌ فيها ارتفاعٌ وانْحِدارُ

وقال توبة بن مضرّس في تبرم النساء بالشيب ، وأن هذا الشيب مذمّة من صنع الدهر به قال (٤) :

---

(١) ديوانه ، ٦٤٠
(٢) ديوانه ، ١٣٠.
(٣) الطرائف الادبية ، ١٢، القزع : تفرق شعر الرّأس . الشواة : قحف الرّأس وجلدته الخلّة : الخفيفة ، الخلعة : ما يُخلع ويترك .
(٤) عبدالحميد المعيني ، شعر بني تميم في الجاهلية ، ٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمّا رأتْ مَا قَدْ تَفَرّغ لِمتّـــي ... مِن الشيبِ قالتْ، مَا لرأسِ أبي الجعْدِ
برأسي خطوبٌ لو عَلمتِ كَثيـــرةٌ ... يَجيء بها غيْرِي، وأطلبُها وحْـــدي
تُعدّي المُصيباتُ العَتَى وَهوَ عاجـزٌ ... وَيلْعبُ صَرْف الدّهربالحازمِ الجَلـــدِ

ويظهـر الدّهـر مغنيـًا المـال والقـوّة والجمـال ، الـى جانـب قـول الشعـراء الجاهليـيـن فـي الدّهـــر، المفرّق المهلـك والمشيب قـال علقمـة الفحـل (١) فـي ذلـك :

لَحَـا اللّـهُ دَهْراً ذَعْـذَعَ المَالَ كلّـه ... وسَوّد أَشْباه الإمـاءِ العَـــوارِكِ

وقـال الأعشـى (٢) :

وأنْكَرَتْني ومَـا كانَ الـذي نَكـــرَتْ ... مِـن الحوادثِ الاّ الشَيْـبَ والصّلَعـــا
وكـان شيءٌ إلـى شيءٍ فَفَرّقَـــهُ ... دَهْرٌ يَعُـودُ عَلـى تشتيتِ مَا جُمعـــا *

فالشعـراء الجاهليـون يرون للدهر كل شيء لا يحمـد ، وللدّهـر ينسبـون الحوادث التـي تقـع بهـم أو تقلقهـــم .

- ٤ -

الدّهـر وعلاقتـه بالمنـــون

ذُكِر المنـون علـى أنّـه الدّهـر فـي معاجـم اللغـة ، وذكـر أنّـه المـوت ، ويبـــدو أنّ للمنـون خاصّة المـوت ، فهـو يلتقي مع الـدهـر في الغلبـة والقهـر فيشجـر عـن الجـذر الثلاثي " منـو" ، ومنـه " المانـي " والمنـا " وتؤدي اللفظتـان معنـى القدر ومنه "المنيّـة " وهـــي الموت في معنى من معانيهـا ، فالمنيّـة ليست المـوت وحسْب في جميـع معانيهـا ، يظهـر هـــذا

---

(١) ديوانه ، ١٣٠ . ذعذع : فـرّق . العوارك : جمع عارك ، وهي المرأة الغاسلة .
(٢) ديوانه ، ١٠٥ .
(٣) " منـو" أو " منـي " أو " منّ " ، وهذا علـى قاعـدة القلـب الصرفيـة اذ يقلب احـــد المِثلين واوا أو يـاء ثمّ تعَلّ الوار أو اليـاء بقلبها الفـا . وانظـر التفصيـل في "الممتـــع فـي التصريـف" لابـن عصفـور الاشبيلـي ، ١ : ٣٩٥ . وانظـــر : اللسـان - منّ ، منـــو .

* أوجّه أن تكون جُمعـا بالضـــم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قول أبي ذؤيب الهذلي (١) :

"مَنايا يُقرّبن الحُتوفَ لأَهْلِها جِهَاراً ويَستَمْتِعْنَ بالأَنَسِ الجبَلِ

فالمنايا يقرّبن الحتوف ، وليست هي الحتوف ، وقد تنبّه ابن بريّ الى ذلك فقال عند ذكر البيت : فجعل المنايا تُقرّب الموت ، ولم يجعلها الموت " (٢)

ومثل هذا يقال في بيت الأسود بن يعفر : ان المنيّة والحتوف " والمنايا تجيء مشخّصة في الشعر الجاهلي ، قال أبو ذؤيب الهذلي (٣) :

يَقولونَ لي لَوْكانَ بالرَّمْلِ لم يَمُتْ نُخَيْبَةُ والطرّاقُ يكذب قيلُهُا
ولو أنني استودَعتُه الشمسَ لارتقَتْ إليه المنايا عَيْنُها أو رَسُولُها

وعلى كل حال تأتي الكلمات " المنى " و " المنيّة " و " المنايا " بمعنى الموت . فاذا كانت كذلك ، فما هو المنون وعلمنا أنّه يشجر عن الجذر الثلاثي " منو" نفسه ، وهو الجذر الذي تشجر عنه المنيّة والمنى والمنايا ؟ وما علاقة المنون بالدّهر ؟

يرى الدكتور جواد علي أنّ المنون تؤدي معنى الدّهر والموت ، ويشير الى أن الساميين الأوائل من القبائل العربيّة البائدة كانوا قد وحّدوا بين القدر والمنايا وبين الدّهر (٤) .

ويُذكّر هذا الرّأي بما قاله الأصمعي من أنّ الدّهر هو المنون لأنه يذهب بمُنّة كل شيء وينقصه ، والمُنّة هي القوة . (٥)

والشّعراء الجاهليون آخذون بهذا الرّأي في الدّهر ، يقرنون فعله بفعل المنون ، فالدّهر والمنون سائران عندهم في غاية واحدة ، يذكر أبو دواد الإيادي الدّهر والمنون وقد سلّطا على قومه حتى بادوا ، وطار طائر الهام في مقابرهم . قال : (٦)

---

(١) ديوان الهذليين ج١ : ٣٨ .

(٢) د . نصرت عبدالرحمن ، الواقع والاسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي ٧٧ .

(٣) ديوان الهذليين ج١ : ٣٣

(٤) د . جواد علي ، المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٦ : ١٥٨ .

(٥) سبقت الاشارة اليه ، أنظر التمهيد .

(٦) الأصمعي ، الأصمعيات ، ١٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشَبابٌ كأنّهم أُسْدُ غِيلٍ ... خالَطَتْ فَرطَ جَدّهِمْ أحلامُ
وكهولٌ بَنَى لَهُم أوّلُوهُمْ ... مَأثُراتٍ يَنَا بُها الأقوامُ
سُلّطَ الدّهرُ والمَنونُ عليهمْ ... فَلَهُم في صَدَى المَقابِرِ هامُ
وكذاكُم مصيرُ كلّ أُناسٍ ... سوفَ حَقّاً تُبلِيهِمُ الأيّامُ

فالمنون والدّهر يلتقيان في غاية المنيّة .

ويرى ذو الاصبع العدواني أن ما أصابه من عجزه وكبر سنّه انما كان من أهداف المنون به قال (١) :

أصْبَحْتُ أقذفُ أهْدافَ المَنُونِ كَما ... يَرمي الدَّرِيئةُ أدنَى فُوقةِ الوَتَرِ
إنّ السِنينَ إذا قارَبْنَ مِنْ مِئَةٍ ... لَوَيْنَ مِرّةَ أحْوالِي عَلَى مَرِرِ

وهو يجمع بين فعل المنون وفعل السنين ، ونجد مقابلة صريحة بين المنون والدّهر في تقدير السوء والموت للانسان في كثير من نصوص الشعر الجاهلي التي يجيء بها الدّهر والمنون ، منها ما قاله أبو دؤاد الايادى (٢) :

انّما النّاسُ فاعلمَنْ طَعامٌ ... خَبِلٌ خَابِلٌ لِرَيْبِ المَنونِ
عَطِفَ الدّهرُ بالفَناءِ وبالمَوتِ عليهِم يَدورُ كالمَنْجَنونِ

وثمة نصوص تخلع على الدهر صفات المنايا ، فنرى المنيّة والدّهر متشابهي التأثير في الشعر الجاهلي ، ذلك من حيث كونهما يتداخلان في غاية واحدة هي المنيّة إذْ يقول أعشى بني أسد في الدّهر والمنيّة (٣) :

فَلا يغرّك مِنْ دَهْرٍ تَقلُّبُهُ ... إنّ المنيَّة بالفتيانِ تَنْقَلِبُ

فهو يقابل بين المنية والدّهر في التقلب بالناس ، ويقول عدي بن زيد العبادى (٤) :

مَنْ رأيت المَنونَ خَلّدنَ أمْ مَنْ ... مَنْ ذا عَليه مِنْ أن يُضام خَفِيرُ

فهو يبادل بين المنون والمنيّة ، وكأنّ هذا كلّه واحد في المحصّلة النهائيّة ويؤيد هذا جمع الأعشى المنون والدّهر في تقدير السوء ، قال : (٥)

أأنْ رأتْ رَجُلاً أعشى أضرَّ بِهِ ... رَيْبُ المَنونِ ودَهْرٌ مفْنِدٌ خَبِلُ

---

(١) ديوانه ، ٦٦ . الدريئة : موضع يهدف به على شكل حلقة ويتعلم الرامي الطعن عليها . المِرّة : القوّة .

(٢) حماسة البحتري ، ١٢٣ .

(٣) الصبح المنير ، ٦٥ نقلا عن مصطفى جاووك ، الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، ٩٨ .

(٤) ديوانه ، ٨٧ . الخفير : المُجير

(٥) ديوانه ، ١٩٤ وتنسب لأُحَيْحة بن الجلاّح ، والعنت : الشّدة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشّعراء الجاهليون كثيرا ما ينسبون الى الدهر ما ينسبونه للمنون . قال عديّ بن زيد في نفوس الناس (١)

تظنّ أنْ لَنْ يُصيبَها عنتٌ الدّهرِ وريْبُ المَنونِ ضائِبُها

فهو يجعل الريْب للمنون ويقابله بعنت الدّهر ، ومثل هذا قول لبيد بن ربيعة وجعل للمنون ريبا (٢) :

لعَمر أبيكِ الخير يا ابنةَ أرْبَدٍ لقد شَفّني حُزنٌ أصابَ فأوْجَعا
فراقُ أخٍ كانَ الحَبيبَ فَفاتَني وَوَلّى بِهِ ريْبُ المنونِ فأسرَعا

فهو يخاطب ابنة أخيه " أرْبَد" ويرى ان ريب المنون هو من اغتال والدها وأسرع في منيّته وهو الحبيب المقرّب الى نفسه .

وثمة قول آخر في اغتيال المنون للأنفس والشباب عند أبي ذؤيب ، وقد رأى أنّ المنون قد ذهبت بشبابه ونكست رأسه ، قال (٣) :

عَلى أنَّها قالتْ رَأيْتُ حُوَيْلِداً تَنكّر حتّى عَاد أسودَ كالْخِدْلِ
فَتِلْكَ خُطوبٌ قَدتَعَلّت شَبابَنا زَماناً فتُبلينا المَنونُ* وما نُبلي

وينسب عديّ بن زيد الصروف للمنون كما هي منسوبة للدّهر في كثير من الشعر الجاهلي . قال في المديح (٤) :

ونَدامَى لا يَفْرَحُون بما نَالُوا ولا يَرْهَبُونَ صَرْفَ المَنونِ

وهذا مما يدل على أن المنون والدهر واحد في جواز نسبة الريب او الصرف أو العنت اليهما في الشعر الجاهلي ، ونكاد بما تقدّم من نصوص أن نقول أنّ الدّهر والمنون يسيران في معان متشابهة في الشّعر الجاهلي .

---

(١) ديوانه ، ١٧٣
(٢) ديوانه ، ١٧٣
(٣) ديوان الهذليين ١ : ٣٧
(٤) ديوانه ، ١٨٦ .

* وفي رواية " الخُطوبُ " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٥ -

المنيّة والمنون والدّهر و" منـــاة "

سبق أن ذكرت أن المنيّة تظهر مشخّصة في الشعر الجاهلي ، وربما دعا هذا القول الى التسليم بوجود عقيدة تدعم هذا التشخيص ، وتؤكد هذا المجاز ، لا سيما أنّ الجاهليين لم يكونوا يؤمنون برسل تستوفي أرواح الخلق وهم الملائكة المكرمون الموكّلون بقبض أرواح الذين انتهت آجالهم حسب ما قدّر الله وأراد في الفكر الاسلامي . وان كنت غير مضطر للجزم بوجود ربّ للمنيّة في الفكر الجاهلي مهمته استيفاء الأرواح غير أنّني لا أجد من النّصوص التاريخية ما يؤكد هذا الحكم أو يخالفه في العصر الجاهلي ، وأجد دلالات تجسّد سطوة المنيّة في الشعر الجاهلي ، وتصوّر النفسيّة المأزومة تجاهها .

ولعلّ تشخيص المنيّة في الشعر الجاهلي آت من عجز الجاهليين عن تصوّر الاله الواحد الكلّي القدرة ، اله الموت والحياة في آن ، وهذا العجز هو نفسه الذى دفع الجاهلي الى الايمان بالهة متعددة، والى أن يُوكل لكل مهمة معلومة وخاصة .

والجاهلي لم يكن ينسب الى الله ما يعتقد قبحه كالموت ، فهو ان آمن بالله آمن به واقيا ومعينا ، ونسب الى غير الله الموت أو القتل الذى يقع به وبقومه قال الحارث بن ظالم في قومه (١)

أصابَهُمُ الدّهرُ الخَتورُ بخَتْرةٍ ... ومَنْ لا يَقِ اللهُ الحوادِثَ يَعْثُرِ

فهو يجعل اصابة قومه على الدّهر ، والبيت يُظهر ايمان الشاعر بوقاية الله وعونه .

والنصوص القرآنية تُظاهر ايمان الجاهلية بآلهة متعددة وجعْلها لكل اله وظيفة فكثير من أسماء هذه الالهة هو من أسماء المعاني ك " يغوث " و " يعوق " و" ودّ" ، فهذه أسماء لها دلالات وصفيّة ، مما يُغري بأتباع الرأي القائل بأن صفة الاله في الجاهلية كانت تحل محل الاله وتجسّم في اله آخر (٢) وهذا الرأي يفسّر التعدد الكبير للالهة في الجاهلية .

وفيما يخص " منـاة " نجد أن هذه الالهة ذات علاقة مع المنيّة في جذر الكلمة " منو" ، ويؤكد هذا الرأي ابن جني ، قال " مناه الصنم ، هي بالهاء ، وهي من الفعل

---

(١) أبو عبيدة ، مَعْمر بن المثنّى ، أيام العرب ... ، تحقيق البيّاتي ، ٢٦٨.

(٢) ديتلف نيلسون ، التاريخ العربي القديم ، ترجمة فؤاد حسن ، ٢٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" مناه " يمنيه إذا قدّره ، وذلك لما كانوا يعتقدون بها " (١)

فالله في الجاهلية هو الخالق والرازق كما تخبرنا نصوص القرآن الكريم ، ولعلّ لها آخر يوكلون اليه مهمة الاماتة ، ولعله " مناة " ، ففي التأريخ لمناة تورد الدراسات ان الالهة " مناة " هي الهة الموت والقدر عند البابليين ، وقد " عبدتها الأنباط باسم " منوتو" واللحيانيّون باسم " منت " (٢) ويرى فلهاوزن أن " مناة " مشتقة من الكلمة الآرامية " منانا " وتعني " النصيب " . و " مناة " هذه كانت على ساحل البحر من ناحية المشلل، " قُديد" بين المدينة ومكة ، وأن العرب كانت تعظّمها وتذبح لها . (٣).

وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، قال تعالى " ومناة الثالثة الأخرى " (٤) وقد خصّ الاخباريون عرب المدينة والأزد وغسّان في ابتاء " مناة " على أنهم يقفون مع الناس المواقف كلها ، ولا يحلقون رؤوسهم فاذا نفروا أتوا " مناة " وحلقوا رؤوسهم وأقاموا لديها لا يرون لحجّهم تماما الاّ بذلك" (٥) .

وكانت العرب لا تُولي ظهورها لها اجلالا ورهبة ، ويظهر أنّها كانت تُفدي نفسها بالذبح لها . ويذكر الدكتور جواد علي أن عبادة هذا الصنم كانت منتشرة انتشارا واسعا بين القبائل فنجد التسمية به مثل " عبدمناة " و " عبدة مناة " و " زيد مناة " و " سعد مناة " و " أوس مناة " بين عدد من القبائل المختلفة مثل " تميم " و " طيء " و " كنانة " (٦) وتُظهر هذه التسميات انتشار عبادة " مناة " بين قبائل العرب الكبرى .

ولعلّ ممّا يؤيّد أن مناة تمثل الهة المنيّة والمنايا ذكر " منى" مع " جد " في العهد القديم فقد كان لهذا شأن كبير من حيث معرفة الصنمين ، فالأول هو لمعرفة المستقبل وما يكتبه القدر للانسان من منايا ومخبآت لا تكون في مصلحة الانسان ، والثاني

---

(١) المبهج ، ٣٧ نقلا عن مصطفى جاووك ، الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، ٣٦.

(٢) أنظر : سبتوموسكاتي ، الحضارات الساميّة القديمة ، ١٣٠ . و الدكتور جواد علي المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٦ : ٢٤٥.

(٣) ابن الكلبي ، الأصنام ، ١٨ . وانظر : المفصّل : ٦ : ٢٥٠ . ووديع بشور ، الميثولوجيا السورية ١٢٦.

(٤) سورة النجم : ٢٠.

(٥) المفصّل : ٦ : ٢٤٨. وانظر : المحبّر لابن حبيب ، ٣١٦ وتفسير الطبري ٢٧ : ٣٢.

(٦) المفصّل : ٦ : ٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" جدّ لمعرفة المستقبل الطيّب والحظ السّعيد فهما يمثّلان جهتين متضادتين " (١)

وقد سقت هذا كله لاخلص الى أن " مناة " تمثّل المصير والقدر الذى يكرهه الانسان ، وقد وجدت أن الفعل من " مناة " يُعنَى بالابتلاء فمَنَاهُ يُمنيه : اذا ابتلاه بالسوء ، وأن المنون والمنيّة تشجر عن الجذر نفسه .
ولعلّ هذا التصوّر " لمناة " يشير بالاعتقاد في المنون اعتقادا يوازي أو يماثل هذا الاعتقاد فيها . وهذا الحكم لا يزيد على درجة التدليل ولا يرقى الى درجة البرهان القاطع ، فقصارى ما يمكن عمله هو الاجتهاد في توقّع مدعوم بالادلّة ، وهذا الاجتهاد يدفع اليه ما آمن به الجاهلي من نسبة الخير الى اله ونسبة الشر إلى اله آخر . وأنّ المنيّة تبادلت الموقع مع المنون ، وبينهما صلة كبيرة بالصنم " مناة " وتدل الصفات المشتركة بين المنون والمنيّة على أنّ المنون والمنيّة في غاية متداخلة ، وهذا أمر أكّده كثير من نصوص الشّعر الجاهلي (٢)

ولعلّ المنون هو صفة الدّهر ، وهو نتاج من تلك الازاحة التي أخذ بها الجاهلي وهذه الازاحة تجعل المنون امتدادا لارادة مناة الهادفة الى تحطيم سير الانسان على الارض ، وهذا آت من تصوّر الهين ، واحد للموت وآخر للحياة ، وهذا أمر ينهي عنه فكر التّوحيد الذى يُظهر أن الرغبة والرّهبة انّما تكون لاله واحد هو اله الموت . كما أنّه اله الحياة قال تعالى : " وقال الله لا تتّخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد ، فايّاى فارهبون " (٣) .

وكانت الجاهليّة تثق بالله على الدّوام ، ولا يسندون اليه فعل الموت بهم ، بل كانوا أقرب الى تأليه ما يرهبون قال تعالى " يدعون لمن ضرّه أقرب من نفعه " (٤) وهذا يذكّر بما ساد في عصر ما قبل الاسلام من اعتقاد أنّ ابليس هو خالق الجان والسباع والعقارب (٥) . وقد عرفت فارس مثل هذا التّنازع بين الهين تمثّل في " أهورا مازدا " اله الخير " و " أهريمان " اله الشّر ، وهذه الثّنائية معروفة في الحابئة التي تقول بقدم الاصلين " الله " و " الشيطان " (٦)

---

(١) المفصّل ، ٦٥ : ٢٥٠ .

(٢) أنظر مثلا : ديوان الاعشى : ٦٥ ، ٣٣١ . وديوان عديّ بن زيد : ٨٧ . ديوان سويد ابن كراع : ٥٩ . ديوان ذي الاصبع العدواني : ٥٥ ، ٩٩ . ديوان قيس بن الخطيم : ٧٠ .

(٣) سورة النمل : ٥١ .

(٤) سورة الحج : ١٣ .

(٥) تفسير الطّبري ٢٣ : ٦٦ . تفسير القرطبي ٧ : ٥٢ .

(٦) الجاحظ ، الحيوان ، ٦ : ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تجلّى هذا في التراث الاسطوري الشرقي في الصّراع بين ملك الظلمات والعالم السفلي ، واله الخير [١] .

وأكاد أخلص الى أنّ عصر ما قبل الاسلام كان يتيه بين الهيمن كل منهما يمثل عالما خاصا ، ولعل للمنون صلة بهذا الصراع والتيه ، فقد جاء المنون في مواضع خاصّة من الشكاية والذم أهّلته أن يكون امتدادا لعالم اله الشّر، ونتاجا منه وجاءت تسميته بالمنون التي تعني الموت .

ويدعم هذا مجيء المنون، الذي هو الدّهر،في مجازات تشخّصه وتجيء به مجسّدا مثل قولهم " يد المنون " .

والمنون هو الدّهر ، وفي اللّغة نجد المجازات التالية " قفا الدهر "، ويد الدّهر" ورأس الدّهر " و " است الدّهر " [٢] واللغة ان نظرت بارتياح المجاز الى هذه الأقوال فما أظنّها ترتاح لقولهم " است الدّهر " [٣] . ثمّ ان هذه المجازات في الدّهر تأتي في كتاب الثعالبي ضمن سلسلة من الاستعارات "كبد السماء " و " أنف الجبل " و " حاجب الشمس " [٤] و " عين الماء"وهي استعارات تشير الى أسماء مقدّسة ومعبودة في الجاهليّة ، مثل : السّماء والشمس .

ويشير الدّهشة أنّ هذه الاستعارات لم تأت للزمن أو أي لفظ آخر غير الدّهر والمنون في التعبير عن اختلاف الليل والنهار .

وان هذه الاستعارات تُشكّل في مجموعها صورة من يد ورأس واست وقفا ....." وهي صورة مفزعّة،ولا هيئة معلومة لها على وجه دقيق ، وهي توحي بالافتراس ويؤيد هذا مجيء الدّهر في صورة حيوان له أسنان عُمثّل حادّة في الشعر الجاهلي .

وعموما فانه ليس من الضروري أن يذكر الشعراء اسم صنم حقيقي يرمزون

---

(١) خليل أحمد خليل ، مضمون الأسطورة في الفكر العربي : ٢٠.

(٢) ابن سيده ، المخصص ، ٢ : سِفر ٩ : ٦٩.

(٣) أنظر قول ابن رشيق بفساد الاستعارة في قولهم " است الدّهر " العمدة ١ : ٢٦٩.

(٤) الثعالبي ، فقه اللغة : ٣٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـه للدّهـر أو المنـون حتـى يمكّننـا مـن القـول بأنّ الدّهـر قد دخـل فـي دائـرة الاعتقـادات الوثنيـة ، بـل لعـلّ فـي الصفـات التـي أسندهـا الشاعـر الجاهلـي الـى الدّهـر ما ينبـئ عـن موصـوف وثنـي .

- ٦ -

الدّهـر وحالات الانسـان بيـن السّعادة والشّقـاء

نجد الدّهـر أخـذ امتيـاز الظـرف الـذى يحـوى حالات الانسـان بيـن السـعادة والشّقاء وهـذا وضـع خـاص يختلـف عمّـا ألفنـاه فـي كثيـر مـن نصـوص الشعـر الجاهلـي فـي الدّهـر فالدّهـر قد اقتـرن فـي الغالـب بالسـوء ، ووصـف بأنّـه قـوّة خارقـة غيـر عادلـة ، ولا حكيمـة ويظهـر الدّهـر مَفسـدا لمـا هو صالـح ، ويغيّـر النـاس والأشيـاء الـى حالـة سيّئـة .(١)

غيـر أنّـه فـي قول ذي الأصبع العدوانـي اشـارة للدهـر الـذى يحـوى حالات الانسـان بيـن السّعـادة والشّقـاء فهـو يتذكّـر ربّـا ، وهمـا مجموعـا الشّمـل تطيعـه ربّـا ويطيعهـا ، ويبيّـن ما تغيّـر اليـه حالـه مـن الشّجـن ، قـال :(٢)

يَـا مَـنْ لِقَلْـبٍ شَديدِ الهَمِّ مَحْـزونِ ... أَمْسَـى تَذكّـر رَيّـا أُمّ هَـارونِ
فـإنْ يكـنْ حُبُّهـا أمسـى لَنـا شَجنـاً ... وأَصبحَ الرّأي مِنهَـا لا يُوَاتِينِي
فَقَـد غَنِينـا وشَمْلُ الدّهـر يَجْمَعُنَـا ... أَطيعُ ربّـا وَرَيّـا لا تُعَاصِينِـي

ومـن الأمثلـة التـي قالـت بالدّهـر الـذى يحـوى حالات الانسـان خيرهـا وشرّهـا قـول المرقّـش الأصغـر :(٣)

لابنـةَ عَجْلان بالجَـوِّ رسُـومُ ... لَمْ يتَعفّيْـنَ والعَهْدُ قديـمُ
لابنـةَ عَجْلانَ ، إذْ نَحُـلّ معَـاً ... وأيُّ حالٍ مـن الدّهْـرِ تَسْـدومُ

---

(١) أمثلـة هـذا الأمـر كثيـرة منهـا : ديـوان الحـارث بـن حلـزة : ٢٠ . ديـوان زهيـر ٢٨٥ . ديـوان الأعشـى : ١٣١ ، ١٣٥ . الأسـود بـن يعفـر : ٢٦ . وانظـر : الوحشيـات : ١٦٢، وطبقـات فحـول الشعـراء : ٢٨ .

(٢) المفضـل الضبـي : المفضليـات : ٢٤٩ . ومخطوطـة مُنتَهـى الطلـب ١ : ٢٩٨ .

(٣) ديـوان ذى الأصبـع العدوانـي : ٩٧ . والمفضليـات : ١٦٣ ، وتنسـب لخفـاف بـن ندبـة السّلمـي : ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قول حاتم الطائيّ : (١)

غَنينا زَماناً بالتَّصعلُكِ والغِنى ... كَما الدَّهرُ في أَيّامِه العُسْر واليُسرُ
لِبسْنا صُروفَ الدَّهرِ لِيناً وغِلْظَةً ... وكُلّاً سَقاناه بِكأْسَيهما الدَّهْرُ

وفيه دلالة واضحة وصريحة على أنّ الدّهر يلبس خيره كما يلبس شرّه كما أنّ البيت يحظى بوضع نادر ، ففي البيت ينسب الشّاعر اللين والغلظة الى كأسي الدهر وهو أمر لم يسبق اليه ، والمعروف هو اضافة الموت الى كأس الدّهر والشؤم من هذه الكأس .

وفي قول النّابغة الذّبياني دلالة على أنّ الدّهر يأتي بالخير كما تأتي ايامه بالشر ، قال : (٢)

قُل للهُمام وخَيرُ القَولِ أَصْدَقُه ... والدّهر يُومِضُ بَعد الحَال بالحَال

أي يأتي بالخير تارة وبالشر أخرى .

وهذه الامثلة التي صدقت باحتواء الدّهر للخير والشر قليلة، لا تُقاس الى الكثير الذى جاء من الشعر الجاهلي والذى قيل في اسناد الاقدار المكروهة والأحداث المذمومة الى الدّهر .

- ٧ -

الدّهر والسلطان في الشعر الجاهلي :

يغدو مفهوم الدّهر أكثر ثراء عندما يحاور الناس ويخرج عن أن يصف الشاعر به الواقع المادّي ، الاعتيادي ، وفي الشّعر الجاهلي يتغذّى الدّهر بمفهوم السلطة والمُلْك . قال قُرادة بن حنش الصارديّ الغطفانيّ (٣) :

وذَلك أَنَّ اللهَ فَضَّلَ مَازِناً ... وبدرا على ذُبيانَ بالفَضْل أَجمَعا
هم حَاربُوا النعمانَ في عَصْرِ دَهْرِه ... فما اسطاعَ أن يَسْتَطلع الحربَ مطلعَا

فقد ذكر الاستاذ الشيخ محمود شاكر ان الدهر هنا هو السلطان ، دهر النعمان بن منذر وقال : " وهذا معنى أغفلته كتب اللغة " (٤).

---

(١) ديوانه ، ٢١٣.
(٢) ديوانه : ٢٥٨.
(٣) الزبير بن بكّار ، نسب قريش وأخبارها : ١٩.
(٤) المصدر السابق حاشية البيت الثاني ، ١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد آنسني هذا الرّأي ، إذ يقول الشاعر " عصر دهره " ولا يُعقل أن يضيف العصر مع الدّهر في هذه العبارة الواحدة فلا بد أنه قصد بـ " دهره " شيئا آخر غير " عصره " ويبدو أنّ الاستاذ محمود شاكر قد تأثّر بمفهوم الدّهر الذى يعني الجبروت والحكم . وإنّ الدهر من وجهة النظر الوثنية جدير بهذا الوصف ، ومعادل مكثّف للملامح الأساسية للسلطة من حيث القوة والتقلّب ، وقد يعبّر عن السلطة بالزمان ، قال عمرو بن يغوث التميمي * :

إذا كان الزّمانُ زمانَ تيْسم ... وعُكْلٍ فالسَّلامُ عَلى الزّمانِ
زمانٌ صَار فيه العِزُّ ذُلّاً ... وصَار الزِّجُّ قُدّامَ السِّنَانِ

- ٨ -

الدّهر وقصص الحيوان في الشعر الجاهلي

لا يقصر الجاهلي الحديث عن فعل الدهر بالانسان ، بل يسوق قصص الحيوان الذى يُخني عليه الدّهر بالموت ، ويشركه مع الانسان في المصير الواحد . وكثيرا ما يأتي هذا القصص في الرثاء ، وهذا القصص من الاصعدة التي تؤدّى وظيفة تتسق مع نظرة الشّاعر الى الدّهر المحيط بالجميع . وقد يبدأ الشاعر الحديث في فعل الدّهر بالحيوان مباشرة أو يقدّم له بحكمة وغالبا ما يأتي هذا الحديث بعد قوله " والدهر لا يبقى على حدثانه " اذ يسرد الشاعر بعد هذه العبارة قصة الحيوان فيصِفه بالقوة ، ويصف موطنه بالمنعة أو العلوّ (١) ، ثم يسرى الدهر يبتزّه أو يبيع له أحد الصائدين يُرسِل في جسده السّهام ، أو طائرا جارحا يختِل قلبه .

ومن الحيوانات التي جاء ذكرها في هذا القصص وربط الشاعر الجاهلي مصرعها بفعل الدّهر وعمل يديه حُمُر الوحش والخُنس ، والوعول . واللقوة والاسد وجمع أكثر هذه الحيوانات قول الشاعر مالك بن خالد الخناعي في حديثه عن الموت مع بيّ ، قال (٢)

يا مَيُّ ، إنّ سِباعَ الأرضِ هالكةٌ ... والأُدْمُ ، والعُفْرُ ، والآرامُ ، والنّاسُ
والخُنْسُ . لَنْ يُعجزَ الأيامَ ذُو حَيَدٍ ... بمُشْمَخِرٍّ به الظِّيّانُ والآسُ
في رأسِ شَاهِقةٍ أنْبُوبُها خَضِرٌ ... دُونَ السّماءِ في الجَوِّ قِرْنَاسُ
... يا مَيُّ إنْ تَفْقِدي قَوماً ولِدْتِهِم ... أوْ تَخْلِسيهِمْ ، فإنّ الدّهْرَ خَلّاسُ

---

(١) أنظر مثلا ديوان النمر بن تولب ، ١٠٥ . ديوان الهذليين / ق ١ : ٥، ١٠، ١٩٣، ٢٤٠ ق ٢ / ٥٢، ٥٥ ، ٦٣ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٦٣ ، ٢٨٠ . ق ٣/ : ١ ، ٧٤ .

(٢) ديوان الهذليين / ق٣ : ١٠ والأدم والعفر والآرام والخنس : حيوانات جبلية وصحراوية الظيان والآس : من النباتات . قرناس : مرتفع .

* حماسة البحتري ، ٣٣٤ . وأظنه ليس شعرا جاهليا . الزّج : مؤخر الرمح . السنان حدّه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغالبا ما يصطفي الشاعر الحيوانات القوية ثم يذكر اصابة الدهر لها وحطّه لها وقد يذكر الشاعر الزمان مرة ويجعله رديف الدّهر في الريب ، كما قال لبيد بن ربيعة في النسر والأسد وفعل الزمان بهما : (١)

أو ذو زوائد لا يُطاف بأرْنُسِهِ ... يَنْشَى المُهَجْهَجَ كالذّنوب المُرْسَلِ
في نابه عِوَج يُجاوِزُ شِدْقَهُ ... ويُخالِفُ الأعلَى وراءَ الأسفَلِ
فأصابَه ريبُ الزّمان فأصْبَحَتْ ... أنيابُهُ مثلَ الزُّجاجِ المُنْصَلِ

وتجدر الاشارة هنا أنّ لبيد وان رأى الزمان رديف الدهر بالريب والتصرف بالحيوان الا ان هذا نادر في شعره ، والاّ فانّ مدار قوله في الاهلاك على الدّهر ، ومردّه اليه ، ثمّ انه وقع نادر في الشعر الجاهلي كلّه ، ويشاركه ذو الاصبع العدواني ، فمثلا يقول بطوفان الزمان على قومه في أبيات مُلْبَكة ، قال : (٢)

جَزِعت أمامة أنْ مَشيتُ على العَصَا ... وتذكّرت اذ نحن م الفِتْيان
فَلَقَبْلُ ما رَام الإلهُ بِكَيْدِهِ ... إرَماً وهذا الحيّ مِنْ عَدْوانِ
بَعْدَ الحُكومةِ والفَضيلةِ والنُّهَى ... طاف الزّمانُ عَليْهِمْ بِأوانِ

ثم هو يقول بطوف الدّهر عليهم ، وجدبه بلادهم :

جدَبَ البلادَ وأعقمَتْ أرحامُهُم ... والدّهرُ غيّرهُم مَعَ الحَدَثانِ
لا تَعْجَبنّ أمامُ مِنْ حَدَثٍ نَرَا ... فالدّهْرُ غيّرنا مَع الأزْمانِ

وقوله هذا غير دقيق فهو لا يكاد يفرّق بين الدّهر والزّمان في إحداث الريب بالناس ولا يفرّق بين الدّهر والحَدَثان (٣)

ويذكر أبو خراش الهذلي قصة مصرع الأرنب ، ويجعله بيد صقر قوي يختل قلبها بعد أن يسقط عليها من السماء ، وهذا قصص حقيقي على انه يبدوه بقوله في هذا الصقر قليل الريش وعدم بقائه على الدّهر : (٤)

---

(١) ديوانه ، ٢٧٢ : المهجهج : المفزّع ، والذّنوب : دلو الماء . والبيت الثاني يعبّر عن شدة بأس هذا الاسد فأسنانه عوج متخالفة وهذا أشدّ في القطع .

(٢) ديوانه ، ٩٩-١٠٠ . غرا : اعترى . الحكومة : الحكمة .

(٣) أنظر ايضا قوله في الدهر في ديوانه ، ٥٥-٥٧ .

(٤) ديوان الهذليين ، ق ٢ : ١٢١ . وتنسب القصيدة في الاختيارين لساعدة بن جؤية انظر الاختيارين ، ٦٦٤ .

أزْعَر الساقين : الصقر . محزئلات : مرتفعة متجمعة . أقبّ : حمار الوحش والجدائد أتُنه ، عول أشرج : وديان بعيدة الغور : أشرج جمع شرج : منفسح الوادى . اختل اصطاد مخادعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَرى الدَّهرَ لا يبقى عَلى حَدَثانِهِ ... أَنُسَبَّ تُباريهِ جَدائِدُ حُوَّلُ
ولا أَمعَرَ الساقينِ ظَلَّ كأَنَّهُ ... على مُحْرِنْلاتِ الآكامِ نَميلُ
رأى أَرْنَبَاً من دُونها غولُ أَشْرُجٍ ... بَعيدٌ عليْهِن السَّرابُ يَزولُ
فأَهْوى لَهَا في الجَوِّ فاختَلَّ قلبَهَا ... صَيودٌ لحبّاتِ القُلوبِ قَتُولُ

فهو وان كان قصصا حقيقيا الا انه يؤدي مهمة تدعم مفهوم الدهر في الشعر الجاهلي وتنوّي من مكانته :

- ٩ -

الدّهر والمكان في الشعر الجاهلي

لا يقصر الشاعر الجاهلي فعل الدهر السيء على الانسان وحده ، بل يقول بعبث الدهر بالحيوان والنبات ، ويقول بأثره في المكان وعبثه فيه غير انه يرى ان الدهر يترك أثرا أقل في المكان لان المكان اكثر قدرة واحتمالا . ولذلك نجد الشاعر الجاهلي يتمنى ان يكون جزء من المكان - حجرا أو صخرة [1] . وهذا لاعتقاده أن حوادث الدهر تنبو عنه قال تميم بن مقبل [2] :

ما أطيبَ العَيْشَ لو أنَّ الفتى حَجَرٌ ... تَنْبُو الحوادثُ عَنْهُ وهو مَلْمُومُ

يتمنى ان تمرّ به الحوادث مرورها عن حجر صُلب مجتمع فلا تشتّه ولا تفزّعه ومثله قول زهير بن أبي سلمى : [3]

ليتَني خُلقتُ للأَبَدِ ... صَخْرَةً صَمّاءَ في كَبَدِ

وقول النّمر بن تولب [4]

ألا يَا ليْتَني حجرٌ بوادٍ ... أَقامَ ، وليتَ أُمّي لَم تَلِدْني

وهذه الأماني هي من سوء الظن بالانسان وقدرته وامكاناته .
والشاعر الجاهلي يرى أن الدهر يقف عند الحجارة والأثافيّ ، ويمر عنها دون أن يلوي بها [5] .

وقد تتبين علاقة الدهر بالمكان بشكل جليّ في حديث الجاهلي عن الدّهر والجبال ، والدّهر والطلل كما يظهر تاليا :

---

(١) انظر ديوان لبيد ، ١٠٨ ، ديوان سلامة بن جندل ، ٥٨ . المفضليات ، ٢٣٨.
(٢) ديوانه ، ٢٧٣. ملموم : مجتمع
(٣) ديوان شعره : ٢٨٨.
(٤) ديوان شعره : ١١٨.
(٥) أنظر شعر زهير ، ٢٢٠ . عبيد بن الأبرص : ١٠٥. النقائض ٢ : ٦٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدّهر والجبال :

رأى الشاعر الجاهلي الانسان يموت ويبلى وتغتاله الأيام . أمّا الجبال فتبقى بعده على حالها لا تتغيّر ، وقارن بين حال الانسان وحال هذه الجبال ووجد أنه قصير الحوْل أمامها ، وظنّ أن الدهر لا يستطيع أن يخرم منها بالرغم من قوّته وهيمنته . فخرج الى مذهب فريد في الدّهر والجبال، وهو خلود هذه الجبال وفناء الانسان وخبوّ سنائه [١] .

قال لبيد بن أبي ربيعة [٢] :

بَلينا وَما تَبلى النُجومُ الطَوالِعُ ... وتبقى الجبالُ بعدَنا والمَصانِعُ
وما المرءُ إلاّ كالشهابِ وضَوْئِهِ ... يحورُ رماداً بعد إذ هُوَ ساطِعُ

وقد يخرج الجاهلي حينا عن هذا المذهب فيذكر أنّ الدّهر يُودي بالجبال مبالغةً لا اعتقادا فمن ذلك قول عدي بن زيد : [٣]

ثم أضحوا أخنعَ الدّهرُ بهم ... وكذاكَ الدّهرُ يُودي بالجِبالِ

وقول الأعشى في القمّة القويّة [٤] :

قَدْ يتركُ الدّهر في خَلقاء راسِيَةٍ ... وَهْياً ، وينزل منها الأعصم الصَّدَعا

غير أنّ الغالب انهم يمجّدون الجبال ويظنّون خلودها ، ويؤكد هذه النظرة لديهم قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نَسْفاً فيذرُها قاعاً صفْصفاً [٥] وهذا النفي لأي نوع من التكريم للجبال يشيء بأن نظرة اخرى كانت تسود قبل السؤال عنها .

ثم ان العرب تمدح الثابت فتصفه بالجبل في المنعة [٦] والقرآن الكريم يجبرْ هذه النظرة في قوّة الجبال وصلابتها . قال تعالى ((وإن كان مَكرُهم لِتزولَ منه الجبّال))[٧] في الحكاية عن مكر الكافرين . وقال((لو أَنْزلنا هَذا القرآنَ على جَبَلٍ لرأيْته خاشِعاً مُتَصدّعاً مِنْ خَشية اللّه))[٨] في قوّة الجبل وقسوته .

---

(١) ديوان امرىء القيس : ٢١٨ . ولبيد : ١٦٨ .
(٢) ديوانه : ١٦٨ ، المصانع : مجامع المياه .
(٣) ديوانه : ٧٧ .
(٤) ديوانه : ١٥١ . الخلقاء : الصخرة الملساء . وهْياً : تصدّعا : الأعصم : الظبي : بياضٌ في قوائمه وسائره احمر .
(٥) سورة طه : آية ١٠٥ .
(٦) انظر مثلا : ديوان امرىء القيس ، ٣٠٩ . وشعر أبي زبيد الطائي ٤٢ . وحماسة البحتري : ٣٤٠ ، قول فروة بن مسيك المُرادي " .
(٧) سورة ابراهيم آية : ٤٦ .
(٨) سورة الحشر آية : ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشاعر الجاهلي قد يرتقي بأحد ممدوحيه الى مستوى في العلو كبير ، ولكنه لا يصل به الى ان يقارع الدهر إلاّ أن يكون هذا الممدوح بلغ حدّا لا تستطيعه البشر . قال الحارث بن حلّزة يصف قومه بالمنعة وأنهم كالجبال في مقارعة المنون وهو الدّهر :

وَكأنّ المنون تردي بنا أرْ ... عَنَ جَوْنٌ يَنْجَاب عَنْه العَمَاءُ
مُكْفَهِرّاً على الحَوادِثِ لا ... تَرْتوه للدّهْرِ مؤيَدٌ عَصْمَاءُ

فهو يشبّه شدّة منعة قومه بالجبل الذى لا يبلغ السحاب أعلاه لسموّه وعلوّه ، لا تضعفه داهية من دواهي الدهر . ولا توثّر في شموخه . وكأني بهم يظنون أن في الجبال منجاة عن دواهي الدهر . غير ان بعض الشعراء الجاهليين يرى ان لا نجاة ويرتد عن القول بمنعة الجبال قال كعب الديوسي . (٢)

وَإلاّ نَجاةٌ لا مَرىءٍ مِنْ مَنيّةٍ ... وَلَوْ حَلّ في أعْلى شَماريخ " يَذْبُلا "

الدّهر والطّلل في الشّعر الجاهلي :

كان الطلل في الشعر الجاهلي الموقع المرشح لاستكناه حقيقة الموت ومقارنتها بحقيقة الحياة . ونجد الحديث عن الدهر وتعفيته الاثار قويا في موقع الطلل ويقترث بالحديث عن الموت والرحيل . وتفسير هذا ان الطلل هو المجمع المكشف للزمان والمكان ، وهذا المجمع مكشوف للعيان ، يعيد الى الشاعر الماضي الذى تولّى ، فيقف مقارنا وهو يبصر طلله كاسفا ، وينظر أثر نسج الرياح عليه شجيا ، ولسوء اعتقاد الشعراء بالدهر أفنوا بالطلل الى مشارف وعرة فاختزلوا الدهر الى أن يكون الماضي الذى تخلّف وحسب . ولم ينتبهوا الى أن الدهر ممتد ، وأن الطلل مكان للحياة وكأنّهم آيسون منه ، فقد يعود هذا الطلل مرحا للأحبة وجنّة تجمع مضارب خيامهم .

وأظنّ أن ما يمنعهم من الانتباه الى ان الطلل مكان مرشح للحياة أنهم اعتمدوا نظاما اقتصاديا واحدا يتمثّل في انتجاع مواطن الكلأ والسّرى ، ومتى خلا المكان من مبتغاهم رحلوا عنه فاركين ، ومضوا ينتجعون مكانا آخر .

والشاعر الجاهلي لا يحمّل الطلل وأهله مسؤولية التغيير أو الفساد ، بل يحمل هذا على الدّهر قال عبيد بن الأبرص : (٣)

---

(١) الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ١٥٩ . أرعن : الجبل الذى له رعن . الجَوْنُ : الأسود الانجياب : الانكشاف . مؤيد : الداهية العظيمة من الأيد : القوة : مكفهراً : عابساً .
(٢) السجستاني ، المعمّرون والوصايا : ٢٩ .
(٣) ديوانه : ١٠٥ ، الرِمّن : الحجارة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دارُ حَيٍّ أصابَهُمْ سالفُ الدّهـ ... ـرِ فأَصبَحتْ ديارُهم كالخِلالِ
مُقْفِراتٍ إلاّ رَمادا غَبيّاً ... وبَقايا بِنْ دِمْنَةٍ مِخْلالِ

وقال زهير بن أبي سلمى : (١)

لِمَنْ طَلَلٌ براقةَ لا يَرِيمُ ... عَفَا وأَحالَه حِقْبٌ قَدِيمُ
تَحَمَّلَ أَهْلُهُ عَنْه فبانُوا ... ونِي عِرْصَاتِهِ مِنْهُم رُسُومُ

والطلل قد يكون طلل المحبوبة ، وقد يكون طلل القبيلة (٢) ، والشاعر يذكر ان الدّهر قد أخنى عليه ، كطلل ميّة لدى الذبياني : (٣)

يا دار ميّة بالعلياء فالسّنَدِ ... أقوتْ وطالَ عليها سالفُ الأَبَدِ
أضحت قفارا وأَضْحى أهلُها احتَمَلُوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

وقد يكون طللا يعرفه الشاعر ويشتاق له ، ولكنه يتناسى أهله كما في قول امرىء القيس : (٤)

لِمَنْ طَلَلٌ دِرِيتِ آيُهُ ... وغَيَّرَه سالِفُ الأَحْرُسِ
تُنَكِّرُه العَيْنُ من حادِثٍ ... ويَعْرِفُه شَغَفُ الأَنْفُسِ

أو قول جران العَوْد (٥) :

هَلْ أَنتم واقِفونَ على السُّطُورِ ... فَتَنْظُرَ ما بَقِيَّ مِنَ الدُّهُورِ
تُرِكنَ بِرَجْلَةِ الرَّوْحاءِ حتّى ... تنكّرت الدّيارُ على البَصِيرِ

وقد يأتي حديث الشعراء في الطلل سعيدا في بدايته غير أنهم غالبا ما يُطرقون رؤوسهم أسفا فكل هذا آلَ إلى ذكرى ، وغيّره الدّهر ومن ذلك أيضا قول النّابغة الذبياني (٦)

عُوجوا فَحَيّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدّارِ ... ماذا تُحَيُّونَ مِن نُؤْيٍ وأَحْجارِ
وَقَد أَرانِي ونُعماً لا هِيَيْنَ بِهِا ... والدهرُ والعيشَ لم يَهْمُم بإمرارِ

---

(١) ديوان شعره ، ٢٠٦ : عرصاته : ساحاته .
(٢) انظر المثال السابق لعبيد بن الأبرص
(٣) ديوانه ، المكتبة الثقافية ٣٠.
(٤) ديوانه ، ٣٢٩ ، والرواية هنا رواية المستدرك على دواوين الشعراء العرب ، مجلة معهد المخطوطات . مجلد ٣٠ : ٦٩٨.
(٥) ديوانه ، ٢٤.
(٦) ديوانه (تحقيق طاهر بن عاشور) : ١٤٥. ونصب " والعيش " على أن الدهر لم يمرّ عيشي . والا لكان " لم يهمّا " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن القول أنّ الحديث عن الطلل والدّهر حديث يحمل همّ الشاعر ويجسل رؤيته للحياة والموت ، ونظرته للوجود [1] .

— ١٠ —

علاقة الدّهر بمظاهر الطبيعة

الدّهر والشمس والنجوم

رأى بعض الدارسين ان عبادة اهل الجاهلية للاصنام هي عبادة للكواكب في الأصل . وهذه الالهة الاصنام وان تعدّدت فانها ترجع الى ثالوث سماوي هو الشمس والقمر والزّهرة [2] ، وفي الشعر الجاهلي ما يشعر بهذا الامر وتتبين علاقة الدّهر بعالم السّماء بما يربطه الجاهلي بين الموت وحركة الشمس ، وكأن الموت يدور على الناس بدوران الشمس وتقلبها .

قال قسّ بن ساعدة [3] :

مَنَعَ البقاءَ تقلُّبُ الشَّمْسِ ... وطُلوعُها مِن حيثُ لا تُمسي
وطلوعُها بَيضاءَ صافيةً ... وغُروبُها صَفْراءَ كالسُّندُسِ
تَجْري عَلى كَبِدِ السَّماءِ كما ... بَجَري حِمامُ المَوْتِ للنَّفْسِ
لَمْ أدْرِ ما يَقْضيهِ حُكْم غَدٍ ... ومَضَى بِفَصْلِ قَضائِهِ أمسِ

فهو يشير الى تقلّب حركة المرء واقداره ، ويربط هذا التقلب بدوران الشمس وهو دوران لأمر سوءٍ ، وانه ينجم عن هذه الحركة اختلاف الليل والنهار والذي هو الدّهر كما يعرّفه أبو ذؤيب الهذلي [4] :

هل الدّهرُ الاّ ليلةٌ ونَهارُها ... والاّ طلوعُ الشَّمسِ ثمّ غِيارُها

ويجعل ذو الاصبع العدواني الليّل والنّهار معادلي الدّهر ، ويشير الى أن الدهر مهلكٌ ويربط هذا بحديثه المُلبّس عن عالم السماء قال : [5]

---

(١) أنظر مزيدا من الامثلة : ديوان عبيد بن الابرص ، ٠١٣٠ عمرو بن معدي كرب (الطرابيشي) ، ٠٤٥ النابغة الذبياني ، ١٦ ، ٠١١٥ وزهير بن أبي سلمى ، ٠١١٤ وخفاف بن ندبة ، ٠٨٣ وطرفة بن العبد ، ٨١ ٠ ودريد بن الصمة ٦٩ وانظر : ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ٠٢٢٦

(٢) المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٦ : ٠٥٠ تفسير ابن كثير ، سورة فصلت اية ٣٧ ٠والقاضي عبدالجبار المعتز لي ، المُغني في العدل والتوحيد ، ٥ : ٠٢٣٠

(٣) احمد الربيعي، قس بن ساعدة، حياته، خطبه، شعره، ٠٤٠٧ الورْس :العُصْفُر .

(٤) ديوان الهذليين : ق١ : ٠٢١

(٥) ديوانه، ٥٥ـ٠٥٧ الليط : اللون ، ملتبك : مختلط، سبُع : خاف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهْلَكنا اللّيلُ والنهارُ مَعـــــا ... والدّهرُ يَغدو مُصَمِّما جَذَعَـــــا
والشّمسُ في رأسِ فَلْكِها انتَصَبَتْ ... يَرْفَعُها في السماءِ ما ارتَفَعَـــا
والنّحسُ بجري أمامَها صُعُـــداً ... وسَعْدُها أيَّ ذاكَ مَا طَلَعَـــــا
فيسعدُ النائِمَ المدّثِرَ بالسَّعدِ ... ويلْتَـــي الشّقاءَ مَنْ سَبُعَـــــا
مَا إنْ بها والأُمورُ من تَلَـــــفٍ ... ما حُمَّ من أمْرِ غَيْبَةٍ وَقَعَـــا
يُفرِّقُ الجَمْعَ بعدَ ثَرْوَتِـــــهِ ... ما شاءَ مِنْ بَعْدِ فُرْقَـــةٍ جَمَعَـــا
كما سَطا بالآرامِ عادٌ وبَـــــادَ ... حِجْرا وأزكى لِتُبَّعٍ تَبِعَـــــا
فليسَ فيما أصابَني عَجَـــــبٌ ... إنْ كنتُ شيْباً أنكرتُ أو صَلَعَـــا

فهو يشير الى انقلاب السعد والنحس تبعا لامر السماء ، ويربط هذا بالدهر . وتظهر النجوم في الشعر الجاهلي خالدة على الدهر ، قال لبيد بن ربيعة [1] :

فهل نُبِئْتَ عن أَخَوَيْنِ دَامـــا ... عَلى الأَيّامِ إلا ابنَيْ شُمَـــامِ
والا النَّرْقَدَيْنِ وآلَ نَعْـــشٍ ... خَوالِدَ ما تُحدِّثُ بانْهِـــدَامِ

فهو يرى ان فراقه لأخيه " أَرْبَد " كان لا بدّ واقعا ، فما من أخوين يدومان على الدهر الا ان يكونا جبلين أو نجمين ، كجبلي شُمام وكالفرقدين ، وهذا من قياس الجاهلية على ذات الانسان وحركته ومشاهداته في الطبيعة ، وهو قياس مدحوض بآي القرآن في النجوم اذ يحدّث القرآن عن انكدار النجوم انتثارها ويشير الى عدم بقائها أو خلودها ، قال تعالى ((واذا النجومُ انكدَرَتْ)) [2] وقوله تعالى ((واذا الكواكبُ انتثرت)) [3] ويشير القرآن الى انه ليس يبقى غير وجه الله الخالد قال تعالى : ((كلُّ مَنْ عليها فان ، ويبقَى وجهُ ربِّكَ ذُو الجلال والإكْرَام)) [4]

فهذه الآيات تشير بأن اعتقادا آخر سادفي النجوم قبل الاسلام .

علاقة الدّهر بالمطر والرياح :

قد يقصر الشاعر الجاهلي في حديثه عن الديار واندثارها القول في الرياح والمطر وقد يشمل الدهر بذلك الحديث ، قال عبيد بن الأبرص [5]

---

(١) ديوانه ، ١١٣ .

(٢) سورة التكوير : آية ٢

(٣) سورة الانفطار : آية ٢

(٤) سورة الرحمن : آية ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) ديوانه ، ١٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا دار هِنْدٍ عَفاكِ كلُّ هَطَّالِ ... بالجَوِّ مثلَ سَحيقِ اليُمْنَةِ البَالي

وعبيد هنا يرى اندثار الديار بيد المطر ، حتى أحالها للبلاء وكأنما هي بُرْدٌ يمانيّة بالية ، وقال النابغة الذبياني (١) :

وقفتُ برَبْعِ الدارِ قد غيَّر البِلى ... معارِفَها والساريَاتُ الهَواطِلُ

وقد يقرن الشاعر الدهر مع الرياح والمطر في جملة الاسباب التي تُعَفّي الرسوم وتغيّر الديار والطلل ، قال عنترة العبسي (٢) :

عَفَّى الرُّسومَ وباقيَ الأَطْلالِ ... ريحُ الصَّبا وتَجَرُّمُ الأَحْوالِ
لَعِبتْ بِهَا فِيهَا وأَخْلَقَ رَسْمُهَا ... وَكِيفُ كُلِّ مُجَلْجِلٍ هَطَّالِ

غير أنّ الديار في قول امرىء القيس لم تعفِ لأن الرياح الشمالية كانت تغيّر ما تصنعه الرّياح الجنوبيّة (٣) :

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسَقْطِ اللِّوى بينَ "الدَّخولِ" فَحَوْمَلِ

فتوضح فـ " المقراة " لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل

أمّا زهير بن أبي سلمى فيرى أثر الرياح ويقرّبه في تغيير الديار وان كان يظن ان التقدم لم يعفها ، ويقرن الى الرياح الامطار ، قال (٤) :

قِفْ بالديار التي لم يَعْفُها القِدَمُ ... بَلَى وَغيَّرَها الأَرْواحُ والدِيَمُ

وأثر الرياح والمطر والدّهر سيء دائما (٥) في الشعر الجاهلي وهذا يؤكد أن الشاعر الجاهلي وقف من الظواهر الطبيعية موقف عداء وخوف ، ولعل السبب يعود الى ان الجاهلية لم تكن بعدُ قادرة على السيطرة على الرياح أو المطر أو اكتشاف ما يُمكّن من الوقوف امام افساد الرياح والامطار .

---

(١) ديوانه ، ١١٥ .
(٢) ديوانه ، ٣٣٦ . الوَكِيفُ : قطر السحاب .
(٣) ديوانه ، ٨
(٤) ديوان شعره ، ١٠٠ ، الأرواح : الرياح . الدِيَم : جَمْع ديمة وهي السحابة .

(٥) أنظر مثلا : ديوان امرىء القيس ، ٢٢٧ . ديوان عبيد بن الأبرص ، ٢٢١ . ديوان النابغة الذبياني ، ١٣٧/ ١٤٩، ١٩٦ . ديوان شعر زهير ، ١٢٢، ١٧٧، ديوان بشر ابن أبي خازم ، ٢٠ ، ١٩٤ . وطرفة بن العبد ، ٨٢ . والأعشى : ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمّ انه تتداخل الصفات التي تُمنح للرياح مع الصفات التي تُمنح للدهر في الشعر الجاهلي ، ولعل ثمة رابطاً يُجيز هذا المنح وأظنّه الاهلاك والانساد في كلٍ كما يرى الشاعر الجاهلي ، كما تتداخل صفات الدهر والمطر . قالت جنوب الهذلية في تشبيه المصيبة التي يبعث بها الدهر كما تقول - بالدفعة الكبيرة من المطر (١) :

بَيْنا الفَتى ناعِمٌ راضٍ بِعيشَتِهِ سَبْقٌ لهُ بِنْ دَواهي الدَّهرِ شُؤْبُوبُ

فالشؤبوب الدفعة الغزيرة من المطر وهي للدهر كما ترى .

والدّهر يمنح صفة التقلّب والدوران بالانسان ، وهذا الدوران هو للرياح والاعاصير قال المهلهل بن ربيعة في تقليب الدهر لامر الانسان ودورانه به (٢) :

غلبُونا ، ولامَحالة يومـــا يَقلِبُ الدَّهْرُ ذاكَ حالاً فحالا

وقال عمرو بن أسد الفقعسي (٣) :

رَأَيْتُ مَوالِيَّ الأُلى يَخْذُلُونَنـي عَلى حَدَثانِ الدَّهْرِ إذْ يَتَقَلَّبُ

وهم يقولون بالتقلب للدهر ، وهو تقلّب مذموم قال امرؤ القيس في تقلب الدهر (٤) :

والفَتَى بيْنا تَراه ناعِمـاً قَلَّبَ الدَّهرُ غِنَاهُ فانقَلَبْ

وهذا البيت من قصيدة طويلة له ، يذكر فيها فعل الدهر ودورانه بالانسان من الفتوّة الى الشيب ومن النضارة الى الذبول ، غير أنه لاينتبه الى أن الانسان في تقلّب مراحله يمر من ضعف الى قوّة كما يمر من قوّة الى ضعف ، وهذا من سوء ظنّ الجاهلية بالدّهر .

- ١١ -

الدّهر الرياضي "الفلكي" في الشعر الجاهلي

في الحديث عن الدّهر في الشعر الجاهلي ، نجد الهوّة تتسع بين الدهر الذى يعني اختلاف الأيام والليالي وتعاقبهما وبين الدّهر الذى قدّمنا . ويكاد لا يبدو مما تقدّم ما يمتّ بصلة الى التصوّر المنطقي الرياضي للدهر وكما يصوغه العلم أو كما هو ظاهرة طبيعية . فهل في الشعر الجاهلي تصوّر موضوعي للدهر ؟ وهل جرى الشعراء على اعتبار ان الدهر هو تتابع الوقت ومضيّه دون أن يحمّل هذا التتابع من ذات الشاعر

---

(١) ديوان الهذليين ، ق ٣:١١٥ ، قد تكون " سَبْق " أو " سِيق "
(٢) شعره ، ٢٥٧ .
(٣) الحماسة البصرية ١:٢٤٤ .
(٤) ديوانه ، ٢٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخبرتـــــــه ؟

لقد ذكر الشعراء الجاهليون الدهر كما يصوغه الرياضيون ، فذكروا - مرّةً من الدّهر - و - يوماً من الدهر - و - شطرَ الدهر - و - طوال الدهر - وأعطوا لهذا الدهر صفته ومفهومه وجَرَوْا به على المعنى الظاهري ، وارتباطه بطلوع النجم . قال قيس بن زهير يرثي حَمَل بن بدر (١) :

ولولا ظُلْمه ما زِلْتُ أبكي عليه الدَّهرَ : ما طلع النجوم.

فالدهر يرتبط عنده بطلوع النجم واستمرار هذا الطلوع ، يعني استمرار الدهر .

ومن الشعراء من عرّف الدهر تعريفا رياضيا أو كظاهرة طبيعيّة كأبي ذؤيب الهذلي ، قال (٢) :

هَل الدَّهرُ الاّ لَيْلَةٌ وَنَهارُها وإلاّ طلوعَ الشَّمسِ ثُمَّ غِيارُها

ويزيد بن سلمى الضبي ، قال يزيد الضبي : (٣)

وما الدَّهرُ الاّ لَيلةٌ عقْبَ يومها حَثِيثٌ إذا مَا اللَّيلُ عَنْه تحَوَّلا

ويُوضح حاتم الطائي الدهر فيرّده الى اجزاء ثلاثة ، ويُراد فه بكلمة الزمان فيقول : (٤)

هَل الدَّهرُ الاّ اليومَ أَو أمسِ أَو غَدُ كَذَاكَ الزَّمانُ بَيْنَنا يَتَرَدَّدُ
يَرُدّ عَلَيْنا لَيْلَةً بَعْدَ يَوْمِها فَلا نَحْنُ مَا نَبْقَى وَلا الدَّهْرُ يَنفَدُ

وهو لا ينسى أن يبقي للدهر خصوصية الامتداد حتى وان جعل الزمان رديف الدهر كما يتضح في الشطر الثاني من البيت الثاني ، وان كنّا نرى أنّ ذا الأصبع العدواني قد رأى الدهر كالزمان ونسب اليهما الريب على حدّ سواء في قوله (٥) :

ومَنْ يغترر بريْبِ الدَّهرِ يَوْماً يَجِدْ رَيْبَ الزَّمانِ لَهُ خَؤُونَا

وهذا القول كلّف المعجميين أن يتّبعوه في دعم قولهم ، إن الدهر هو الزمان . غير أنّني لا أراه دليلا ، فربما دفع الشاعر اليه مساوقة الوزن ثم ان الشاعر ذا الأصبع العدواني

---

(١) شعر قيس بن زهير ، ٣٣.
(٢) ديوان الهذليّين ، ق ١ / ٢١.
(٣) حماسة البحتري ، ١٣٦.
(٤) ديوانه ، ٢٦٢.
(٥) ديوانه ، ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يفرّق بوضوح بين الدهر والزمان والدهر والحَدَثان في مقطوعة اخرى له سبق ذكرها (١)

وقد ورد في الشعر الجاهلي بعض أسماء الدهر التي تعني مضي الوقت وتتابعه "كالغوض" (٢) والجديد" (٣) ووردت أسماء الدهر " الأبض " و " المُسنَد " و " السَّبت " دون أن ينسب اليها الشاعر أفعالا كالتي ينسبها الى " الدهر " في الشعر الجاهلي نفسه ، فمن ذلك قول امرىء القيس : (٤)

لَقَلَّتُ مِن القَوْلِ مَا لا يَزالُ يُؤْثَرُ عَنِّي يَدَ المُسْنَدِ

ومن الجدير بالذكر ان " اليد " لم تنسب في هذا الشعر الى غير " الدهر " والى " المسند " هنا في شعر امرىء القيس .

وذُكر جمع الحَرْس-وهو الدهر كما بيّنا في التمهيد-قال امرؤ القيس : (٥)

ألمّا تزَعْ عَن أم عَمْرٍو وَتَيْئَسِ فَتَصْحُوَ عَمَّا قد مَضَى مُنْذُ أَحْرُسِ

وذُكر الأَبْضَ بمعنى الدهر ، قال امرؤ القيس (٦) :

ورِوايَتِي فَوقَ أَعْلَى الرَّوا ةِ عَلى كِلِّ صَوْتٍ لِيَ الأَبْضَ صَوْتُ

وورد " السَّبْت " غير أنه ورد مفكّرا قال لبيد بن ربيعة (٧) :

وغَنِيتُ سَبْتا بَعْد مَجْرى دَاحِسٍ لَوْكانَ لِلنَّفْسِ اللَّجوجِ خُلُودُ

وقد وردت كلمة الدهر مُنَكّرة من أل التعريف كثيرا وأُريدَ بها زمنا من الدّهر الطويل الممتد ، كقول كعب بن زهير . وهو يشير الى كِبَر سنّه وتطاول عهده قال (٨)

ما صَلاحُ الشَّيْخينِ عاشا جَمِيعاً بَعْدَ أن يصرِمَ الكبيرُ الكَبِيرا
أيَّ حِينٍ وَقَد دَبَبْتُ ودَبَّتْ ولبسنيا مِنْ بَعْدِ دَهْرٍ دُهُورا

---

(١) انظر ديوانه ، ١٠١ .

(٢) انظر مثلا : ديوان الاعشى ، ٢٢ . شعر ربيعة بن مقروم الضبي ، جمع وتحقيق د . نوري القيسي مجلة كلية الاداب ، العدد ٨/١٩٦٨م : ص ٣٦٢ .

(٣) انظر مثلا : ديوان الخنساء (أبو سويلم) ، ٣٦٥، المفضليات ، ٢٠٩ . ديوان سلامة بن جندل ١٣٥ .

(٤) ديوانه ، ١٨٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ٣٢٩ . وزع : كفّ وامتنع

(٦) المصدر نفسه ، ٣١٩ .

(٧) ديوانه ، ٣٨ . اللّجوج : العنود المندفعة .

(٨) ديوانه ، ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذكر عمارة بن عوف العدواني أن عمره طال حتى ناف عن دهرين ، قال (١) :

عمّرت دهراً ثم دهراً وقد ... أفضل أن أتي على دهر
خمسون قد أكملت من بعدما ... ساعدني دهران من عمري

وقد قيل في شرح الأبيات هذه أنّ دهراً هنا : مئة سنة .

وورد الدهر معرّفا ، ولا علامة دالة لقدْره ، قال الشاعر (٢) :

لا تغزونّ الدهر آل مطرّ ... إنّ ظالماً أبداً وإنْ مظلوما

ومثل هذا كثير في الشعر الجاهلي (٣) ، ومنه قول الأعشى في اليهوديّ الذى يقوم على أمر الخمر (٤) :

لها حارسٌ ما يبرحُ الدّهرَ بيتها ... إذا ذُبحَتْ صُلّى عليها وزمْزَما

فالدّهر يعني المستقبل والماضي والحاضر ، ولعلّه يعني العادة والديدن هنا .

وقد يعبّر الشاعر الجاهلي عن الدهر بأساليب اخرى ، كقول المهلهل في تصميمه على الحرب (٥) ، وقد ورد هذان البيتان متلاحقين بالرغم من اختلاف وزنيهما

ولستُ بخالعٍ درعي وسيفي ... إلى أن يخلعَ الليلُ النهارُ
يا كليبَ الخيرِ لا صُلحَ عندي ... - عُمْرَ نوحٍ - أو تُباح ديارُ

فهو يشير الى حتمية الثأر ولو طال به الدهر ، ويعبّر بهذه الكيفيات عن مرور هذا الدهر وأنه لا يأخذ من عزمه على هذا المطلب .

ويمكن القول ان الشعراء الجاهليين قالوا في الدهر الرياضي ، ولكن هذا لا يشير الى انهم خالفوا القول في الدهر المهلك والمفرّق ، وقد نجد الشاعر نفسه الذى

---

(١) السجستاني ، المعمّرون والوصايا ، ٣٩.
(٢) ينسب هذا البيت الى حميد بن ثور ، ديوانه ١٣٠ . والى ليلى الأخيلية ديوانها ، ١٠٩ .
(٣) انظر مثلا : ديوان أمية بن ابي الصلت ، ٢٤١ . وديوان عدى بن زيد ، ٣٥، ٣٩ . وديوان النابغة الذبياني ، ١٧١ . وديوان الاعشى ، ٦٥ . ودريد بن الصمة ، ١٥٠ .
(٤) ديوانه ، ٣٤٣ . زَمْزم : رَطَنَ بلغة غير مفهومة للسامع
(٥) شعره ، ٢٤٥ . وليس البيتان من بحر واحد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال في الدّهر المهلك يقول في الدهر الرياضي . غير أنّ الاتجاه الحاد كان في تناول الدّهر المهلك ، وفي اعطاء هذا الدّهر صفات القهر والهيمنة ، قال امرؤ القيس : (١)

أَلا إنّما الدّهرُ لَيالٍ وأَعْصُرُ ... وليسَ على شيءٍ قَويمٍ بمُستَمِرّ .

فهو يجعل الدهر مسيرة الهلاك . والشاعر الجاهلي مدرك لمعنى الدهر الرياضي لكن ما يؤمن به هو ان هذا الدهر يسير به نحو ما لا يرضاه . ولا نُحرم من استعارات لطيفة حتّى في حديث الشعراء الجاهليّين عن الدّهر الرياضي (٢) فهذا سويد بن أبي كاهل يشبّه الدّهر بالفتيّ من الابل لجدته وقوّته ، ويجعل له نضارة وشبابا ، قال : (٣)

خَرجتَ عن بغضّةٍ بَيّنَةٍ ... في شَبابِ الدّهرِ والدّهرُ جَذَعْ

وهو هنا يقصد العمر والسن فمعلوم أنّ للدهر شبابا دائما ، فالدهر لا يشيخ ولا تنفد أيامه على الدّهر وانما المرء هو من يشيخ . وتنفد أيامه .

- ١٢ -

بقي أن نقول : انّ هذا الثراء في رؤى الدّهر يوصف بالجدلية ، وقد يوهم بتعثّر البحث في الحكم الواحد على الدّهر ، وأن يكون هذا الحكم جامعا مانعا ، ولعلّ صعوبة وجود مثل هذا الحكم تكمن في التناقض الذى كان خبيئا في العصر الجاهلي .

وعلى كلّ فانما سعيت الى الحكم على الدهر فيما غلبَ به سواد الشعر الجاهلي . فكان أن رأيت الدهر المشوب بالكراهية والتقدير الظاهري هو الرؤية الاكثر امتدادا في هذا الشعر . وهذه الرؤيا تتسم بالحيوية ، فرغبة الانسان في الخلود وصراعه للافلات من حتمية الموت كلفا هذه الرؤية ، وجعلا الجاهلي يُجيّر الدهر في رؤى مبتسرة تختزل دهر الدنيا كلّه برؤى خاصة تجعل من الدهر سيرا حتميا نحو الموت .

وقد وجد الشاعر الجاهلي في الدهر خصما صامتا فعلّق عليه اخطاءه ونسب اليه ما يقع به من السوء والهزيمة ، وجلّي هذا البحث أن الشعراء الجاهليين لم يهدفوا الى تسجيل الدهر كما يُسجله العالم الطبيعي او المؤرخ وانما قصدوا اكبر القصد الى تسجيل ذواتهم بالدهر .

---

(١) ديوانه ، ١٠٩

(٢) المفضليات ، ٤٠ . وانظر ايضا الأفوه الأودى ، الطرائف الأدبية ، ١١، الخالديين الأشباه والنظائر ، ٢ : ١٧٩ .

(٣) المفضليات ، المفضلية رقم ٤٠ . الجذع : القويّ من الإبل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

صورة الدهر في الشعر الجاهلي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)
صور أسماء الدّهر

إن الدّهر يُدرك بحدس خاص لدى كل انسان ، وبوحيٍ من صلابة ذات الانسان أو ليونتها يتشكّل الدّهر في معان حسيّة تُعلن صورته .

وقد كشف البحث من قبل - في مفهوم الدّهر وأسمائه في الشعر الجاهلي أنّ الشاعر الجاهلي ذهب من الدّهر كل مذهب سوء،وانّ الشعراء قد التقوا على شكاية الدّهر وذمّه ، وأن الدهر في الجاهلية تعليل للموت بصوره [١] وهذا التعليل جاء من توزيع الوثنية الموت والحياة،وما يشجر عنهما بين الهة متعددة ، وان التقى مع النظرة الانسانية القائلة بأن الدهر هو " السير الحتمي نحو الموت " ولكن الدهر كمبعث متكرّر للسوء جاء لعدم قدرة الجاهلي على التركيز في أنّ الخير الاقصى وهو الموت من وجهة النظر الجاهلية كانا بتقدير إله واحد .

ولقد أقام الشاعر الجاهلي الدهر في هيئة خاصة ، ضيّع فيها النسب الحقيقية لمفردات الطبيعة ، وتاه بهذا الدّهر في كل وادٍ يُحَقّق لشعره تأثيرا قويّا . وقد كشف البحث في أسماء الدهر عن أنّ هذه الاسماء تختزن بدلالات تحمل طابع القوة وتلتقي مع الدّهر في وجه الاحساس الذي يمكن الدهر وظلال الانفعال به في الغالب ، وانّ كثرة هذه الأسماء يعطي اعظاما ورهبة للدهر واجلالا .

وتأتي صور أسماء الدهر من وقْع المعرفة الحسيّة المنفعلة بالدهر وهي معرفة فيها قدْر وافر من (المادية)،وإنّ كان الدهر ليس ماديه،فرؤية الانسان للدهر هي رؤية روحيّة ، ومعلوم أنّ المعرفة الحسيّة أسبق من المعرفة العقلية وعليها تستند وأنها المهاد الأول لارتكاز المدركات العقلية ، " فمتى عُقل فرع من دون أصل ، ومشبّه من غير مشبّه به " [٢]

وأسماء الدّهر " الأبد ، والحرس ، والأوْجس ، والسبت،والنازلة،والعصر،والمنون " تأتي بوحيٍ من مفهوم الدهر لدى الجاهلي ، وعلى غير ما أُلفت الدلالة في الاستخدام الرياضي لكلمة الدهر [٣] وهي معان منفعلة بالدهر ويبدو هذا الرّأي اكثر

---

(١) ذكر ابن منظور عدة معان للموت منها : الجفاف ، والحزن ، والفقر ، والذل والشيخوخة . أنظر اللّسان - موت .

(٢) عبدالقاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ٣٢٦. ويرى فريزر أنّ أوّل مبدأ للسحر هو قانون التشابه " أنظر عبدالاله الصانع : الزمن في الشعر الجاهلي مرحلة ما قبل الاسلام ، ٢٤١. وقد تساءل : هل يمكن ان يكون تشخيص الزمن بقية من محاولة سحرية للتغلب عليه " .

(٣) انظر اللسان - دهر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضوحا في قول المعجميين بلّه الشعراء الجاهليين أن الدهر هو " الأزلم الجذع " وأصل الأزلم : الوعول والظباء لا تسقط لها سنّ ، والأزلم تشبيه بالزلم لخفّته وهي القدح التي يستخدمها المقامرون في العصر الجاهلي لمعرفة الطابع ، وقيل : هي الهَنة المعلّقة تحت حنك الشاة ، وذلك لخفة هذه الهنة (١) أمّا الجذع فهو الفتيّ من الابل (٢) والأزلم الجذع من أسماء الأسد أيضا (٣) قال الشاعر :

إنّي أرى لَك أكلاً لا يقُوم لَه ... من الأكولَة الاّ الأَزْلَم الجَذَعُ

ورأيت من معاني " الأزلم الجذع " العَدوّ في قول لقيط بن يعْمر يُحذّر " إيادا " من عدوّهم الفُرس (٤) :

يا قَوم ، بَيْضَتكُم لا تفْجعَن بها ... إني أَخافُ عليْها الأَزلَمَ الجَذعا

ويحقّ السؤال هنا ، هل ثمة قائم علاقة تجمع الدّهر والأسد في وجه واحد ؟ وهل ثمّة تذكرة تلقائية تقفز الى الأذهان فتذكر أنّ الدهر هو الأزلم الجذع سواء أكان هذا الأزلم الجذع : الأسد أم فتيّ الابل ؟

وأسوق هذا التساؤل في ظل المعرفة بأن الذوق الجاهلي العام يحتفظ برهبة خاصّة من الأسد ، وبأسماء كثيرة للأسد تشي بالصفات القاهرة المستبدة التي يندرها له (٥) ، وتحت ظل المعرفة بتقدير الجاهلية لقوة الفتيّ من الابل ، ولمنعة الوعول والظباء وهذه الظباء والوعول لا تموت الاّ حتفا .

وأظنّ أنّ ثمّة غموضا وثنيا يعتكف في محاجر هذا الأزلم الجذع ويعتكف في أمر اطلاقه على الدهر ، فهو اسم يكشف عن هيئة مثقلة بالمعاني تجمع الإبادة والافتراس والشدّة والطيش .

ولا يبعد عن الأذهان تصوير الدهر شكلا حيوانيا مفترسا يختزم النفوس في الشعر الجاهلي (٦)

---

(١) اللسان - زلم - والقلقشندي ، صبح الاعشى ١ : ٤٠٢ .

(٢) اللسان - جذع

(٣) اللسان - زلم ، جذع

(٤) ديوانه ، ٤٦ . أباح بيضتهم : أذلهم .

(٥) ابن خالويه ، أسماء الاسد من كتاب " ليس من لغة العرب " مجلة المورد مج ٣٦، ص ٢١٦ .

(٦) د . مهدي السامرائي ، المجاز في البلاغة العربية ، ٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولست في صدد الاستكثار من القول في صور أسماء الدّهر ، فنحن لا نعلم أوليّة هذه الأسماء ، لكن المعروف أنّ هذه الأسماء ليست هي الاستخدام الطبيعي للدهر الذى هو الزمن ، وأن اثر الاستعارة فيها واضح وأنكر قول ابن جني " إنّ اكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة " (١)

وقول ريتشارد الذى يقضي بأن اللغة برمّتها انفعالية في الأصل " وأنّ " استخدامها العلمي انما هو تطوّر متأخّر وأنّ معظم اللغة ما زال انفعاليا " غير أن ثمة حقا ما يقف خلف هذه الاسماء ويدعم المجاز فيها لتكون هي أسماء الدهر .

- ٢ -
صور الدهر الانسان

نظم الشعراء الجاهليّون الدهر في صور كثيرة ، وهي صور أُنخذت من مفردات واقعيّة ، وتُبيّن بجلاء نظرة الجاهليين للدهر ، وفي هذه الصور يُغرق الشعراء في وصف أعمال الدهر ويُسندون إليه الأفعال دون تأول ، ودون استخدام الوسائل البلاغيّة (٣) في غالب هذه الصور فتقوم الصورة قياما مندمجا بالفكرة التي أخذها الشاعر عن الدهر لا تبَعا لارتباطها بوظيفة الشرح والتوضيح أو التزويق والزركشة،ولا تقابلها مقابلة التشبيه البليغ ، ولم تكن الصورة ثوبا يُكمل الفكرة ويجلّيها .

ولعلّ هذه الصور كانت على الحقيقة في فَهم الجاهليّين،فالمجاز في الجاهلية ممتلىء بذخيرة الأسلاف الأسطورية . وربما كانت هذه الصور المجسّدة هي لمن اعتقده الجاهليّون انه اله كالريح والدهر ، والمنيّة والسماء ، والجبال (٤) فلقد جهد الشعراء الجاهليّون في اثبات ان للريح يدا (٥)، وللدهر يدا (٦) وللمنيّة فما ضاحكا ساخرا (٧) . وأظفارا (٨) وأنّ الموت ينظر بتشفّ حينا وزهْو الظفر ، وأنه حينا يخزى يخيبة وخسران (٩) .

---

(١) ابن جني ، الخصائص ، ٢:٤٤٧

(٢) ريتشاردز ، مبادىء النقد الأدبي ، ٣٤٦.

(٣) انظر : د. علي البطل ، الصورة في الشعر العربي ، ١٢٧.

(٤) الثعالبي ، فقه اللغة : ٣٨١.انظر الاستعارات في الريح والسماء والدهر والجبل.

(٥) انظر قول لبيد في الرياح ، " ... بيد الشمال زمامها " ديوانه ، ٩٧.

(٦) أنظر مثلا : الخنساء ، ديوانها (تحقيق أبو سويلم) : ٨٠. والأعشى ، القطعة : ١٦.والقطعة ٣٦ : ٧٧.

(٧) ديوان تأبط شرا ، ١٤٩.

(٨) انظر عينيّة أبي ذؤيب . ديوان الهذليين ، ق١ : ٩٣.

(٩) انظر ديوان تأبّط شرّا ، ١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذا الإثبـاتُ يأتـي علـى النحـو الأسطـورى فـي فهـم الظواهـر الطبيعيـة والمُدركات العقليـة ، " اذ يلتقـي الشعـر الجاهلي والمحتـوى الأسطـوري فـي أنهمـا لا يتصـوران عالمالطبيعة صامتا " وإنمـا يتصورانـه حيـا مدركـا كمـا يذكـر الدكتـور " الرّباعـيّ " (١) وهـو يرتكـز بقولـه هـذا الـى قـول " ويليـك " : إن الاسطـورة الدينيّـة هـي مصـدر المجـاز الشعـرى " (٢) وقـول " نورمان فريدمان " : إنّ الاستعـارة أسطورة مصغـرة " (٣) .

وتجـدر الاشـارة هنـا إلـى اعتقـادات القدمـاء فـي الدهـر ومـا يتصـل بـه مـن الموت والقـدر ، فثمـة نصـوص تؤكـد ايمـان القدمـاء فـي الشـرق بالإلـه " مـوت ٣٥٦ " وهـذه الأساطير تدلّـل علـى وقـوع الكـون تحـت تنـازع الهيمن أحدهمـا للحيـاة والآخـر للمـوت ، منهـا قصـة الإلـه بعـل والالهـة " عنـت " وهي ملحمـة تروي الصـراع بيـن الإلـه بعـل والإله " يم " وفيهـا يتـم ذبـح " بعـل " والنـزول بـه الـى مملكـة المـوت ، وكـان يحكـم هـذه المملكـة الالـه " مـوت " " ولعـل معنـى اسمـه فعـلا المـوت ... ويؤدي اختفـاء بعـل إلـى توقـف الحيـاة علـى الأرض " (٤)

وصـورة الدّهـر تُوحـي بدلالات تحمـل طابـع المـوت ، ولعـلّ للموروث الوثنـي الشرقـي (٥) سببـا فـي هـذه الصـورة ، وهـي صـورة واضحـة فـي نسبـة المـوت الـى الدهـر وكونـه سببـا فيـه (٦) ، ومـا يدفـع لهـذا التوجـه لدينـا أن الجاهلـي معـروف بعـدم القـدرة علـى تركيـز التفكيـر فـي الالـه الواحـد ، الـه المـوت والحيـاة فـي آن . وعـدم الايمـان بالبعـث والنشـور والحسـاب علـى النحـو الـذى أتـى بـه الاسـلام وهـذا سبـب القـول بالـه يحكـم الامـر وآخـر ينقضـه فـي تصـارع دائـم كتصـارع الآلهـة فـي الأساطيـر القديمـة حـول جـدوى حيـاة الإنسـان وبقائـه .

---

(١) د. عبدالقادر الرّباعي ، مدخل الى دراسة المعنى بالصورة في الشعر الجاهلي ، المجلـة العربية للعلوم الانسانيـة ، مج ٨ ، ع ٦ : ٨٦.

(٢) د. علـي البطـل ، الصـورة فـي الشعـر العربـي ، ٢٤.

(٣) نفسـه ، ٤٤.

(٤) سبتوموسكاتي ، الحضـارات السامية القديمـة ، ترجمـة د. السيد يعقـوب بكـر، ١٢٩.

(٥) صموئيل هوك ، الأساطيـر في بـلاد ما بيـن النهريـن ، ترجمـة يوسـف عبـدالقادر، ٢٧.وانظر محمـد منير منصـور ، المـوت والمغامـرة الروحية ، ٩ ـ ٢٠.

(٦) أنظر مثـلا : ديوان أميـة بن ابي الصلـت ، ٢٥. والأصمعيـات ، ١٨٧. وديوان قيـس بـن الخطيـم ، ٧١ . وديـوان عـدى بـن زيـد ، ١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نُسبت الأفعال السيّئة بالانسان إلى الدهر من هذا النحو ، وأفعال الطبيعة بالانسان ، وأفعال الاله بالانسان ، وجاء هذا في صور واضحة التقسيمات حينا وهيئة مبيّنة ، وجاء في هيئة غائمة حينا ، فيمكن أن نتأوّل صورة الدّهر على أنّها صورة انسان أو لعلّها صورة اله ، وهو اله غير محسن ، ولا يملك ايجاد الحياة او الرزق أو العطاء ، وانما هو اله مميت وقاهر وهو اله مفرّق ومقلّب ومفن (١) .

وما يمازج الصورة بين أن تكون صورة الدهر الاله ، أو صورة الدهر الانسان هو أن الانسان هو النموذج الأمثل الذى يمكن أن تُقاس أعمال الإله على أعماله في الشعر الجاهلي .

ولنفترض أنها صورة الدهر الانسان محسا للجدل على أن هذا الانسان ذو قوة خارقة وبأس شديد ، ومن هذا كَوْن الدهر منقصا يأتي على العيش فينقص منه كما ينقص الكنز .

قال طَرَفة بن العبد (٢) :

أرى العيشَ كنزا ناقِصاً كلَّ ليلةٍ ... وما تنقَص الأيّامُ والدهرُ يَنْفَدِ

فهذا الفعل يصحّ أن يكون امتيازا لإلٰه ، وهو امتياز فاوضَ الشاعر الجاهلي الدهرَ عليه ، وخاطبه فيه ، وشكاه لأجْله ، وشتمه بسببه ، قال ساعدة بن جؤيّة يُلقّب "الماني" - وهو الدّهر - في قرابة له (٣) :

ولو سَامَني " الماني " مكانَ حياتِه ... أناعيم دَهْرٍ من "إياد" و " جاهِلِ"
وقال اشترط ما شئْتَ إنكَ ذاهبٌ ... بحُكْمك من شغع المُنى والجَعائِلِ
لقلتُ لـ " دَهْري " إنّه هُوَ عَزُوتِي ... وإني وإنْ أرْغَبْتَني غَيرُ فاعِلِ
وقد كانَ يوم "الليْث "لوقُلْتَ "أُسْوة" ... ومَعْرِضةٌ لو كنتَ قُلتَ لقائِلِ

فالشاعر يرى أنّه لوسامه " الماني " وهو الدهر بدلَ احياء مَن مات له بالنُعمى وقال : اشترط ولك ما أردته من المُنى والأعْطيات لرَفْض ذلك كلّه ، عسى أن يُبقي من مات حيّا ، ثم يقول : يا دهرُ ، لقد كان يوم " الليث " - وقد أصاب فيه الدهرُ ما ساءه وساء قومه - أسوةً لما أنت عليه أيها الدهر من الغدر ، وإنك يا دهر لا تفعل ما تقول . والشاعر بهذا الحديث يتأسى ويُداوي جرحه ، وهو في هذا الحوار لا يَعْمد إلى أي قرينةٍ توحي بأن الدهر غير مدركٍ لما يقوله ، وهذا يبعث الحيويّة ويحقق لهذا الحوار تأثيرا أبعدَ ويجاوز تأثير التشبيه ويتقدم به الى مراتب أعلى .

---

(١) أنظر مثلا : قول لبيد :

لحى اللهُ هذا الدهرَ اني رأيتُه ... بصيراً بما ساء ابنَ آدم مُولَعا

(٢) ديوانه ، ٣٧ .

(٣) ديوان الهذليين ، ق ٢ : ٢١٨ . سامه : ساومه . الجعائل : الأعْطيات . الماني : الدهر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمة صوت آخر يحاور الدهر استرحاما واستعطافا ، صوت عمرو بن قميئة وقد طالت به سنّه ، وفارقه الأقربون ، قال : (١)

كبرت وفارقني الأقربون وأيقنت النفس ألّا خلودا
وبان الأحبّة حتى فنوا ولم يترك الدهر منهم عميدا
فيا دهرُ قدك فاسجحْ بنا فلسنا بصخر ولسنا حديدا

فهو وإن أفنى حريبتَه الدهرُ، ولم يغادر عمداء قومه فإنه يتودد الى هذا الدهر بحُسن الحديث وتذلّله .

فهذا الدهر في الشعر الجاهلي قوة خارقة مهيمنة على الخلق كلهم تخطّف نفوسهم وحياتهم ، وتستلب حقهم في الحياة ، وهذا الدهر مقتهرٌ للقوم في أخذه نفوسهم بجفاء وغلظة ومتعّنت يمتلك الشيء بالأذى والمشاقة ، ويغتصب شبابهم اغتصابا ، وتغتال أيامه الناس بمرورها وتتابعها (٢) ، قال تأبّط شرّا . (٣)

بَزّني الدّهرُ وكان غَشُوماً بأَبيٍّ جَارُه مَا يُذَلّ

فهو يرى الدهر ينقصه قوتَه ويتركه بعد أن ينال من جسمه وقوته. ويرى أبو الطمحان القيني أن الدهر قد أضعف بصره وحَنى ظهره ، وقيّد خطاه ، ويجعل للدهر حانيات تنال من قوّة المرء وصبره ، قال : (٤)

حَنّتني حَانياتُ الدّهرِ حتى كأَني خَاتلٌ يَدنُو لصَيدِ
قريب الخطوِ يَحسَب من رآني ولستُ مقيّداً أني بقَيدِ

والدّهر يُنزل بأسه بالجميع فيقشرهم ويستأصل شأفتهم ، كما يقشر الماءُ الشجر ، أو كما تجلَح الماشيةُ أعالي الغصون ، قال عمرو بن قَميئة : (٥)

جَلّح الدّهرُ وانتحى لي وقِدْماً كان يُنحي القُوى على أمثالي
يا ابنة الخير إنّما نحنُ رَهْنٌ لصُروف الأيام بَعْدَ اللّيالي

والجاهليّون حاقدون على الدهر لأنه يذهب بحالحيهم ويبقي أراذلهم ويستأصل الرؤوس منهم

---

(١) ديوانه ، ١٨٨ . وانظر شعر أرطاه بن سهيّة ، مجلة المورد، مج ٧ : ١٧٩ . فله شعر يشبه هذا بالرغم من أنه شاعر أموي !.

(٢) أمثلة هذا كثيرة . انظر : ديوان عدي بن زيد العبادي ، ٨٢، ١٩٠ . وديوان الأعشى ، ١٢٠ . وديوان ذي الاصبع العدواني ، ٣٥ . وشعر زهير بن أبي سلمى ٣٨٥ . وديوان لبيد بن أبي ربيعة، ٥٥ . وديوان امرىء القيس : ٢٦٥ . وشعر المهلهل بن ربيعة : ٢٧٩ . وحماسة البحتري ، لربيعة بن مقروم الضبي ٩٣ . وديوان طرفة بن العبد ، ٢٢٤ .

(٣) ديوانه ، ٢٤٨ .

(٤) السجستاني ، المعمّرون والوصايا ، ٧ وتنسب لعدي بن زيد العبادي . ديوانه ١٩٨ .

(٥) ديوانه ، (تحقيق خليل العطية) ، ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُهلك العلا والمعالي»[١]

وقد يرى الشاعر الجاهلي ان الدهر وإن أخذ الصالحين فإنه لا يُبقي أحدا فلا يُغادر شريفا ولا مشروفا . وأعالي القوم وأدناهم واحد في حُكْم الدهر بالموت عليهم فالرفيع والوضيع سيّان ، قال ساعدة بن جؤية[٢] :

هل اقتنَى حَدَثانُ الدّهر من أَنَسٍ ... كانُوا بُمَعْيَطِرٍ وخْشٍ ولا قَزَمِ

فهو يتساءل مُستنكِرا : هل أبقى الدهر من أحد سواء أكان كبير القدر أم وضيعا، ويؤكد هذا الامر أبوكبير الهذلي في حديثه لخلاوة ابنه فيقول:[٣]

أخلاوَ إن الدهر مُهلِكُ مَنْ تَرى ... مِنْ ذي بنينَ وامهمْ ومِن ابنمِ

وتقول الخنساء في صخر مؤكدة حُكْم الدهر على الجميع بالموت[٤] :

ان يكُ هذا الدّهرُ أودَى بصخرِهِ ... وصَارَ قسما لمَجارى القِطارِ

فكلُّ حيٍّ مِائرٌ للبلى ... وكلُّ حبلٍ مبرّةٍ لانشِارِ

وكذلك ربيعة بن غزالة السّكوني[٥] :

لا يُؤثِلُ الدهرُ من صَرْف الرَدي أَحداً ... والموتُ إن أكُ منه هارِبا لَحِقَنا

كذلكَ الدهرُ لا يرعى على أَحَدٍ ... والمرءُ رهن لرَيْبِ الدّهرِ مُذْخُلِقَا

وما زال الشعراء الجاهليون بالدهر شكاية وذما،فيرى امرؤ القيس أنه يسير دون حكمة فيرفع قوما ويضع آخرين على ما لا يتوقعه المرء . قال:[٦]

---

(١) ديوان الخنساء (صادر) ٨٨ ، شعر المهلهل بن ربيعة ، ٣٠٦.

(٢) ديوان الهذليين ، ق ٢٠٠/٢، " مَعيط" موقع في بلاد هذيل . الوَخْش : النذل

(٣) ديوان الهذليين ، ق ١٠١/٢ ولعلها من قصائده في الجاهلية .

(٤) ديوانها " ابو سويلم" ١٤٤ . وقد أكثرت من شكوى الدهر " فالنساء أشجى قلوباً عند المصيبة ، وأشدهم جزعاً على هالك" . ابن رشيق ، العمدة ، ٢ : ٦٢.

(٥) الخالديين ، ٧٩ ، حماسة البحتري : ١٣١.

(٦) ديوانه ، ٢١٨. أي قطع خيره واخذه من بين عبيده وحشمه بعد قوة امره .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولبينا المرءُ يَهْوي قُدُماً ... أفْسَدَ الدهرُ غِناه فَفَسَدْ
وبجُهْدٍ يَتَنَضَّى عيشه ... عاضَه الدّهر ثَراءً فَمجِدْ
عاجزُ الحيلةِ مُسْتَرخي القوى ... جاءَهُ الدهرُ بمالٍ وَوَلَدْ
ولبيبٍ أيِّدٍ ذُو حيلةٍ ... مُحْكم المِرّةِ مأمُونَ العُقَدْ
حَصَّه الدهرُ وغَطّى حَزْمَه ... وانتَضَاه من عَبيدٍ وسَنَدْ

فالدهر مفسد لما أُحكم ، والباحث عن المجد لا يناله ، والعاجز الضعيف يصبح من أصحاب الشأن والرفعة لقصور حكمة الدهر وعشوائية فعله. وهذا الأعشى ينزل لائمته بالدهر لمّا صدّت عنه " هُريرة " المعروفة بالدّل والطرب ، والدهر خبل [1] طائش وقد صدّت هريرة عنه وليس لها هذا المد لمّا اجتمع عليه العشى والكبر قال : [2]

صَدّت هُريرة عُنّا ما تُكلّمُنا ... جَهْلاً بأُم خُليد حبلَ مَن تصل
أأنْ رأتْ رَجُلا أعشى أضرّ به ... رَيْبُ المنون ودَهْرٌ مفند خَبِلُ

وهذه النصوص تُشَخّص الدهر وتجيء به وتحاوره وتعاتبه .

وفي نصّ آخر يرى الدهر يسير بالمرء من الغنى للفقر ومن الشباب الى الشيب [3] :

ولكنْ أرى الدّهرَ الذي هُو خاتِرٌ ... إذا كُلِّفَ الإفسادَ بالناسِ أفْسَدا
شبابٌ وشيبٌ وافتقارٌ وثَروة ... فللّه هذا الدهرُ كيْفَ تَرَدّدا

والدهر في هذه النصوص صورةُ مفسدٍ يعود على افساد ما صَلُح ونَقْض ما أُبرم [4] .

---

(١) انظر : اللسان ـ خبل " مخبّل من أسماء الدهر " .
(٢) ديوانه ، ١٠٥
(٣) نفسه ، ١٨٥. وانظر ايضا : ٢٦٧.
(٤) انظر : الأعشى ، ١٨١ . وديوان أمية بن أبي الصلت : ٢٤٦. وشعر ربيعة ابن مقروم الضبي ، مجلة كلية الاداب ، ١٩٦٨م ، العدد ١١ : ٣٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣)
صورة الدّهر المقامر

يرهب النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي قدْح الدهر إن جاء قامرا ، وقد جهد جهدا شديدا من الفكر والهَمّ ، قال (١) :

أحاديثُ نفسٍ تَشْتكي ما برَّ بها ... ووِرْدُ هموم لَمْ يَجِدْنَ مَصادرا
تُكلّفُني أن يُغْفِلَ الدّهرُ هَمَّها ... وهَلْ وَجَدت قَبْلي عَلى الدّهر قَادرا
ونَحْنُ نُرَجّي الخُلْدَ إنْ فَاز قِدْحنا ... ونَرْهبُ قِدْح الدّهر إن جاء قامروا

ولكنّ النابغة يُدرك أن لا خالد على الدهر ، وأن فوز قِدح الخلود مستحيل فلِمَ يقامر الدّهر على حياته ؟

لعلّ الامر على غير هذه الهيئة ، فانما الدهر يقامر الناس ويخبط خبط عشواء فمن كُتب موته مات وامّا فيؤخر ، ولكن ثمّة حادث فداء عبدالله بن عبدالمطلب والد الرسول عليه الصلاة والسلام وهو حادث معروف ، فهل كان هذا الحادث مقامرة للدهر على حياة عبدالله ؟ وقد قمر قدحُ موت الابن مرارا ثم افتداه أبوه بكثير من الابل .

ولعلّ هذا يدفع الى الحديث عن تَحدّي الجاهلي للدهر والوقوف بوجهه في الشعر الجاهلي .
فقد صوّر الشاعر الجاهلي نفسه وقومه وممدوحيه ومرثييه صُبُرا على الدهر ، آخذين عليه حكمه حينا ، شديدين على صروفه .

ومدح الأعشى نفسه على الرغم مما ابتلاه الدهر به من الهَمّ والشيب والعشى قال (٢)

فإن يُمسِ عندي الشَيبُ والهَمُّ والعَشَى ... فَقَدْ بِنَّ مِني والسّلامُ تُفَلَّقُ
بأَشْجَعَ أَخّاذٍ عَلى الدّهرِ حكمَه ... فَمِنْ أيِّ ما تَجْنِي الحوادثُ أَفرقُ ؟!

وكأنّما يُملك أن يأخذ على الدهر حُكْمه! أو يرى له سُلطةً تحكُّمه أو تملك تغيير حكم

---

(١) ديوانه ، ١٣٠ وانظر ديوان السموأل (صادر) ، ٦٧ .

(٢) ديوانه ، ٢٦٧ . السّلام : الحجارة . أشجع : يقصد قلبه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدّهر، ويرى الحطيئة ممدوحه الحارث بن يغوث وقومه مجيرين عاطفين على الدهر وما يجرّ من مصائب قال (١) :

والمُجيرون العاطفونُ على الدّهر (م) صِحابُ المَيْسور في كل حال

ويَرتجي الحارث بن حلّزة - ولعله رجاء خائب - أن تتعلق يداه بمن يقيم اعوجاج الدهر قال (٢) :

فلو أنّ ما يأوي إليّ أصاب من بُهْلان هدّا
فضعي قناعك انّ ريب الدّهر (٣) قد أفنى مَعَدّا
مَنْ حاكِمٌ بيني وبين الدهر مَالَ عليّ عُمْدا
أودى بسادتنا وقد تركوا خِلْقاً وجُرْدا

وهو وإن أقام على الدهر دعوة كبرى ، غير انه فاتر العزم وقد آوى اليه من حدثان الدهر ما يكفي - في ظنّه - لنسف جزء من جبل " ثهلان " الركين ، فيوصي امرأته أن تضع قِناعها خوفا وذلا . فانّ الدهر قد أهلك ذوي القوة والعدّة من قومه على كثرتهم ومنعتهم غير أنّنا نرى تأبّط شرا يشبّه أخا الحزم الذى يسلك الطريق التي تُنجيه بعد طول كرب بقريع الدهر (٤) . ونرى سويد بن أبي كُراع لا ينزل عنه حكم الدهر وان جالت به صروفه وأحداثه قال : (٥)

وأَبْقَتْ صُروف الدَّهرِ منّا عُصابَةً فَوارسَ أَبطالاً ورَجْلا عرَمْرَما

وارتقى الشاعر الجاهلي بممدوحه ليأخذَ على الدّهر حُكْمه فلا يُخيفه الدهر فهو جَلْد قوي كالجبل (٦) " راسخ لا يُغيّره الليل أو النهار " . والعقيدة التي أخذ بها الجاهلي في السيد " أنّه راعي الليل والنهار، فهو الشمس التي تضعهما ، فلا غرابة أن يُباري السيدُ المتفوق الريح والغمام والفصول ويتفوق عليها - " كما يقول عبدالاله الصائغ " لأن لديه كفيّن واحدة للحياة وأخرى للموت، وعينين تريان ما لا يراه الآخرون ولأنه ذو

---

(١) ديوانه ، ١٥٧.
(٢) شعره ، ٢٠
(٣) اللسان - خبل « مُخَبِّل »
(٤) ديوانه ، ٨٧.
(٥) شعره ، مجلة المورد ، مج ٨ ، العدد ١ : ١٥٩.

(٦) انظر ابن عبد ربه ، العقد ، ١ : ٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صفات توهّله للسمو فلا يفكّر أحد بمخالفة أمره حتى لو كان شمسا أو قمرا لانّ حياته حياتهم وهلاكه هلاكهم (١) .

وصوّر الشاعر الجاهلي نفسه وقومه شديدين على صروف الدهر ، قال خفاف بن ندبة السُلمي يرثي صخرا ومعاوية ابني عمرو ورجالا أصيبوا من قومه (٢) :

فَلَم أَرَ حيًّا لَقاحاً أَقامُوا بينَ ناصيةٍ وحِجْرِ
أَشدَّ على صُروف الدّهر آداً وأَمرُ منهم فيها بصَبْرِ

وجعل الشاعر الجاهلي ممدوحه الشهر الحرام والربيع وضامن الدهر ان نزلت مصائبه بمن يعولهم (٣) ورأى نفسه أنّه مسعدا لأخيه على الدّهر (٤) قال زيد الخيل الطائي (٥) :

والجارُ يَعْلم أَنني لستُ خاذلَه إنْ نابَ دَهرٌ لعَظْم الجار معتَرقُ

وعدّ الشاعرُ الجاهلي الأخ الذي يُواسي في المصيبة اذا ما نزلت ويدنو اذا ما ناب الدهر بمصائبه الثقيلة ، قال ربيعة بن مقروم الضبي (٦) :

أخوك ،أخوك مَنْ يَدنو فتَدنُو مَودّته وإنْ دُعيَ استجابا
يُواسي في الكَريهةِ كلَّ يومٍ إذا ما مُضلعٌ " الحِدْثان " نابا

ومدح الشاعر الجاهلي مَنْ يقوم لقومه فلا يخذلهم لفعل الدهر بهم وحوادثه ، قال الحُطيئة في علقمة بن علاثة (٧) :

لعَمْري لنِعْم المَرءُ لا واهِنَ القُوى ولا هُوَ للمَوْلى عَلى الدّهر خاذلُ

وذمّ من يخضع للدهر ويعمدُ الى أقاربه ، وأبعد عن نفسه هذه المذمّة وجَنّب عنها شبهتَها ، قال حاتم الطائي (٨) :

ولستُ اذا ما أحدثَ الدهرُ نَكْبةً بأخْضَعَ ولّاج بيوتَ الأقارب
وشرُّ الصعاليكِ الذي هَمَّ نفسَه حَديثُ الغَواني واتباعُ المآربِ

---

(١) عبدالاله الصائغ ، الزمن في الشعر في مرحلة ما قبل الاسلام ، ١٨٣ . وانظر شواهد عبارته المقتبسة .

(٢) شعره ، ١٤٩ . آدا : قوّة

(٣) انظر مثلا : النابغة في مدح أبي قابوس ، ١٠٥، ٢٣٢ . والحطيئة : ١٥٦ .

(٤) انظر مثلا : الاعشى ، ٢٦٣ . والنابغة ، ١٢٦ . الحطيئة ، ٨٣ . وشعر زهير بن ابي سلمى ٧٩ .

(٥) شعره ٧٨ . اعترق اللحم : أخذ ما عليه من اللحم .

(٦) حماسة البحتري ، ٩٢ . وليت في شعره المجموع . الحِدْثان : من اسماء الدهر . مضلع : المُثْقِل .

(٧) ديوانه ، ٢٤ . واهن : ضعيف

(٨) ديوانه ، ٢٠٥ . ولّاج : كثير الولوج : الدخول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونبّ عن نفسه ظلماً من ظلمه الدهر أو أعانه الدهر على الضعيف ، قال حاتم الطائي (١) :

ولا أظلمُ ابنَ العمّ إنْ كان إخوتي شهودا وقد أودى باخوتِه الدّهرُ

وسجّل الشاعر الجاهلي حسنى الصبر على الدهر من محاسن المَرثي قال لبيد بن ربيعة في أخيه (٢) :

جَميلُ الأسى فيما أتى الدّهر دُونَه كريمُ الثّنا حُلو الشّمائل معجبِ
تَراهُ رَخيَّ البالِ إنْ تلق تلقه كَريماً ، وما يَذهَبْ به الدهر يذهَبِ

وقالت الخنساء في رثاء صخر (٣) :

حَامي الحَقيقَةِ والمُجيبُ إذا مَا خِيفَ حَدُّ نَوائبِ الدّهْرِ

ولعلّ في هذا التحدي والمواجهة موقفا كريما ، وصُورة تُسَجّل للجاهلي بفخار وهي صورة معجبة جميلة .

(٤)
الدّهر صانع الثياب

يرد كثيرا في الشعر الجاهلي تشبيه حياة المرء بالثوب أو الشيء المعار، أو أن الحياة ثوب يلبسه المرء (٤) وفي بعض من هذا قول الشاعر عدي بن زيد العادي (٥) :

ليسَ شَيءٌ على المَنونِ بخَالِ لا عَديمٌ ولا مُتَمّرُ مَالِ
كان ثوباً لبستَه مَا أعَانَ الدهرُ منه ، وكُلّ ثَوب بِبالِ

ولكنّ الدهر يأتي صورة إنسان يقوم على نَسْج الثياب فيُدي الثوب ويجعل له نِيرا أي لُحمة .

وهذا من أمر صناعة النسيج القديمة، وقد استعارت الخنساء هذا النقض والامرار في النسيج لنقض الدهر الأمور ، أو تفرده بها مجيئا ورواحا . قالت في رثاء صخر (٦) :

---

(١) ديوانه ، ٢٠٩
(٢) ديوانه ، ٧ . الثّنا : الذّكر
(٣) ديوانها (تحقيق د. أبو سويلم)
(٤) انظر مثلا . ديوان الاعشى ١٤٥. وديوان طرفه ، ١٥١. وديوان عمرو بن قميئة (تحقيق خليل العطية) ، ١٣٨. والمفضليات ، ٢٠٤. وديوان الأفوه الأودي ، ١٠.
(٥) ديوانه ، ٥٦.
(٦) ديوانها (تحقيق أبو سويلم) ، ٣٨٧. النِيار : نيار النسيج

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقلتُ لمّا رأيتُ الدّهر ليسَ لَـهُ مُعاتِبٌ وحْدَهُ يُسدي وتِيّـــارُ
لقد نعى ابن نُهَيْك لي أخا ثِقَـةٍ كانت تُرجَّم عنه قبلُ أخبـــارُ

وهذا يفسّر سخطها عليه فهو من يُعير الجاهلي ثوب الحياة ويسترده وقت ما يشاء وهذا من فَهم الجاهلية للدهر ، وجعل الشاعر امرؤ القيس الشيبَ من ثياب الدهر . قال في نفسه (١) :

وكَسَاه الدّهرُ لَوْناً ثاغِمـــاً واستمرّ البَطْن ظَهْراً فذَهَـــبْ

وأظن أن في هذه الصورة اتكاء على مصدر أسطوري يؤيّد هذا المجاز ويسيغه للمذوق الجاهلي .

(٥)
الدّهر السّاقي

يطوف الدّهر في الشعر الجاهلي بكأس الموت ، بكأس الغلظة حينا وبكأس اللين أخرى ، وهذا يذكّر بتشبيه المنيّة بالكأس في الشعر الجاهلي (٢) فالجاهليون يتجرعون كأس الموت تارة باللين والمطاوعة ،وأخرى بالغلظة والرفض ، قال حاتم الطائي (٣) :

لَبَسْنا صُروفَ الدهر لِيناً وغِلْظَـةً وكلاً سَقانَاه بكأسِهما الدّهْـرُ
فما زَادنَا بَأْواً على ذِي قرابَـةٍ غِنَانَا ولا أَزْرَى بأَحْسَابِنا الفَقْـرُ

والدّهر لا يعدل في السُّقيا ، فقد يسقي قوم بسِجال ويحرم آخرين كما في قول الأعشى (٤) :

رُبَّ حَيٍّ أَشْقَاهُم الدّهْـرُ وحَيٍّ سَقاهُمُ بسِجَـالِ

ويرد حديث السقيا في مجال الذكرى ، فهي سعادة ماضية ، وهذا يؤكد ان الجاهليين لا ينظرون الى المستقبل بفرح ، ولا يأتي حديث السعادة الا فيما مضى من الدهر وهم سيئوا الظن بالدهر القادم ، قال عديّ بن زيد (٥) :

رُبَّ دهرٍ قَد تَمَتّعتُ بهـا وقَصَرتُ اليومَ في بَيْتِ عَـذاري
فَقَضَيْنَا حَاجَةً مِن لَـذّةٍ وحَيَاةُ المرءِ كالشيءِ المُعَـارِ

---

(١) ديوانه ، ٢٩٣ . ثاغما : قريبا من لون الرماد
(٢) شرح الحماسة التبريزي - (دار القلم) ، ١ : ٤٢ .
(٣) ديوانه ، ٢٠٩ . بأوا : فخرا . أزرى : أحط .
(٤) ديوانه ، ٦١ . سجال : جمع السجل وهو الدلو
(٥) ديوانه ، ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ورُبَّ هذه لماضي الأيام. وقد انتشرت السعادة ، والأعشى يرى هذا في قوله في الخمر (١)

ولقد أغدو على نُدْمانِها ... وغَدا عِندي عَليها وأصبحْ
ومُغَنٍّ كُلَّما قيل له ... أَسْمِعِ الشَّرْبَ فَغَنَّى وصَدَحْ
في شبابٍ كمصابيح الدُجى ... ظاهرُ النِّعْمة فيهم والفَرَحْ
ذاكَ دَهْرٌ لاناسٍ قد مَضَوا ... ولهٰذا الناسِ دَهْرٌ قد سَنَحْ

فهو الآن في دهرٍ جديدٍ سَنَح للقوم بسوء ، ومثله قول المثقّب العبدى (٢)

وأطرقَ الحانيُّ في بيته ... بالشَّرْبِ حتّى تُستَباحَ العُقارُ
فذاكَ عَصْرٌ قد خَلا والفتى ... تُلْوي لَيالِيه بِه والنَّهارُ

انّها السعادة تقف على حافّة جرح المثقّب ، فكل ذلك الفرح يؤول الى ذكرى والفتى لا بد مَلْوِيّ به .

(٦)

بنات الدهر وبنوه

خرق الجاهلي للدهر بنين وبنات في الشعر فقال حوْط بن سُرعوف في قبيلته مفاخرا بطول ضرْبها في الدهر (٣) :

فنحنُ بنُو الدهرِ الطويلِ وأنتُمُ ... بَنو أمسِ لمّا تَبلُغوا قِيسَ أُصْبُعِ

فقبيلة الشاعر ضاربة الجذور قديمة الحَسَب. وثمة شاعر آخر يرى أن النخيل بنات الدهر تبقى على الدهر في الوقت الذى تجفّ فيه الحياة وتموت الماشية قال (٤) :

بناتُ الدّهرِ لا يَخْشَيْنَ مَحْلاً ... إذا لَمْ تَبْقَ سائِمةً بَقينا

وهو يقصد طول عمر النخيل وبقاءه على الرغم من عجاف السنين التي تودي بالماشية وهذا القول يُضعف الرأي الذى يُوصي بأنّ بنت الدهر هي المصيبة دائما ، ويرى الأصمعي أن ما لم يكن من الانسان قيل للذكور منه بنات " (٥)

---

(١) ديوانه ، ٢٩٠. الشَّرْب : ندماء الشراب
(٢) ديوانه ، ٢٧٤. الحانيّ : الذى له حانوت الخمر والعُقار : الخمر
(٣) حماسة الخالديين ، ٢ : ٢٥٥
(٤) المصدر السابق ٢ : ٤٤. السائمة : من الغنم أو الابل أو نحوها .
(٥) الاخفش ، الاختيار بن ، ٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد صوّر الشاعر الجاهلي بنات الدهر في وجه شديد من القول، فهنّ يلعبن بالفتى، وهذه أهم صفة لبنات الدهر ، قال عبدالله بن الزِّبَعْرى في معركة بدر (١) :

ألا يا غرابَ البَيْن أسمَعْتَ فَقُلْ ... إنّما تَنْطِقُ أمراً قد فُعِلْ
كلُّ عَيْشٍ ونَعيم زائلٌ ... وبناتُ الدّهرِ يلعبن بكلْ

وهذا اللعب مما يتصرف بالمرء على غير هواه ، وهو يقرن الحديث عن بنات الدهر بالحديث عن غُراب البيْن، وهو الغراب الموصوف بقدر كبير من الكراهية والازدراء في الشعر الجاهلي (٢)

يرى الشاعر الجاهلي أنّ بنات الدهر هي مصائبه وأحداثه في غالب هذه الصور التي يُقيمها ، كما جاءت بنات الدهر صورة صائد يرمي الناس بغير سهام قال عمرو بن قميئة (٣) :

رَمَتْني بناتُ الدّهر من حيث لا أرى ... فكيفَ بمَنْ يُرمى وليس بِرامِ
فَلَوْ أنّها نَبْلٌ إذاً لاتقيتها ... ولكنّني أُرمَى بغَيْر سِهامِ

فهي ترمي المرء بغير سهام الحرب المعروفة ، وهي لدى قيس بن الخطيم فروع البلاء التي تُمزّق المرء كما تُمزّق الاناء وتثلمّه قال قيس بن الخطيم : (٤)

ومن يَكُ غافلا لَمْ يَلقَ بؤساً ... يُنَخْ يوماً بساحته القَضاءُ
تناولُه بناتُ الدّهر حتّى ... تُثَلّمه كما ثُلِم الإناءُ

ويرى الدكتور محمد أبو موسى (٥) أن الشاعر يشبّه أثر ما يصيب المرء من الدهر بالانثلام الذي يكون في الاجسام كالسيف والاناء والحائط ويرى أنه أثر معنوى لا ترى فيه هذا التمزّق وانما يكون في نفس المُصاب بهذه الاحداث ضرباً من التمزق تراناالا نستطيع ان نعبّر عنه الا بمثل هذه الكلمات الحيّة ... فالاستعارة هنا تحاول أن تقبض على تلك الخطرات الروحيّة أو خبايا العقول كما يقول "عبد القاهر" والتي تنفلت من الكلمات تفلتا خفيا وسريعا فلا تخضع لها ولا تنقاد لقائلها ، وانما تتكيء على هذه

---

(١) ديوان شعره (جمع وتحقيق د. يحي الجبوري) ، ٤٥ ، ألا : زائدة على البيت .

(٢) انظر مثلا : ديوان عنتره ، ٢٦٢. وديوان علقمة الفحل ، ٦٧. وانظر القلقشندى صبح الاعشى ؛ ١ : ٣٩٩-٤٠٢.

(٣) ديوانه ، ٤٥.

(٤) ديوانه ، ١٥٧. ونسبت للربيع بن ابي الحقيق في حماسة الخالدين ، ٧٢. والقضاء : الموت وانظر في هذا الطرائف الادبية ، ٢٤. لقيط بن يعمر ، ٣٥. وديوان الهذليين ، ق ٢ ، ١٠١ ، وكلها تُجمع على ان القضاء هو الموت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصور المحسوسة لتوحي بهذه الخطرات»[١] وبالرغم من جمال هذا الرأي في هذه الاستعارة غير أن هذا الرأي لا يفسر رؤية الشاعر ولا يعلّل التعبير عن المصيبة بلفظ البنت وان بنات الدهر تأتي بالموت الذى لا تمنعه الرقيات عند الشاعر فليس ثمة واق لها اذا ما أتت كما في شعر يزيد بن حذّاق ، وقد ذُكر أنه أول شاعر ذمّ الدنيا قال :[٢]

هل للفتى من بَناتِ الدّهرِ مِنْ وَاقي أمْ هَلْ لَهُ مِن حِمامِ المَوتِ مِن رَاقِي

غير أنّ بنات الدّهر تُفدّى لدى حاتم الطائي ، فهو يفديها بأمه وخالته وهو فداء معروف في الجاهلية أي:الفداء بالام والخالة -ويعكس تمسك العرب - من مفهوم مخالف -بالاب والعم وأقرباء الاب وعشيرته ومحبتهم له ، وانهم لا يفرّطون حقهم تفريطهم في حق الام والخالة قال حاتم الطائي :[٣]

فَدَتْكَ بناتُ الدّهرِ أُمي وخَالتي فَلا تَأمرني بالدّنيّةِ أَسُودُ

ولم ينسب الشعراء الجاهليون الموت الى بني الدهر ، بل جعلوا أنفسهم من ابناء الدهر الطويل كما في قول حَوطبن سُرعوف الذى سبق ذكره ، ويتصل هذا بما جاء من كراهية العرب للبنات ووأدهنّ في الجاهلية خشيةَ الفقر والعار ، وما جاء من كراهية العرب في الجاهلية للدهر وشكايتهم منه وذمهم له .

(٧)

صورة الدّهر الصائد

لم يصوّر الشاعر الجاهلي الدهر فارسا مقاتلا ولم يعطه هذا الامتياز خلا اشارة وردت لدى عديّ بن زيد ، وفيها يظهر الدهر غدورا قبيح القتال قال :[٤]

بينَما يغبِطُه أَشْياعُه قَلَبَ الدّهرُ لَه ظَهْرَ المِجَنّ

والاّ فان الشعراء الجاهليين صوّروا الدهر صورة صائد ختور ، يختل فرائسه على غِرّة الصيد

---

(١) د. محمد ابو موسى ، التعبير البياني ١٣٧.

(٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ٢٤٣. ونسبت للفند الزّماني في المفضليات ، ٢٩٩.

(٣) حماسة البحتري ، ٢٣١. وليست في ديوانه .

(٤) ديوانه ، ١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الشاعر : (١)

فوّق الدّهرُ إلينا نَبْلَه ... عَلَلاً يَقْصُدُنا بَعْد نَهَلْ
فَهْو يرمِينا فَلا نُبْصِرُه ... فِعْلَ رَامٍ رامَ صَيْداً فَخَتَلْ
رُزِقَ الصّيْدَ ولاقَى غِرَّةً ... فَرَمى مُسْتَمْكِناً ثُمَّ قَتَلْ
فَكَذاكَ الدّهرُ مأمُورٌ بنا ... فَهْو لا يَغْفَلُ إنْ شيءٌ غَفَلْ

ويقول سُويدُ بن حذّاق في أثر سهام الدهر في كل عضو من أعضاء جسده (٢) :

كبرتُ وطالَ العمرُ حَتّىكأنّما ... رَمَى الدهرُ منّي كَلّ عُضْو بأَهْزعا

وهو يستعمل كلمة " كأنّما " وهذا أمر نادر في حديث الشعراء عن الدهر . فالشعراء يصوّرون سهام الدهر ويفيضون في الحديث عنها وهو حديث لا يتخلله التشبيه ، فالممزّق العبدي يصور سهام الدهر بسهام غير مريشة ونافذة قال (٣) :

كأنني قد رماني الدّهرُ عَنْ عُرُضٍ ... بنَافِذاتٍ بلا ريشٍ وأَقْواقِ

ويثبت فالج بن خلاوة لسهام الدهر قوتها في حَنْيه وإضعاف قوّته وقد كان صعب القياد شديد المراس ، قال (٤) :

فلمّا رَماني الدّهرُ صِرتُ رَزِيّةً ... لكلِ ضعيفِ الرّكنِ أكشَفَ أعزَلِ
فيَا دهرُ، قِدْما كنتَ صَعْباً فلمْ تَزَلْ ... بسهمك ترمي كلّ عَظْمٍ ومِفْصَلِ

فما زال الدّهر به رميا بالسهام حتّى أحطّ قوته .

وسهام الدهر لا تخطيء الانسان ، فهو منصوب للدهر نصب العود ، قال هَزاز أو (حَرّان) بن عمرو بن عبد مناة يرثي زيد الفوارس (الغيّ) وقومه وقد هلكوا (٥) :

خَلّوا عَليَّ الدّهرَ بَعْدهُم ... فبَقيتُ كالمَنْصُوبِ للدّهْرِ

والرؤية نفسها لابي زبيدٍ الطائي في رثاء أخيه . وقد تمثل له الدهر بعين موجعة

---

(١) حماسة البصري ، قال اخر ، ٢ : ٤١٤ . والبيت الاخير منها لعدي بن زيد العبادي ، ديوانه ، ٩٩ . النهل : الشرب للمرة الاولى والنّهل : الثانية . الختل : الغدر .

(٢) السجستاني ، المعمّرون والوصايا ، ٤٠ . الأهزع : السهم الاخير في جعبة السهام .

(٣) المفضّل الضبي ، المفضليات ، ٣٠٠ وفي الشعر والشعراء ، ليزيد بن حذّاق ، ١١٩ . وللمفند الزّماني في أيام العرب ، ٥٣٠ .

(٤) السجستاني المعمّرون والوصايا ، ٦٦ .

(٥) المرزوقي ، شرح الحماسة ، ٣ : ١٠١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأوْجَب له همّا وقلقا ، فسلّم على ضعف زمام راحلته للأيام وبكى أخاه وقومه في نشيج حزين قال (١) :

إنّ طول الحياة غير سعود ... وضلالٌ تأميلُ نَيْل الخلود
علّل المرءَ بالرجاء ويُضحي ... غَرَضا للمَنون ونصبَ العُود
كلّ يوم تَرْميه منها بسهم ... فمُصيبٌ أوْصافَ غيرُ بعيد
يا ابن أمّي ويا شُقيّقَ نفسي ... أنتَ خلّيْتَني لدهرٍ شديد
مِنْ رِجالٍ كانوا بُحورًا ... فهُم اليومَ صَحْبُ آلِ ثمود
خانَ دهرٌ بهم وكانوا همُ ... أهلَ عظيمِ الفِعالِ والتمجيد

وأبو زبيد بالرغم من أنه مخضرم ، ويحتمل ان يكون هذا الشعر بعد اسلامه غير ان هذا الشعر جاهلي الهوى والفن - وهو أقرب الى تصوّر الجاهليين للدهر وحديثهم فيه .

وهذا الدهر لا تخطيء سهامه وليس يقاومه الانسان ولا يقدر أن يناضله . قال الشاعر (٢) ولعلّه (زهير بن أبي سُلمى) :

فلستأثر الدهر الغداة بهمّ ... والدهرُ يَرْميني ولا أرْمي
لوكان لي قِرنا أُناضِلُه ... ما طاشَ عِند حَفيظَةٍ سَهْمي
أوكانَ يُعطي النَصْفَ قلتُ لَعَلّه ... أحرَزْتَ قِسْمَك فآلهُ عن قِسْمي
أجلت صروفك عن أخي ثقةٍ ... حامي الذمار مُخالِطِ الحَزْمِ
ولقد علمت على انحلاتك ما أزرى ولو أكْثَرتْ بي عُدْمي
يا دهر قد أكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم
وسَلَبْتَنا ما لَسْتَ تُعْقِبنا ... يا دهرُ ما أنْصَفْتَ في الحُكْم

فانظر اليه يُراوح بين الضعف والقوة ولكنه لا يسلم القياد ، فيحاور الدهر وقد أوغل به ، وأكثر العُدم " فيا دهر ما أنصفت في الحكم " ويا دهر سلبتنا " والشاعر وان تعزّى حينا بحَزمه وقوة نفسه ، الّا ان رنة الأسى بادية في حواره وهو يرى الدهر قوة غير

---

(١) ديوانه ، ٤٢ .

(٢) تنسب لزهير ، شرح صعوداء ، ٣٨٢ . وانظر النابغة الذبياني ، ٢١٤ . وأسامة بن منقذ ، المنازل والديار ، (دون عزو) ٤٧٦ . وقَمَر : استقمر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُحكَمَة ولا ينالـه السهـام ، وهـو يذكّـر بقـول عمـرو بـن قميئـة فـي الدهـر (١) :

أَقصَدتني سِهامُه إذْ رَمَتْنـــــي وتَولّت عَنـُه سُلَيْمى نِبالـــي

ويستوقفُني من النص نداءُ الشاعرفهو يُنادى الدهر مرتين ، وقد نودي الدهر في الشعر الجاهلي غير مرة ، وكان نداء الدهر بحرف النداء " الياء " ولم يعدل عنه الشاعر الجاهلي في نداء الدهر ، والياء في قول البلاغيين يأتي لنداء البعيد ، وقد يقولون أن المرء قد ينادي قريبا بالياء للتحبب ، وقد يناديه " بالياء " لبُعد منزلته وهيبة مكانته .

وأظن ان نداء الدهر يجيء في الشعر الجاهلي من وقْع مكانة الدهر المهيبة في نفوس الجاهليين . وأظن أن خطاب الدهر يأتي لمفاوضته او لتنفيس مخبأوف دفينة عند الشاعر وتقريب هذا الدهر " مناط الخوف " من نفسه .

وثمّة نصوص شعريّة كثيرة تفاوض الدهر وتقدح في حكمته وتصرّفه بالناس وهي تشير الى ان الدهر مُنِيَ بوضع خاص ، فهو اله الموت وليالي الدهر وأيامه هي سهام الدهر وحرابه ، وهي عدّته في النَيْل من الانسان ، نيلا بالجبر والقوة . قال الأفوه الأودي (٢) :

إنّما نِعْمَةُ قومٍ مُتْعَـــــةٌ وحَياة المرءِ ثَوبٌ مُستَعَـــارْ
ولياليه إلالٌ للقُـــــوَى من هداة تختليها وشفـــارْ
حَتَم الدّهرُ عَلينا أنّـــــه ظَلفٌ ما نَال منّا وجُبـــارْ
فَلَه في كل يومٍ عَـــدوةٌ ليَس عنها لامرىء مَطـــَـار

وهذا الدهر له أثافيّ يَرجم بها الناس ويقوّض البيوت القوية قالت الخنساء : (٣)

كلُّ امرىءٍ بأثافي الدّهرِ مَرْجومُ وكلُّ بيتٍ طَويلِ السّملِ مَهْـدومُ

والشعراء الجاهليون يثقلهم هذا الدهر ويُضنيهم ،

---

(١) ديوانه ، ٤٥ .

(٢) حماسة البحتري ، ١ : ١٧٠ . والظلف : الجبر . المداة : المُدى . وقد صوّرت الخنساء الزمان جزّارا ، «وكأنما أمّ الزمان نحورنا بمُدى الذبائح» ديوانها ، ٣٣٤

(٣) ديوانها (تحقيق د . أبو سويلم) ، ١٢٣ . الأثافي : حجارة القِدْر وقول الخنساء في رجم الدهر الناس يذكر بقول عبدالأعلى بن الصامت العبدي (حماسة البحتري ، ٣٢٥) ، وما اظن هذا القول له ويغلب على ظني أنه شعر جاهلي :

أرى الدهر يرميني بعين بصيرة ويرصدني بالغيب من حيث لا أرى
يُقلّب مِرْوَتيه وينفضُ رأسَـــه ليُوردَني كَرْها شريعَة مَنْ هَـــوى

وإلاّ أظن ان الشاعر ممن لم يُشربوا الاسلام . ومثله ما نسب الى طُريح بن اسماعيل . ديوانه ، ١٠٤

ألم تر المرءَ نصبا للحوادث مـــا تنفكُ فيه سِهام الدّهر تنتَضلُ
والدهر ليس بناجٍ من دوائـــره حيٌّ جبانٌ ولا مستأسِد بطـــلُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الأعشى (١) :

لعَمْرُكَ ما طُولُ هَذا الزَّمَـــنْ ... عَلى المَرءِ إلّا عَنَاءٌ مُعَـــنْ
يَظَلُّ رَجيماً لرَيْبِ المَنُـــونِ ... وللسَّقْمِ في أَهْلِهِ والحَـــزَنْ
وإني أرَى الدَّهْرَ في صَرْفِـــهِ ... يُغَادِرَ مِنْ شَارِخٍ أو يَفَـــنْ

لكن ثمّة من يُحارب الدّهر ويقف بوجهه صارخا ، وقد يرميه وان كان عالما انه لا تصيبه السّهام ولا تَعوفُه -كما قال طرفة بن العبد (٢) :

ومَنْ حَارَبَ الأَيّامَ طَاشَتْ سِهَامُـــهُ ... ومَنْ أَمِنَ المَكروهَ فالدَّهْرُ عَائِقُـــهُ
ولا بُدَّ مِنْ صَوْبٍ وَشيكٍ وآجِـــلٍ ... فَحَيْثُ يَكُونُ المَرْءُ فالمَوتُ لاحِقُـــهُ

ويرى الحطيئة الدّهر يرمي النفوس بالأحداث ولا بدّ أن تصيبها قال (٣) :

فَقُلتُ لَها ، أُمامُ ، دَعي عِتَابِـــي ... فإنَّ النَفْسَ مُبْدِيَةٌ نشاهَـــا
وليسَ لَها مِنَ الحَدَثَانِ بُـــدٌّ ... إذا مَا الدَّهرُ عَنْ غَرَضٍ رَمَاهَـــا

وأتوقّف قليلا لدى ، أمام ، لعلّي أرى فيها أمرا ، فأُميمة ومَيّ وأَمام تُقلقني. وهذه الأسماء تأتي في مواقف شائقة متعبة في الشعر الجاهلي من المنون أو الفراق أو الجدب أو الموت بصوره ، وأرى أميمة تتصدّر مطلع قصيدة أبي خراش الهذليّ في رثاء أخيه عمرو وهي في قوله (٤) :

لعَمري لقَد رَاعت أُمَيْمَةَ طَلْعَتي ... وإنَّ ثَوائي عِندَهَا لَقَلِيـــلُ

وفي القصيدة يَذكر الدّهر والموت ، وثمة قصيدة مالك بن خالد الخناعي في "مَيّ" في قوله (٥) :

يا مَيُّ ، إنَّ سِباعَ الأَرضِ هَالِكَـــةٌ ... والأُدْمُ والعُفْرُ والآرَامُ والنَّـــاسُ
يا مَيُّ ، لا يُعجِزُ الأَيامَ مُجتَـــرِيءٌ ... في حَوْمَةِ المَوتِ رَزَّامٌ وفَـــرَّاسُ
يا مَيُّ ، إنْ تَفْقِدِي قَوْمًا وَلِدْتَهُـــمُ ... أو تَخْلِسيهِمْ فانّ الدّهرَ خَـــلاّسُ

---

(١) ديوانه ، ٦٥ . اليَفَن ضد الشارخ وهو الفاني من الكبر والعجز .
(٢) ديوانه ، ٢٧٤ . الصّوب : الموت ، آجل : مؤجل .
(٣) ديوانه ، ١١٥ . الحَدَثان : الدهر .
(٤) ديوان الهذليين ، ق ١٢١/٢ .
(٥) المفضليات ق ٣ /٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمة قول الحارث بن وعلة الذهلي ، وفيها ينادى أميم في قتل أخيه [١] .

وفي قول الحارث بن حلّزة تتصدر " أمام " الحديث عن اهلاك " الدهر لقوم عاد وإرَم [٢] فلعلّ صلة قائمة بين المنيّة وبين هذه الأسماء وبين الدهر .

وقد يرى الشاعر الجاهلي الدهر صائدا للحيوان ، أو هو من يبيح للحيوان صائدا أو يرى الشاعر الجاهلي موت الحيوان وصَرْعه بيد الدهر ، ولعله يعمد الى هذا الصراع لانه يرى فيه شدة أعلى وان في مصارع الحيوان عبرة اقوى - قال عبدالاله الصائغ " ولن تكون الطبيعة الا مسرحا للصراع بين الحياة والموت ... وعَوْنا للدهر المتمثل بالصيّاد وكلابه في كثير من لوحات الصيد على الضحية الباحثة عن الماء الذى هو الحياة » [٣]

وعند الشاعر الجاهلي أن مصارع الحيوان الوحش دليل كبير على مصرع الانسان بيدقوة تفتاله أعظم من قوة هذا الحيوان ، ولعل الشاعر الجاهلي رأى في هذه المصارع ظفر الدهر بالغنيمة وان موت الحيوان كموت الانسان ، واجماع الشعراء ان الدهر لا يبقى على حدثانه انسان ولا حيوان ولا شجر ، يقول ابو خراش الهذلي [٤] في الثور :

ولا يَبْقَى عَلىٰ الحِدْثان" عِلْـــج ... بكلّ فَلاةِ ظَاهِرَةٍ يَـــــرُودُ
تَخَطّاه الحُتُوفُ فَهْوَ جَـــــوْن ... كِنَازُ اللّحْمِ فَائِلُـه رَدِيـــــدُ
غَدا يَرْتَـاد بَيْنَ يَدَيّ قَنِيـــــصٍ ... تَدَافَعَه سَفَنّجَةٌ عَنُـــــودُ
فَخَرّ عَلى الجَبينِ فَأَدْرَكَتْـــــهُ ... حُتُوف الدّهرِ والحَيْنُ المُفِيـــــدُ

فالثور وان أُمِدّ له في الحياة الرغيدة حتى ترعرع واكتنز باللحم غير أنّ الدهر قد أباح له قنيصا أدركه من على فرس قويّة فقتله بالرغم مما هو عليه من القوة وكثرة اللحم .

والدهر في قول النّمر بن تَوْلب هو من يُبيح للثور صائدا يقتله ويُمثّل به قال [٥] :

---

(١) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ٧ : ٨٨ . والمرزوقي ، شرح الحماسة ، ٢٠٤ .
(٢) ديوانه ، ٢٠ . وانظر الوحشيات ، ١٦٣ . ونسبت فيها الجندل بن أشمط .
(٣) عبدالاله الصائغ ، الزمن في الشعر العربي في مرحلة ما قبل الاسلام ، ٢٧٨ .
(٤) ديوان الهذليين ق ٢ : ١٦٣ . المُفيد : المهلك . السفنجة : الفرس
العلج : حمار الوحش . الفائل : عرق في الورك . الجون : الابيض او الاسود ، -
الوفضة : جعبة السهام .
(٥) ديوانه ، ١٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَباحَ لَهُ الدَّهرُ ذا وَفْضَـــــــةٍ ... يُقلِّبُ فِي كَفِّهِ أَسْهُمـــــــا
فأَرْسَلَ أَهْزَعَ مِن كَفِّـــــــهِ ... ومَا كَانَ يَرهَبُ أَنْ يُكْلَمـــــــا
فريخَ الغُرورُ على قُـــــدْرَةٍ ... فَشَلَّ نَواهِقَـــهُ والفَمَـــــــا
فَظَلَّ شَبِيباً كَأَن " الوَلُـــــوعَ " ... كانَ بِصحَّتِـــهِ مُرْغَمَـــــــا

فكأنّ هذا الثور يعيش على رغم " الولوع " وهو الدهر ، و " كأنّ " هذه لا تمنع من القول بحرب حقيقية بين الدهر والثور في الشعر الجاهلي لا سيما ان هذا الثور يرد كثيرا في هذا الشعر وربما كانت له قداسة خاصة تتغذّى من الفكر الوثني القديم [١] وهو يقع تحت وجدانات انسانية قام لها مساعد من هذا الفكر ومن البيئة التي عاشها الشاعر الجاهلي [٢] الذي رأى حيوان الوحش الزهم الصدع تغتاله الحتوف ورأى أنّ قوّته لم تساعده على الخلود ورأى أنّ الجميع محكوم للدهر الذى لا ينقص ويسير بالجميع الى الموت ويظل جديد البرديسن ، ليله ونهاره .

قال أسامه بن الحارث الهذلي [٣] :

أرَى الدَّهرَ لا يبقى على حَدَثانِـــه ... أَبودٌ بأَوطانِ القِلاَيَةِ فَـــــارِدُ .

وقال المرقش الاكبر يؤكد هذه الحقيقة على الاقوياء ويقصد الثور [٤] :

فعَيْنَيَّ، لا يبقى على الدَّهرِ قَـــادِرٌ ... بَيْهُورَةٍ تَحت الضِّخَافِ العَصَائِبِ

والشاعر في قوله " والدهر لا يَبْقى على حدثانِه " أو " لا يَبقى على الدهر " ينهض بالدهر في هيئة مُوحية خاصة ، أحسّ الشعراء الجاهليون بقيمتها فألفيناها في غير قصيدة ، وهي صورة استعارية معقّدة ، فحرف الجرّ " على " في قوله " والدهر لا يبقى على حدثانه " جدير بالانتباه إذ يُقال : " دارت عليهم الدوائر اذا أهلكتهم الأيام وأفنتهم الأعوام . و " دارت لهم " الدنيا اذا وُصفوا بمواتاة الاقبال وانتظام الأحوال فكأنّ التميز في الخير والشر انما يقع بقولنا دارت لهم أو دارت عليهم " [٥] ثم ان الحدثان قد اختص بالسوء في أغلب مواضعه وهو كثير الورود في هذا القصص المؤلم . [٦] ثمّ ان

---

(١) يستوقفني قول عبّاد بن سعيد (فيالَيْتَني ثَورٌ لما صَنَع الدَّهرُ) المعمّرون ، ٩٨) فهل يبقي الدهر على حياة الثور ولا ينالـه .

(٢) انظر د . عبدالجبار الطلبي ، مقالات في الادب والنقد (مقالة : قصة ثور الوحش وتفسير وجودها في الشعر الجاهلي) .

(٣) ديوان الهذليين ق ٢ / : ٥٧ . أبـُود : مفرد

(٤) الأخفش ، الاختيارين : ٢ : ٢٩٩ .

(٥) الشريف المرتضى ، مجاز القرآن ، ١٤٩ .

(٦) أنظر ايضا : ديوان الهذليين ق ١ / : ١٠ ، ١٥ . ق ٢ / : ٦٣ ، ١١١ . ق ٣ / : ٢ ، ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاحداث هو احداث ما لا يكون في الخير ، ويكون في المكروه وفيما لا يتوقع المرء أو يرسم له والحدثان هي الفأس وهي ايضا اسم للدهر (١).

وقد أطلق سويدُ بن كراع كلمة الحَدث وأتبعها بأثر سيء لهذا الحدث قال (٢):

وَلكِنَّ أياماً من الدَّهر أَحْدَثَتْ ... لنا " حَدَثا " أَوْهَى عُروشاً وهَدَّمَا

وكذا الحطيئة يُطلق كلمة الحوادث ويجعلها رامية كالدهر، قال (٣)

فإنْ تَكنِ الحَوادثُ أَقصَدتَنِي ... وأخطأهُنَّ سهمي حين أرمي

فَقَد أَخْطَأْتُ حينَ تَبِعْتُ سَهْماً ... سِفاهاً ما سَفِهْتُ وَزَلَّ حِلْمِي

ويؤكد أن الحوادث هي المصائب والبلايا قول السموأل (٤):

إنَّ امرأ أَمِنَ الحَوادِثَ جَاهِلٌ ... يَرْجُو الخُلودَ كَضَارِبٍ بِقِدَاحِ

والرَّيب ما يريب المرء ويزعجه ويخامر احساسه بالألم.

ويرى المرقش ربيا " للحوادث " كما ان للدهر ربيا ، قال (٥) : " فغاله ريب الحوادث حتى زل عن أرياده فحطم

وثمّة صورة أخرى يمكن تأويلها على أنّها صورة الدهر الانسان في قول الحطيئة يمدح طَريفَ بن دفَاع : (٥)

فتىً غَير مِفراحٍ اذا الخَيْرُ مَسَّهُ ... ومِنْ نَكَباتِ الدَّهْرِ غَيْرِ جَزُوعِ

أو في قوله في علقمة بن عُلاثَة (٦) :

لعَمري لَنِعْمَ المَرْءُ لا وَاهِنَ القُوى ... ولا هُوَ للمَولَى عَلى الدَّهْرِ خَاذِلُ

أو في قول حاتم الطائي في قومه : (٧)

فاذا كان شرٌّ فالعَزاءُ فإنَّنا ... عَلى وَقَعاتِ الدَّهر مِنْ قَبلِها صُبر

ففي هذه الاقوال يظهر الدهر ثقيلا ماديا ، له نكبات ووقعات وعليه صبر وجلاد واحتمال ، وقد شُخّص في هيئة مستكرهة ونسبت اليه الوقائع التي تقع بالانسان أو الحيوان والنكبات التي تثقله .

---

(١) اللسان - حدث

(٢) ديوانه ، ١٥٩.

(٣) ديوانه ، ٣٤٧.

(٤) ديوانه (صادر) : ٦٧.

(٥) اللسان - راب . ورأد الشيء ، قمّته

(٦) ديوانه ، ٧٣.

(٧) السابق ٢٤.

(٨) ديوانه ، ١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ ٨ ـ
صورة الدّهر الحيوان

يأتي الدهر في الشعر الجاهلي على هيئة حيوان مفترس عقور، وهو حيوان ذو ظفر وذو ناب أو ذو مخلب ، وربما اعترق اللحم وقشر الجلد ونهس المرء نهسة الأفعى وقطع بأسنانه الموقّحة العُصل ، وعضّ فأوجع وهرس اللحم والعظم.

ومن ذلك قول امرىء القيس يمثّل الدهر حيوانا ذا ظفر وناب قال (١) :

إلى " عِرْق الثَّرَى " وَشجتْ عُروقي ... وهَذا المَوتُ يَسلُبُني شَبابي
ونَفسي سَوف يَسْلُبها وجرْمي ... فيُلحِقني وَشيكا بالتُّراب
أرجّي مِنْ صُروفِ الدّهْر لينا ... ولَمْ تَغْفَل عَن الهِمّ الهِضَاب؟
وأعْلَم أنني عَمّا قليلٍ ... سَأنْشَبُ في شَبَا ظُفُرٍ ونَاب

وجماع الصورة يؤدي الى تصوّر الدهر حيوانا مفترسا.

وقد صوّرت الخنساء الدّهر يبري العظم حتى يَهيضَه ويكسره ، قالت (٢) :

أُسائِل كلَّ وَالِهَةٍ هَبُولٍ ... بَراها الدّهرُ كالعَظْمِ المَهيضِ

والدهر لدى زَيْد الخيل يتعرّق الناس وينوبهم قال يمدح نفسه (٣) :

والجَارُ يَعْلَم أنّي لَسْتُ آخُذُه ... إنْ نَاب دَهْرٌ لعَظْمِ الجَارِ مُعْتَرِقُ

وقد يجمع الشاعر بين صورتين للدهر في القصيدة ، بل في الأبيات المتجاورة منها، ومن ذلك قول النابغة الذبياني (٤) :

مَن يَطلبِ الدّهرُ تُدْرِكْهُ مَخَالِبُه ... والدّهْرُ بالوِتْرِ نَاجٍ غَيْرُ مَطْلُوبِ
مَا مِنْ أُناسٍ ذَوي مَجْدٍ ومَكْرُمَةٍ ... إلّا يَشُدّ عَلَيْهِم شِدّة الذِيبِ
حَتّى يَبيدَ عَلى عَمْدٍ سَرَاتهُمُ ... بالنّافِذاتِ من النّبْلِ المَصَايِيبِ
إني وَجَدتُ سِهَام المَوتُ مُعْرِضَةً ... بكلّ حَتْفٍ من الآجالِ مَكتُوبِ

---

(١) ديوانه ، ٩٨ . الشبا : الحَدّ
(٢) ديوانها ، (صادر) ، ٨٩ . مهيض : كسير .
(٣) ديوانه ، (المكتبة الثقافية ، بيروت) ، ٤٣
(٤) السراة : الساروة . الوتر : الثأر . المصايب : الصائبات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يرى الدهر يجرّ على الناس الكوارث في صورة وحش ذي مخالب ، ثم يأتي الدهر صورة ذئب لا يرحم ثمّ يطالعنا وهو يبيد الناس بسهام نافذة مصيبة ، ثم نجد أنّ هذه السهام هي سهام الموت .

ولعلّ هذا الجمع بين الصور لا يخدش البنية الكلّية للفكرة الجاهلية عن الدهر ، وهو جمع موفّق ومثل هذا الجمع قول الخنساء وقد رأت الدهر في بيت واحد صائدا ومغتالا ، قالت (١) :

أَرَى الدَّهرَ مَا تَطيشُ سِهامُه ... وليْسَ لِمَنْ قَدْ غَالَه الدَّهْرُ مَرجِعُ

وترسم الخنساء صورة ممضّة لأفعال الدهر بها فتقول (٢) :

تَعَرَّقني الدَّهْرُ نَهْساً وحَزّاً ... وأَوْجَعَني الدَّهر قَرْعاً وغَمْزا
وأَفْنَى رجالي فبَادوا جَميعاً ... فأَصْبَحَ قَلْبي بهِم مُسْتَفَزّا

فلقد قرعها على رأسها الدهر ونهسها نهسة الافعى ، وغمزها بيديه غمزا مؤلما وتعرّق عظمها وأخذ ما عليه نهشا بأسنانه فاستطار فؤادها وتناثر فزعا .

ونجد الشعور نفسه يلوّن قول أميمة بنت عبد شمس (٣) :

أَبَى لَيْلُكِ لا يَذْهَبُ ... ونِبْطَ الطَّرْفُ بالكَوْكَبِ
وهذا الصّبْحُ لا يَأْتي ... ولا يَدْنو ولا يقرَب
بِعَقْرٍ عَشِيرةٍ مِنّا ... كِرام الخِيمِ والمَذْهَبِ
أَحَالَ عَلَيْهِمُ دَهْرٌ ... حَدِيدُ النَّاب والمِخْلَبِ

فهي تشكو الدهر وتنسب اليه الأحداث التي وقعت بقومها الكرام . ولدى دويد بن نهد شكوى عريضة ، فهو متعب قد ألقى الدهر عليه رجلا ويدا ، ويفقد الدهر ما يصلحه قال (٤) :

أَلقى عَليَّ الدَّهر رِجْلا ويَدا ... والدَّهر ما أُصلِحُ اليَوم أَفسدا
يُفسِد ما أُصلِحُه اليَومَ غَدا

ويأتي الدهر صورة مُغيرٍ صائل في قول عدي بن زيد العبادي ، قال يصف تقلّب الدهر (٥) :

---

(١) ديوانها ، ٣١٨ .
(٢) نفسه ، ٢٧٣ . القرع بالعصا ، النمز : دون القطع .
(٣) أبو عبيدة ، أيام العرب .. ، ٣٣٨ . وانظر : شرح ديوان الخنساء ... (دار التراث) ، ١٢٩ .
(٤) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ١ : ٤٨ .
(٥) ديوانه ، ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

... فَأَمِنَّا وَغَرَّنا ذاكَ حَتّى ... رَاعَنا الدَّهْرُ قَدْ أَتانا مُغيرا
إنَّ للدَّهْرِ صَوْلَةً فاحْذَرَنَّها ... لا تَبيتَنَّ قَدْ أَمِنْتَ الدُّهورا (١)
إنما الدَّهْرُ لَيِّنٌ وَنَطوحٌ ... يَتْرُكُ العَظْمَ وَاهِياً مَكْسُورا

وفي قول أمية بن أبي الصلت يأتي الدهر هيئة حيوان يهرش على الناس ويهددهم قال في المدح (٢) :

لا تَخافُ المُحَوَّلَ إن هَرَشَ الدَّهْرُ ... ولا تَنتَوي لأَهْلِ سِواكا

والهَرْش في الأصل للحيوان ، كما تشير كتب معاجم اللغة .(٣)

ونجد عمرو بن أحمر الباهلي وهو من شعراء " المشوبات " ، يذمّ الدهر ويصفه بالأعفر ، الأعسر ، ويقدح فيه ، ومعلوم أن الأعفر من الحيوانات الجبلية قال (٤)

أَلا قَلَّ خَيْرُ الدَّهرِ كَيفَ تَغَيَّرا ... فأَصْبَحَ يَرمي النَّاسَ عَنْ قَرنٍ أَعفرا

ويقصد الى تغيّر الدهر بالناس الى ما هو ردىء وسيّء .

ويقول هذا من الشعراء من طالت بهم السن ، وكشف لهم الدهر خيرا وشرّا ، وهذا أمر معروف ، فأرسطو طاليس يصف الزمن بأحكم الحكماء لانه يكشف كل شيء ، ويرى " مسولون " أنّ الزمن يُظهر الحقيقة ويقول " ثيوجسين " انّ الزمن يكشفُ الغطاء عن كل شيء " (٥) .

وثمة صورة للدهر شديدة التعقيد ، تبدو في اتجاهات متشعّبة متزايدة في قول شاتم الدهر بن عبد القيس : (٦)

لَمَّا رأيتُ الدَّهرَ وَعْرا سَبيلُه ... وأَبدى لنا ظَهراً أَجَبَّ مُسَلَّعا
ومَعْرِفَةً حَصّاءَ غَيرَ مُفاضَةٍ ... عليه ولَوْناً بالعَثانِين أَجْدَعا
وجَبْهَةَ قِرْدٍ كالشِّراكِ ضَئيلَةً ... وشَعْرَ خَدَّيْه وأَنفاً مُجَدَّعا
هُناكَ ذَكَرْتُ الذاهبين أُولي النُّهى ... وقُلتُ لعَمرٍو والحُسامِ أَلا دَعَا

---

(١) لعلها " الدّهور " صيغة مبالغة من الدهر (٢) ديوانه ، ٢٤٤.
(٣) انظر اللسان - هرش
(٤) ديوانه ، ٦٣
(٥) مجلة عالم الفكر ، الزمن في التراجيديا الاغريقية ، مج ١ ، ع ٤، ٣٠١. وليست هذه الاقوال صحيحة على اطلاقها .
(٦) أبو العلاء، رسالة الغفران ، ٤٢٦. ولابي تمام ، الوحشيات ، ٢٢٠. أجبّ : مقطوع الظهر الشراك : الحذاء . العثانين : أسفل الذقن . حَصّاء : مقطوعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد ارتفعت دقة التكثيف عند الشاعر حدّ الاداء الرائع الذى أفلت من يديه السيطرة في اقامة الدهر هيئة واحدة ، فراح يرسم الشاعرُ متطرفا الدهر شكلا حيّا مقطوع الظهر كالبعير الهازل ، بل هو بعير هازل ، غير أنّ له جبهة قرد ضئيلة كالشراك ، وخدّين مصكوكين ضعفا وهزالا وشُؤْما ، وشعره قصير مفرّق وأنفه مجدّع وهو يرى الدهر بوحي من بيئته ويتخذ له مما يرى من القبح أشكالا ويزدريه ويحتقره ، وهذا يشي بأن الخوف من الدهر ينقلبُ احيانا الى ثورة وحقد ومثل هذا في قول لبيد بن ربيعة الذى قال انّ الدهر يستشعر خسّة حاله بالنظر الى قوم لبيد قال [١] :

وأرَى أُرَيِّدَ قد فَارَقَني ... ومِن الأَزاءِ رُزْءَ ذُو جَلَلٍ
في قَروم سادةٍ من قَوْمِه ... نَظَرَ الدَّهرِ إليهِمْ فابْتَهَلْ

وجاء الدهر على هيئة غول ختور غادر ، وغدره أقبح الغدر ، ومن ذلك قول امرىء القيس يجعل الدهر هو الغول نفسه قال [٢] :

ألَمْ يُحزِنْكَ أنَّ الدَّهْرَ غُولٌ ... خَتُورُ العَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجالا

ويقول أمية بن أبي الصلت [٣] :

اجعَلِ المَوْتَ نَصْبَ عَيْنَيْكَ ... واحذَرْ غَوْلَةَ الدَّهرِ إنَّ للدَّهْرِ غُولا

وهذا الغول مسؤول عن الموت في رأي أمية ، وهو مقود للدهر . ويُذكّر هذا ببعض الشعراء الجاهليين الذى جعلوا للدهر خيولا مقودة ، كما هي خيول الحرب . [٤]

وأميمة بن الجلاح يقول : [٥]

صَحَوتَ من الصِّبا والدَّهر غُولٌ ... ونَفْسُ المَرءِ آونَةً قَتُولُ

ومتمّم بن نويرة يرى الرأي نفسه حتى في شعره الذى قيل في الاسلام في رثاء أخيه قال [٦] :

فَعَدَدتُ آبائي إلى " عِرْقِ الثَّرى " ... فدَعَوْتُهم فَعَلِمْتُ أنْ لَمْ يَسْمَعُوا
ذَهَبُوا فَلَم أدرِكْهُمُ وَدَعَتْهُمُ ... غُوَلٌ أتَوْهَا والطَّرِيقُ المَهْيَعُ

---

(١) ديوانه ، ٠٩٧ القَرم : الفحل من الابل . وهنا السيد المُكرم .
(٢) ديوانه ، ٠٣٠٩
(٣) ديوانه ، ٠٢٤٦
(٤) أنظر : عبدالله الصائغ ، الزمن في الشعر العربي في مرحلة ما قبل الاسلام ، ٠٢٧٨
(٥) القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، ٠١٣١
(٦) المفضل الضبي ، المفضليات ، ٩٢ . المهيع : الواضح .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأيام الدهر غول تسلك بالمرء الطريق الواضح الى الموت . ويؤكد هذا القول ، قول محصن بن عتبان الزُبيديّ [١] :

كذَاكَ الدَّهْرُ والأَيام غُـــوَلٌ ... لَهـا فـي كلِّ سائِمةٍ نَصِيبُ

فللأيام نصيب من نفوس الناس وحيواناتهم .

صورة الدهر الناقة أو البعير

انّ أهم صورة يمكن تأولها أنها صورة الدهر الناقة صورة حلب الدهر أشطرا كل خِلفين مرة ، من ذلك قول شُراحبيل بن جُعال في الكريم الذى حنكته التجارب قال [٢] :

مِنَ الأَوليـن عَالَجَ الفَقْرَ والغِنَى ... وكُلَّ ضُرُوعِ الدَّهرِ ما زال يَحْلِبُ

وقول ذي الأُصبع العَدواني [٣] :

وحلبتُ هذا الدهر أشطره ... وعَلِمتُ ما آتي مِنَ الأَمْرِ

فهو يظن أنه استكمل العلم والدراية ، ومثله قول الحارث بن وعلة الشيباني [٤] :

وَحَلَبْتُ هَذا الدَّهرَ أَشطَرَه ... وأَتَيْتُ ما آتي عَلى عِلْمِ

وشهيّ بمثلهما الصَفْعُ وإنها لبداية الجهل ان يظن المرء نفسه عالما .
أعود وأقول الصورة هنا في حَلْب الناقة [٥] .

ويرى حاتم الطائي أيام الدهر ولياليه مطايا يُقرّبن الصحيح الى البلى ، وهي رؤية واعية ، وتتميّز بالصدق والواقعية وحقا انّ الأيام تقرّب الصحيح الى البلى ، ويدنين القوى الى ضعف قال [٦] :

ومَا هُوَ الاّ لَيْلَةٌ ثُمَّ يَوْمُهـا ... وحَوْلٌ إلى حَوْلٍ وشَهْرٌ إلى شَهْرِ
مَطايا يُقرّبنَ الصَحيحَ إلى البِلَى ... ويُدْنِينَ أَشْلاءَ الهُمامِ إلى القَبْرِ
ويَتْرُكْنَ أَزْواجَ الغَيورِ لغَيْرِه ... وَيقْسِمْنَ مَا يَحْوي الشَحِيحُ مِنَ الوَفْرِ

---

(١) السجستاني ، المعمّرون والوصايا ، ٢٧.
(٢) حماسة الخالديين ، ٧٧.
(٣) ديوانه ، ٤١. وانظر الميداني ، الأمثال ، ١٣٢، ٣٣٦.
(٤) الأخفش ، الاختيارين ، ٢:٣٨٧ وهي " للربيعي" ولعله نفسه - في حماسة البحتري، ٣٠.
(٥) ديوانه ، ٢٧٠.
(٦) ديوانه ، ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تكون المطايا من الابل،وهنا لا تحمد هذه المطيّة ، فهي تسير بالمرء جبرا وتسيّره الى الموت .

ولكنّ تأبط شرا له رؤية غريبة في الانسان ، فهو يرتفع به الى ان يكون فحلا يُقارع الدهر الناقة - اذا ذهبنا الى أنّ قريعٌ تعني الفحل - وهو ذاك الانسان الحازم الذي يسلك طريق النجاة ولا يسلم قيادَهُ وان طال ضيقه وكربه .

قال (١) :

ولكنّ أخو الحَزْمِ الذي لَيْسَ نَازِلاً ... به الأمْرُ الاّ وهْوَ للأمْرِ مُبْصِرُ
فَذَاكَ قَرِيعُ الدَّهرِ مَا عَاشَ حُوَّلٌ ... إذا سُدَّ منه مِنْخَرٌ جَاشَ مِنْخَرُ

وثمة صورة الدهر الناقة التي تبرك بكلكها على المرء ، وقد وُصف الليل بالكَلْكَل في شعر امرىء القيس ، والكلكل هو صدر الناقة (٢) .

قال (٣) :

فَقُلت له لمَّا تَمطَّى بِصُلْبِهِ ... وأَرْدَفَ أَعْجازاً ونَاءَ بِكَلكَلِ
ألاَ أَيُّها اللَّيلُ الطَّويلُ ألا انجَلِي ... بِصُبْحٍ وما الإصْباحُ مِنْكَ بأَمْثَلِ

فذكر امتداد وسط الليل وتثاقل صدره وترادف أعجازه شيئا فشيئا وهذا منتظم لجميع نعوت الليل كما يذكر الآمدي " فجعل الليل متمطيا من أجل امتداده وصَلُح أن يستعير للصَّدْر اسم الكَلكَل من أجل نُهوضه وهذه أقربُ الاستعارات لشدة ملاءَمة معناها لمعنى ما استعيرتْ لَه " (٣) .

ومن قولهم في كلكل الدهر قول ذي الأصبع العُدواني ، قال (٤) :

إذا ما الدَّهر جَرَّ على أُنَاسٍ ... كَلاكِلَه أَنَاخَ بآخَرِينَا

وذكر المهلهل بن ربيعة في شعره الزمان ، وقد رأى له جرانا وكلكلا ، قال (٥) :

يا لَهْفَ نَفْسِي مِنْ زمانٍ شَفَّنِي ... ما إنْ نَكِرتُ فَجِيعَةَ الإخْوَانِ
يا لَهْفَ نَفْسِي مِنْ زَمَانٍ فَاجِعٍ ... أَلْقَى عَلَيَّ بِكَلْكَلٍ وجِرَانِ

---

(١) ديوانه ، ٨٧ .

(٢) ربما يصلح ان يكون الكلكل الصدر من كل حيوان غير انه للناقة اكثر مناسبة وانظر اللسان - كلكل .

(٣) الزوزني ، شرح المعلقات ، ٢٧ .

(٤) الآمدي ، الموازنة بين الطائيين ، ١ : ٢٥٠ .

(٥) ديوانه ، ٨٣ ونسب للعلاء بن قرظة (أموي) ، الشعر والشعراء : ١١٥ وفي الوحشيات لفروة ابن مُسيك المُرادي ، ٢٧ .

(٦) شعره ، نافع الراجحي ، (رسالة) : ٣٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقول النابغة الجعدي من قصيدته " لمَن الدار كأنضاء الحِلَلْ " قال (١):

وَضَعَ الدَّهْرُ عَليهِم بَرْكَهُ ... فَأَبيدُوا لَمْ يُغادِرْ غَيْرَ فَلْ

ومن قولهم في كلكل الدهر قول امرأة تُوفّي ولدها عمرو في نشيج محزن قالت (٢):

يَا عَمرو مَا بي عَنْكَ مِن صَبْرِ ... يا عَمرو يَا أَسَفا عَلى عَمْرِ
أَخْنَى عَليهِ الدَّهْرُ كَلْكَلَهُ ... مَنْ ذَا يَقُومُ لِكَلْكَلِ الدَّهْرِ

ومثل هذا في كلكل الدهر القول الذى نُسِب الى سابق البربري الشاعر الزاهد من العصر الأموى ، قال (٣) :

وَكَيف يأْمَنُ رَيْبَ الدَّهرِ مُرْتَهَنٌ ... بِعَدْوَةِ الدَّهرِ إِنَّ الدَّهْرَ عَدَّاءُ
أَلْقَى عَلى الجِيلِ مِن عَادٍ كَلاكِلَهُ ... وقَوْمُ هُودٍ فَهُمْ هَامٌ وَأَصْدَاءُ

فهذا القول يظهر عقيدة الجاهلية في الهام والصدى ، بله عقيدة الجاهليين في الدهر وهم تصوّروا النفس طائرا ينبسط في الجسم فاذا ما مات الانسان أو قتل لم يزل مطيفا به مستوحشا يصدح على قبره ، وكان من زعم بعض الجاهلية أنّ الانسان اذا مات أو قتل اجتمع دم الدماغ أو أجزاء منه فانتصب طيرا هامَة ترجع الى رأس القبر كل مئة سنة (٤) ولا يصلح مثل هذا السابق البربرى بل ان هذا القول يذكّر بقول أبي دواد الايادى (٥) :

سُلِّطَ المَوْتُ والمَنونُ عَليهِم ... فَلَهُم في صَدى المَقابِرِ هَامُ

وقد يجمع الشاعر النّاب والكَلكَل للدهر في صورة واحدة ، وقد يجمع الى ذلك صورة الدهر الصائد الذى يسلب المرء حياته وشبابه وسلاحه .

قال الأسود بن يعفر مستغيثا (٦) :

أَلَا هَلْ لِهَذا الدَّهْرِ مِنْ مُتَبَدَّلِ ... سِوَى الناسِ سَمّا شاةٌ بالناسِ يفعَلِ
فَما زَالَ مَدْلُولاً عَلَيَّ مُسَلَّطاً ... بِبُؤسِي ، ويَغْشَانِي بِنَابٍ وَكَلْكَلِ
وألقَى بِلاحي كَامِلاً فاستَعَارَه ... لِيَسْلُبَنِي نَفْسِي ، آمَالِ بنِ حَنْظَلِ

---

(١) ديوانه ، ٩٧ .

(٢) الاخفش ، الاختيارين ، ٢ : ٢٩٢ .

(٣) ديوانه (تحقيق د . أحمد بدر ضيف) ٨٦ . ويتصل قوله بما نسب لعدي بن الرقاع العاملي : بَرَكَتْ عَلى عادٍ كَلاكِلُ دَهْرِهم ... وثَمودَ بَعد تَكاثُرٍ وثَراءِ
وما أظنه له . انظر ديوانه (تحقيق د . نوري القيسي وحاتم الضامن) : ١٦١ .

(٤) د . جواد علي ، المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ١٤٠ وانظر اللسان : هام .

(٥) الأصمعي ، الأصمعيّات ، ٨٧ .

(٦) ديوانه ، ٥٤ . وقصد قبيلة مالك بن حنظلة ، يستغيث بهم . ورخّم حنظلة اضطرارا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالدهر يغشاه بناب وكلكل ، ثم هو مغتصب لحق المرء من شبابه ويغلبه عليه ، وهو قوة غير عادلة ومستبدّة (١) .

وأظنّ أنّ قيام الدهر على أكثر من صورة في القصيدة الواحدة نفسّها له ما يسوّغه عند الجاهلي ، فهو ينظم من منهل الذخيرة الأسطورية التي وجد عليها الأوليين وهو وجد ذخيرة ثرّه . فلم يقنع لشدة ألمه من الدهر واحساسه بظلمه وثورته عليه بصورة ممضّة واحدة له ، بل نفذ الى أكثر الصور تأثيرا وعقد الوشائج بينها ليُحدث تركيبا خاصا جديدا يبسط فيه تلك الانفاس التي نفحها الدهر بوجهه ويلقيها في غير ما صورة واتجاه وهو ساع إلى التأثير ملتقطا كل ما يمكّنه من احداث هذا التأثير وهو موفق في هذا السعي خير توفيق ولا يخدش البنية الواحدة للصورة الكاملة للدهر وهيئتها القاهرة المستبدّة .

- ٩ -
صورة الدهر ومظاهر الطبيعة الصامتة

أ : صورة الدّهروالرّياح :

يمثّل مجيء الدهر صورة رياح هوجاء أو مطر مفسد أو برق مخيف نظرة الشاعر التقديسية للمظاهر الطبيعية ، على أنّه لم يأت الدهر في صورة الرياح في لفظ صريح وانما لُمّا يمكن تأوله على هذه الصورة . فلقد أسند الشاعر الجاهلي الى الدهر الافعال التالية مما يمكن اسناده للرياح كـ " ساق " و " دار " و " ذعذع " و " شتّت " ووصف الدهر " بالحَسوم " ووصف صرفه " بالمُتَحوّل " (٢) الذى يدور بالمرء حالا فحالا .

وما دفعني الى توقع أن الدهر جاء في صورة الرياح أمران :
أولهما : وصف الموت بالسّيّق من السحاب وهو الذى تسوقه الرياح وليس فيه ماء قال عبيد بن الأبرص في سحائب الموت التي اهلكت عادا قال (٣) : (وأسند الموت الى الدهر)

وخَيَّرني ذُو البُؤسِ في يومِ بُؤسِهِ ... خِصَالاً أَرَى في كلِّها المَوْتَ قَد بَرَقْ
كَما خُيِّرتْ عَادٌ مِنَ الدَّهرِ مَرَّةً ... سَحَائِبُ مَا فيها لذي خِيرةٍ أَنَقْ

---

(١) أنظر حماسة البحتري : ١ : ٢٥٠ . وديوان الأعشى ، ١٨١ ، ١٨٥ . وديوان تميم بن مقبل ، ٦٠ .
(٢) انظر علقمة الفحل ، ديوانه ، ١٣٠ . وديوان الاعشى ، ١٥١ . وديوان أمية ابن ابي الصلت ، ٢٨٢ . وديوان تأبط شرا ، ٢٠٤ . وشعر المهلهل بن ربيعة التغلبي ٢٥٧ .
(٣) ديوانه ، ٨٨ ، ويروى "كما خُيِّرتْ عَادٌ مِن اللّهِ " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأمر الاخر هو ما أُسند الى الدهر من العَصف بالانسان كَعَصْف الرياح بالاشجار والزروع - قال لبيد بن ربيعة وقد تصدّى لرياح الدهر ووصف نفسه وقومه بخير ما يكون عليه العُود وهو عود النَبعة الذى يُتَّخذ منه القِسيّ - قال [1]:

ونَحْنُ أُناسٌ عُودُنا عُودُ نَبْعَةٍ ... صَلِيبٌ إذا مَا الدَّهْرُ أَجْشَمَ مُعْظِمَا

والأعشى يرى ممدوحه أهل ثقة لحمل الثقال عن المتعبين اذا ما الدهر أثقلهم و " ساق " المصائب العظام ، قال [2]:

إلى حَامِلِ الثِّقْلِ عَنْ أَهْلِهِ ... إذا الدَّهْرُ سَاقَ الهَنَاتِ الكِبَارْ

والسوق عكس القيادة ، فساق الماشية : حثّها على السير من الخلف [3]، وهذا فعل الرياح ، وقد ينصرف الى غير مدلول واحد . وثمة صورة للأغصان المثمرة تهيج فتُصبح مُصفَرّة وتتساقط أوراقها ، ويجدّ نسغ الحياة بها ، يُقابلها صورة المرء يكر عليه الدهر ويتقلب به ويدور كفعل الرياح،ويفنيه مرّ الدهور ، كما يُفني المال ، قال كعب بن زهير : [4]

والمَرءُ والمَال يَنْمِى ثُمَّ يُذْهِبُه ... مَرُّ الدُّهورِ ويُفْنِيهِ فَيَنْسَحِقُ
كالغُصْنِ بَيْنا تَراه ناعِما هَدِباً ... إذْ هَاجَ وانحَتَّ مِنْ أَفنانِهِ الوَرَقُ
كَذَلِكَ المَرءُ إنْ يُنْشَأْ لَهُ أَجَلٌ ... يَرْكَبْ بِهِ طَبَقٌ مِنْ بَعْدِهِ طَبَقُ

ومرّ الزمان يُبلي المرء ، وان كان فيما كان كالغصن الناعم وتبْتريه الأيام في تقلبها به وتحتّه،وينسب الى لبيد بن ربيعه قوله : [5]

ولَئِنْ كَبِرْتُ لَقَدْ عُمِّرْتُ كَأَنَنِي ... غُصْنٌ تُفَيِّئُهُ الرِّيَاحُ رَطِيبُ
وكذَاكَ حَقاً مَنْ يُعَمَّرُ يُبْلِهِ ... كَرُّ الزَّمانِ عَلَيْهِ والتَّقْلِيبُ
وإذا السُنُونَ دَأَبْنَ فِي طَلَبِ الفَتَى ... لَحِقَ السُّنُونُ وأَدْرَكَ المَطْلُوبُ
حَتَّى يَعُودَ مِنَ البَلاءِ كَأَنَّهُ ... فِي الكَتِّ أَفْوَقُ نَاصِلٍ مَقْضُوبُ

---

(١) ديوانه ، ٢٨٠.

(٢) ديوانه ، ٥١.

(٣) الصحاح - ساق

(٤) ديوانه ، ٢٨٨.

(٥) ديوانه ، ٣٦٢. وانظر الأخفش ، الاختياريين ، ٢ : ٥٤٠. وتميم بن مقبل ، ديوانه ٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما شبّه الشاعر الجاهلي نفسه بالقناة لاتلين ، ثم انها تلين على ضربات الرياح وعَصْفها به في المَساء والصباح قال النَّمر بن تَولب [١] :

وكَانَتْ قَناتِي لا تَلِينُ لغَامِزٍ ... فَألانَهَا الإصْبَاحُ والإمْسَاءُ

ويأتي الدهر في صورة رياح حاصدة لدى صفيّة الباهلية ، وقد كسرت الرياح غصن أخيها ، وقيل زوجها - بعد أن طال فرعه وطاب ثمره وبقيت هي تنتظر ، والزمان لا يبقي على شيء ولا يذر قالت [٢] :

كُنّا كَغُصْنَيْن في جُرثُومَةٍ بسقا ... حيناً عَلى خَيْرِ مَا يَنْمَى به الشَّجَرُ
حَتّى إذا قِيلَ قَد طَالت فرُوعهما ... وَطَاب قِنوَاهُما واستُنْظِرَ الثَمَرُ
أَحْنَى عَلى واحدي رَيْبُ الزَّمانِ وَمَا ... يُبْقِي الزَّمانُ عَلى شَيءٍ ولا يَذرُ

ورأى الشاعر الجاهلي المرء شهابا تضرب سناءه الدهر فيخبو، قال امرؤ القيس [٣] :

بَيْنَا المَرءُ شِهابٌ ثَاقِبٌ ... ضَرَب الدَّهْرُ سَنَاه فَخَمَدْ

وهي صورة جميلة معبّرة وفيها سموّ شاعري . وذكر لبيد بن ربيعة [٤] :

وَمَا المَرءُ الاّ كالشِّهابِ وَضَوْئِهِ ... يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ

ورأى الجاهلي الدهر يأتي على العروش فيهدمها ، وتنقعر تحت ضرباته وعلى البيوت العامرة فيقوّضها من عل ، ولعله يتصورها في شكل رياح مرت على الديار قال لبيد بن ربيعة في قومه [٥] :

تَمَنّى ابنَتَايَ أَنْ يَعيشَ أَبوهُما ... وَهل أَنا الاّ من ربيعَةَ أَوْ مُضَرْ
وفيمَن سِواهُم مِنْ مُلوكٍ وسُوقَةٍ ... دَعائِمُ عَرْشٍ خَانه الدَّهْرُ فانْقَعَرْ

وجليلة بنت مرّة [٦] ، تقيم صلة بين مَقتل أخيها وخراب بيتها وبين الدهر وتجعل الدهر سببا في تحطيم بيتها ودماره ، قالت [٧] : "ونسبت لغيرها "

يَا قَتيلاً قَوَّضَ الدَّهرُ بِهِ ... سَقْفَ بَيْتِي جَميعَاً مِنْ عَلِ

---

(١) ديوانه ، ١٢٩ . وتنسب لحميد بن ثور، ٦٥ .
(٢) ابن عبد ربه ، العقد ، ٣ : ٢٠٤ . وانظر ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٧ : ١٦٧ .
(٣) ديوانه ، ٢١٨ .
(٤) ديوانه ، ١٦٨ .
(٥) ديوانه ، ٢١٣ .
(٦) أبو تمام ، الوحشيات ، ١٢٩ .
(٧) الاصفهاني ، الزهرة ، ٨١ . تنسب الى ماويّة بنت مرّة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي صورة مركّبة ، جمع ما بينها قولها " به" .

وزهير بن أبي سلمى يرى الدهر يسوقه الى الموت ويقلّبه في رواح وغدوّ قال[١] :

بَدا لي أنَّ النَّاسَ تَفْنَى نُفُوسَهُم ... وأَمْوَالَهُم ولاَ أَرَى الدَّهْرَ فَانِيَا
أَرانِي إذا مَا بِتُّ بِتُّ عَلَى هَوىً ... فَثَمَّ إذا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَاوِيَا
إلى حُفرة ، أَهوي إليْهَا مُقِيمَةٍ ... يَحُثُّ إليهَا سَائِقٌ مِنْ وَرَائِيَا

وأظنّه يقصد الدهر في قوله " يحثّ إليها سائق من ورائيا "

وقد وُصف الدهر بالمنجنون " وهو الدولاب ، وقد وصفه الشاعر حالة دورانه وعطفه والدوران يكون للارض والرياح والانسان[٢] .

قال أبو دؤاد الايادى (جارية بن الحجّاج)[٣] :

إنّما النّاسُ فاعْلَمَنَّ طَعَامٌ ... خَبِلٌ لِرَيْبِ المَنُونِ
عَطَفَ الدَّهْرُ بالفَنَاءِ والمَوْتِ ... عَلَيْهِمْ يَدُورُ كالمَنْجَنُونِ

تشبيها لحركة الدهر في العطف والدوران والمكر بهم .

صورة الدهر والمطر :

أشير بداية الى موقف الجاهلي من المطر - وهو موقف درس دراسة وافية[٤] فأنكر أن الشاعر الجاهلي وقف موقفا صارما من المطر فكان اذا دعا بالسُّقيا لديار أهله أو مرثيّه احترص في ذلك ، وهذا الحرص في قوله" سقى ديارك غيرُ مفيدها "[٥] وكثيرا ما وصف الشاعر الجاهلي المطرَ مُفسدا ، قد أفسدت سيوله الديار وأضرّت بالزروع وآذت النساس .

وجدير بالملاحظة أن الشاعر الجاهلي شبّه الشرّ بالمطر واستعارة لبه ، قال المثقّب العَبْدي[٦] :

---

(١) ديوانه ، ١٨٠ .

(٢) انظر قول امرىء القيس مثلا : فكذاك الدهر يرمي بالفتى كلَّ مَرْمَى ولِذي الغَيِّ سَبَبْ
ديوانه ، ٢٩٣ .

(٣) حماسة البحترى ، ١٢٣ . المنجنون : الدولاب

(٤) دراسة الدكتور انور ابو سويلم :المطر في الشعر الجاهلي " ود . نصرت عبدالرحمن ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، الملحق منه : المطر عند أبي ذؤيب .

(٥) انظر مثلا : ديوان طرفة ، ٩٧ . والمفضليات ، ٣١ .

(٦) ديوانه ، ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخَيْر لا يَأْتي عَلـى عَجَـلٍ والشرُّ يَسْبِق سَيْلَه مَطَـرُه

واحترص الشاعر العربي في تسمية الماء الذى يستفيد منه الانسان والزرع بالغيث . ويتصل هذا القول بالحديث عن صورة الدهر المطر في الشعر الجاهلي ان الشاعر أقام الدهر في هيئة المطر يُفسد عيش المرء بعد دوام رضا ويُشقيه بعد طيب حياة .

قالت جنوب الهذلية (١) :

كلُّ امْرِىءٍ بطوال العَيْش مَكْذُوبِ وكُلُّ مَنْ غَالبَ الأيامَ مَغْلُوبُ
بَيْنَا الفَتَى نَاعِمٌ راضٍ بِعَيْشَتِهِ سَبَق لَهُ مِنْ دَواهِي الدَّهْر شُؤْبُوبُ

والشؤبوب : الدفقة الغزيرة من المطر ، تأتي على غفلة هنا وقد اتبعت الشاعرة العيش بالرضا وهذا ما عليه جُل الشعراء الجاهليين ، فالشاعر الجاهلي يُورد كلمة العيش ويُتبعها عادة بالرضا والسرور ، وأمثلة هذا الرأي غير قليلة ومتوافرة (٢) ، قال طرفة في العيش ورآه كنزا (٣) :

أرى العيش كنزا ناقصاً كلَّ لَيْلَةٍ وما تَنْقُصُ الأيامُ والدَّهرُ يَنْفَدِ

وقد وُصِف " الزمانُ " بالبُرودَةِ والثِقل النفسي ، قال الأعشى (٤) :

لمَّا رَأَيْتُ زَماناً كَالِحاً شَيِماً قَدْ صَار فيهِ رُؤوسُ النَّاسِ أَذْنَابَا

فالشَيم : البرودة ، والاعشى يرى تقلب الزمان الى سوء ، وهذارأي له في الشعر الجاهلي مؤيدات كثيرة (٥) .

والناس منذكانوا يَنْظرون إلى الدهر يصير بهم الى ما هو أسوأ ولا سيما أن الانسان ينتظره الموت ، والشباب نهايته ضعف وشيخوخة وعجز .
وهذه النظرة غير عادلة ، فكل شدة الى رخاء ، والدهر هو ومن وجهة النظر نفسها ممن يصير بالصبي الى الفتاء وبالمريض الى الشفاء وبالمحزون الى السلوّ وبالغائب الى الإياب .

---

(١) ديوان الهذليين ق ٣:١١٥ .
(٢) أنظر المبداني ، الامثال ، ١ : ٤٧٠ . ديوان النابغة الذبياني ، ٢٣٠ . ديوان عدى بن زيد ١٩٨ . ديوان الخنساء (تحقيق ابو سويلم) ، ٤٠٥ . وعمرو بن قميئة ، ٤١ .
(٣) ديوانه ، ٥٤ .
(٤) ديوانه ، ٤١٣ . الكالح : العابس
(٥) انظر : ديوان الخنساء (صادر) ، ٨٨ . ديوان لبيد بن ربيعة ، ١٥٧ . وانظر عبدالاله الصائغ الزمن في الشعر العربي في مرحلة ما قبل الاسلام ، ١٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ١٠ -

صور أخرى للدّهر

ثمّة اشارة لمجيء الدهر صورة برق ، ففي شعر النابغة الذبياني قوله [١] :

قُلْ للهُمام وخَيْر القَول أَصْدَقُه ... والدَّهْر يُومِضُ بَعْد الحَال بِالحَالِ

فالومض للبرق وهو اللمعان وهو يريد أن الدهر على حالين من خير وشر .

ويبدو أن وصف الدهر بالبرق غير موفق لدى النابغة في هذا الموقع، وربما كان عبيدُ بن الابرص موفقا عندما شبّه الموت بالبرق كما مَرّ . ولقيط بن يعمر أيضا [٢] .

والنابغة الذبياني قد شبّه الدهر هيئة شجرة تميد بها الغصون وتكاد يختص بهذا الوصف عن غيره من الشعراء ، قال [٣] :

وقَدْ تَغْنَى بِها والدَّهْر ضَافٍ ... لَه وَرَقٌ تَمِيدُ بِهِ الغُصُون

فان أمكن تأول البيت على أن الدهر هنا يعني العيش بالديار وهو عيش رغد واسع كان قوله موفقا .

وهو قول يشابه ما ذهب اليه تميم بن مقبل من الوصف ، قال [٤] :

وبيضٍ مَباهِيجٍ كَأنَّ خُدُودَها ... خُدودُ مَهاً أَلْفَنَ مِن عَالِجٍ هَجْلا

ثِقالُ الخُطى غِيدُ السَّوالِفِ لَم تُعِمْ ... عَلَى الخَسْفِ يَمْلأْنَ الدَّمالِيجَ والحِجْلا

لَهُوتٌ بِها ، والدَّهْرُ ضَافٍ قَناعُه ... عَلَيْنا ولَمْ يَقطَع لَنا كاشِحٌ وَصْلا

فالشاعر قصد بقوله " والدهر ضاف قناعه " إلى ان عيشه كان واسعا ورغدا هنيئا .

وثمّة صورة تقابل بين أثر المنون وهو الدهر في الانسان وبين صورة القمر في مراحله ، قال حنظلة بن أبي عفراء [٥] :

---

(١) ديوانه ، ٧٥

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص ٨٨ . وديوان لقيط بن يعمر ، ٣٤ .

(٣) ديوانه ، ٢٥٧

(٤) ديوانه ، ٧٣ . الدملوج : العضد .

(٥) الجاحظ ، الحيوان ، ٣ : ٤٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَهْما يَكُن رَيْبُ المنون فإنّني ... أَرى قَمَرَ اللّيل المُعذّبِ كالفَتَى
يَهِلّ صَغيراً ثُمّ يَعْظُم ضَوْؤُهُ ... وَصُورَتَهُ حَتّى إذا مَا هُوَ استَوى
تَقَاربَ يَخْبُو ضَوْؤُه وشُعاعُه ... ويَمْصَحُ حَتى يَسْتَتِر فَما يُرى
كَذلكَ زِيدُ الأَمْرُ ثُمّ انْتِقَاصُه ... وتكرَارُه في إثْرِه بَعْدَمَا مَضَى

فهو يشبه الانسان بالقمر في مراحله ويعلل انتقاصه بعد زيادته الى ريب "المنون" به وهو الدهر" وهو صورة تذكّر بقول لبيد في النجوم التي لا تبلى على الدهر ويعكس موقفا مخالفا لقول حنظلة ، قال لبيد بن ربيعة [1] :

بَلِينَا وما تَبْلى النّجومُ الطّوالِعُ ... وتَبْقَى الجبالُ بَعْدَنا والمَصَانِعُ
وَما المَرْءُ إلاّ كالشّهاب وضَوْئِه ... يَحورُ رَماداً بَعْدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ

فهو ينظر الى المرء على أنه شعاع يخبو ضوؤه بعد قوة ولا يرى هذا للقمر أو للنجم وهو لا ينسب الموت الى ريب المنون وانما يصف الحالة دون الحديث عن أسبابها .

وثمّة صورة الدهر يأخذ من الجبال في قول امرىء القيس ، قال : [2]

أُرجّي مِنْ صُروف الدّهْرِ لِيناً ... ولَمْ تَغفَل عَن الصمّ الهِضَاب

وهي صورة تخالف ما ذهب اليه الجاهلي في أمنيته أن يكون حجرا أقام في واد أو صخرة صمّاء جامدة .

- ١١ -

جاء الدهر في صور كثيرة كما هو واضح من الرصد السابق ، وهي صور لم يقصد الشاعر الجاهلي منها توضيح ماهيّة الدهر ، وانما هي صور تُعطي الدهر رؤى جديدة الصوغ . وتكاد لا تمتّ الى الدهر مفهوما رياضيا بأي صلة ، في غالبها ، وقد امتزجت ذات الشاعر وما يعتمل فيها فأضحت صورة الدهر رؤية الشاعر للدهر ... والشاعر الجاهلي أوّلُ الشعراء استعدادا للتخلّي عن النسب الحقيقية لمفردات الصورة التي يقيمها ، ولديه الميل الشديد للانفلات من الضوابط المنطقية لهذه المفردات . فهو يهيم في كل واد هياما لا ينهض بالحقيقة أوّلَها ، ويَبني صوَرهُ في سياق مفهومه لمفردات

---

(١) ديوانه ، ١٦٨ . المصانع : مجامع المياه .

(٢) ديوانه ، ٩٧ .
الصم : الصخور القوية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة ولذا كانت صور الدهر في الشعر الجاهلي نتاجا لهذا الاستعداد ، ونشأة من هذه الرؤية الهائمة ...

وهذه الصور تنسب الى الدهر ما لا يصح نسبته اليه ، في توجّه مبدع ومؤثر ويُسقِط هذا التوجه الحدود والحواجز بين مفردات الطبيعة الحيّة وبين الدهر، وبين حقائق الموت والحياة والدهر ، فقد أُسيد الى الدهر الموت والبلاء والجدب والفراق، ... وهذا اسناد لا يدعمه العلم الصريح ولا يجيزه الفهم الصحيح وانما هي صور مثيرة تشابه الفكر الاسطوري القديم ، وتبدو سليلة له في القول بعبثية الدهر والقدح في حكمته ، وفي نسبة الموت اليه ، فقد صوّر الشاعر الجاهلي الموت جَنى يدي الدّهر وفعله وعثرته

ولعلّ همّ الشاعر الجاهلي في تشخيص الدهر أن يُقيمه في كيان موضوعي مادّي ليخرج به الى مرتبة يستطيع فيها ان يحاوره وأن يحتج الانفاس التي احتواها صدره من حقدٍ على الدهر ومن وَصْفٍ لظلمه ، ذاهبا في مسافات بعيدة من المجاز ، مما يبعث الحيوية للدهر ومما يواسي جرح الشاعر منه وألمه ، حتى لكأنما ونحن ندرس نموص الدهر في الشعر الجاهلي لانقف عند لغة مجازية جاءت للايضاح أو التفسير وكأنما هذه الصور جاءت صدى لحاجة روحية وتتمثل هذه الحاجة في الرغبة الكبيرة في الاستمرار في الحياة السعيدة ، فالشاعر الجاهلي لمّا رأى الدهر جديدا ليله ونهاره ورأى انسه يمضي وينساح أشره ، وظنّ ان لا حياة بعد الموت استراح الى شتم هذا الدهر الذى يجرفه نحو الموت جرفا ... ثم استرحمه ان يُبقي أحبته وخلصاءه ، ولمّا رأى أن الدهر لا يجيبه راح يصوّره أبشع التصوير ويقذع له أقبح القذع ، فصوّره كما اتضح من قبل انسانا طائشا لا سداد في رأيه ولا رشاد لفعله، أو صائدا وحيوانا غائلا شديد البطش والفجور أو رياحا هوجاء تقلّب بالمرء كل مرمى ، أو مطرا مفسدا أو ..... ولقد أفضى به الى مسارب مشقية من الحديث والصورة .

ولا نلتقي الدهر ، وان اشترك الشعراء في تصويره انسانا أو حيوانا أو مظهرا طبيعيا صورة خاصة في شعر كل شاعر جاهلي ، فالشعراء وان شتموا الدهر وذهبوا به غير مذهب غير أنهم لم يُفردوا له من شعرهم ميدانا فسيحا، ولم يتفرغوا للحديث فيه تفرّغهم للغزل أو المديح أو الرثاء ... ولم يلتفتوا اليه التفاتا يَميزُ مذاهبهم الفنية أو طبائعهم ، ولم يفصّلوا في صورته تفصيلهم في صورة الناقة أو الفرس أو ثور الوحش .... مما يُشعِر بتكرار هذا الدهر وتَغطيّة صورته ، فصورة الدهر المُهلك تطغى على صور الدهر الاخرى ، وهي صورة قريبة المأخذ لا تحتاج الى كثير تفرغ أو طويل تأمل ، وتكاد هذه الصورة ان تكون المحور الذى يدور عليه الشعراء الجاهليون في تصوير الدهر وفي منحه صفات تدل في مجموعها على القهر والغلبة والغدر .

غير أن الشعراء يتما يسيرون في سعة المخيّلة وكثرة القول في الدهر . وأهم من تركَ أبياتا غير قليلة في الدهر امرؤ القيس وعدي بن زيد العبادي ، ولعلّ هذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرجع الى أن امرؤ القيس كان رجلا واترا ، طالباً للمُلك لم يحظ به . أما العبادي فلعلّ كثرة قوله في الدهر تعود الى سجن النعمان له وتعذيبه وتقلب الأيام به

وتأتي صور الدهر بأثرٍ من البيئة الجاهلية وحياتها فقد مدّت البيئة صورة الدهر بمفرداتها ، فهي يتصل اتصالا حميما بالصحراء وحيواناتها ، وأمطارها ورياحها فمنها استقى الشاعر مواد صورة الدهر ، وتبدو العلاقات التي كانت بين الانسان وهذه المواد علاقات كراهية ومشاحنة وعدم ارتياح ، وبعضها علاقات تقديس لهيمنة تلك المواد وقدرتها الخارقة . أو قوتها الضاربة كالسيول المفسدة ، فرأى الدهر سيلا غزيرا من المطر المفسد كما سبق رصده ، أو الحيوانات القوية ...

وجاءت هذه الصورة في الوقت الذي لم تتهيّأ فيه للانسان أدوات السيطرة الكافية على الظواهر الطبيعية المزعجة أو الحيوانات المفترسة التي رأى فيها وفي المطر والرياح سطوة الدهر وظلمه .

أما صورة الدهر الانسان ، فقد صوّر الدهر انسانا باطشا وانسانا قنيصا صائدا ولم يرد الشاعر الجاهلي فارسا يخطف النفس ولم يُجّل له شرف الفروسية ولعلّه أنِفَ هذا لانه كَرِه الدّهر ولانه يكره الصائد وختره ومراوغته فقد صوّر الدهر بصورة الصائد وللصائد صورة قبيحة في الشعر الجاهلي . وتصوير مقذع .

غير أنّ الشاعر الجاهلي لم ير الدهر صورة جميلة من الطبيعة ، ولا صورة انسان طيّبة ، وكيف ذلك وهو يرى الدهر خصمه ومُهلكه . ولعلّ هدف تكوين هذه الصور في هيئتها هذه في الدهر المُخاتل المستبد هو التواصل مع الخط الشعوري العام للمجتمع الجاهلي ، ولعلّ هذه الصور غاية في حَدّ ذاتها .

وقد عمد الشاعر الجاهلي في صورة الدهر الى كيفيّاتٍ يمكن استقصاؤها وتبينها والقول بتكرارها ، فغالبا ما استهل صورة الدهر بالفعل "رأيت"، "وألم تَرَ" "وأرى"؟ ولعل هذا كان رغبةً منه في التأثير والتأكيد لما في هذا الفعل من قوّة وفاعليّة (١) .

---

(١) أنظر مثلاً : قول الخنساء " أرى الدهر ... القطعة ٣٩، البيت ٥ ، ص ٣١٨ (تحقيق أنور أبو سويلم) وقولها : " فقلتُ لَه لمّا رأيتُ الدّهرَ ... (نفسه ، قطعة ٤٩ ب ٢١، ٣٨٧ وعدي بن زيد العبادي : "ألم تر ريب الدهر .. (ديوانه ، ١٨٠)، وقوله :مَنْ رَأَيْتَ المَنونُ خَلّدنَ ...، ٨٧) . وطرفة بن العبد (أرى العيش كنزا .. والدهر ينفد ، ديوانه ، ٥٤. والاعشى (الم تروا ارما وعاد أودى بها الليل والنهار ، قطعة ٥٣، ص ٣٣١ وقوله (الديوان وان أرى الدهر في صَرفه ... قطعة ٢، ص ٦٥ . والمُخَبّل السعدي (بَلْ كَم رَأَيتَ الدّهرَ ... ←

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونكاد نحسّ بالنمطية في بعض صور الدهر في الشعر الجاهلي ، فتتكرر العبارة " والدهر لا يبقى على حدثانه " أو " أرى الدهر لا يبقى على حدثانه " بغالبية كبيرة في كثير من صور الدهر التي تتحدث عن الحيوان وكيف يخنى عليه الدهر . وهي العبارة التي يستهل بها الشاعر الجاهلي قصص الحيوان وغالبا ما تأتي هذه العبارة الأثيرة في الرثاء (١) .

وفي صور الدهر يميل الشاعر الجاهلي الى استخدام اسلوبي التوكيد والحصر في التركيب اللُغوي لهذه الصور (٢) . ويميل غالبا الى الاستفهام الاستنكاري كذلك (٣) .

=== ديوانه ، ١٢٧ . وقول صخر بن عمرو (ألا لا أرى مستَعْتِب الدَّهر مُعْتَبا ... (أيام العرب (تحقيق د. عادل جمال) ٣٣١ . وقول ذي أرفع الهَمْداني (أراني كلما ... ، حماسة البحتري ، ١٣٣ وتميم بن مقبل (ألم تر أن ... الدهر) ديوانه ، ٢٤٣ . وانظر الحاشية رقم (١) من هذه الورقة .

(١) انظر مثلا : قول ابي كبير الهذلي (والدهر لا يبقى على حدثانه ... ديوان الهذليين ق ٢ ، ١١٩ . وقوله ايضا : (أرى الدهر لا يبقى على حدثانه .... نفسه ق ٢ ، ١٢١ .

وقول ساعدة بن جؤية : (أرى الدهر لا يبقى على حدثانه ... نفسه ق ٢ ، ١٤٠ . وقول مالك بن عويمر : فعينيّ ، لا يبقى على الدهر .. نفسه ق ١ ، ٥٧ .

وقول امية بن ابي الصلت : (وما يبقى على الحدثان) والحدثان من اسماء الدهر ، ديوانه ٢٧٩ . وقول الأفوه الأودي (والدهر لا يبقى عليه الا الحجارة) الطرائف الادبية : ١٦ . وقول أسامه بن حبيب بن الحارث الهذلي (مخضرم) (أرى الدهر لا يبقى على حدثانه ...) الاخفش ، الاختيارين ، ٢ : ٢٩٩ .

وعدي بن زيد العبادي (وما يبقى على الايام ... ديوانه قطعة ٦٥ ، ص ١٠٥ .

(٢) أنظر مثلا قول طرفة بن العبد (ولا بد من صوب وشيك أو آجل ... ، ديوانه ٢٢٤ .

وانظر ديوان الحارث بن حلّزة ، القطعة ٢ ، البيت ٥ ، ص ٢٠ . وتنسب لجندل بن أشمط التَنْزيّ ، " أَأَمامَ إنّ الدَّهر أهْلَكَ صَرْفُه إرماً وعَادا ". أبو تمام ، الوحشيات ١٣٠ .

وانظر : قول مَصادُ بن جُناب (... فإني جَميلٌ أنْ سَيَصْرَعُه الدَّهر) السجستاني المعمّرون ، ٣٠ . وانظر : قول لبيد بن ربيعة (وما المرء الا ... وما الناس الا ... وما المال والاهلون الا ...) ديوانه ، ١٦٨ . وقوله (هل النفس الا متعة ...) نفسه ٥٥ . وانظر ايضا : أمية بن ابي الصلت ، ديوانه ، القطعة ٧٦ ، ٢٤٦ (وإنّ للدهر غولا (وقول امرىء القيس (إن الدهر غول) ديوانه ، ٣٠٩ .

وعنترة العبسي (لا شك ان الدهر ذو خلف ...) ديوانه ، ٢٧٠ .

(٣) .... ←

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذهب الشاعر الجاهلي في غير صورة من صور الدهر الى نداء الدهر، ويميل الى مخاطبته ومفاوضته في غالب هذه الصور التي ينشئها له ولعلّ هذا آت من رغبة الشاعر الجاهلي في استحضار الدهر شكلا حيا قابلا للمحاورة ، أو المفاوضة ، أو لعلّ النداء كان رغبة في نفث الحرارة المؤلمة التي تلتهب في جوف الشاعر الجاهلي من الدهر وظلمه ، فهو يملك أن يخرج بهذا الحرف " الياء " قدرا مستطابا لديه من الآهات ، أو لعله يشير بهذا النداء الى عُلُوّ منزلة الدهر في نفسه كما سبق ذكره (١).

والشاعر الجاهلي في صور الدهر يميل الى التعميم ، فيأخذ الكل بحكم الواحد، ويضم الجميع تحت الحكم الذى يُسنِدُه الى الدهر أو يراه له فيذكر أن كل امرىء محكوم للدهر ، وكل بيت مهدوم بقوة الدهر ، وكل حَيٍّ ضَائرٌ للبلي ، ..." (٢)

---

(٣) الاستفهام الاستنكاري مثل قول بشر بن ابي خازم (هل لعيش ... ام هل فتى ...)ديوانه ٥٧.

وعمرو بن أحمر الباهلي (من شعراء المشوبات) : أو هل ترين الدهر ...) ديوانه ، ١٥٣.

ولبيد بن ربيعة (فهل نبئت ...) ديوانه ، ٢٠٨.

وانظر القول المنسوب (كما أرى) الى سابق البربري (وكيف يأمن ريب الدهر مرتهن .. ..إن الدهر عدّاء) ديوانه ، القطعة الثالثة : ٨٦.

(١) انظر مثلا : عمرو بن قميئة ، ديوانه ، ١٨٨. زهير بن أبي سلمى ، ٣٨٢. السجستاني المعمّرون والوصايا ، قول فالج بن خلاوة الغطفاني ، ٦٦.

(٢) انظر مثلا : عبدالله بن الزِّبَعْرَى ، قصيدته قبل اسلامه ، (الا يا غُراب ..... وبَنات الدَّهر يلعبن بكل).

ابن هشام ، السيرة النبوية ٢:٢١.

وقول جنوب الهذلية ، (كلّ امرىء ... وكُلّ من غَالَبَ الأيامَ مَغلُوبُ) ، ديوان الهذليين ، ق ٣ : ١١٥.

والخنساء (أودى ... فبادوا جميعا) ديوانها ، ٢٣٧. (تحقيق انور أبو سويلم) ، وقولها :

(كُلّ امرىءٍ بأَثَافِيّ الدَّهْرِ مَرْجُومُ وكُلّ بيْتٍ طَويلِ السَّمْكِ مَهْدُومُ) نفسه ١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتحدّث الشاعر الجاهلي عن انقلاب الدهر بالناس ، ويُفَضّل استعمال " بينا " في التركيب اللفظي لصور الدهر ، ولا يورد " بينما " الاّ نادرا ٠

وأرى أنّ " بينا " (١) مختصة بالحال المتقلّبة ، وأنّها اكثر ملاءمة لما يودّ الشاعر الجاهلي أن يقوله ٠ وأشدّ مناسبة للصورة ، وأن الشاعر الجاهلي قد وُفّق في اختيارها على " بينما " ٠

ويذهب الشاعر الجاهلي الى استخدام " كذلك " و " كذالكم " في المقابلة بين حال الانسان وصورة الدهر ومفهومه في العصر الجاهلي وتأتي هذه الأسماء أي "أسماء الإشارة " في جَوٍّ من الحِكمة والعِظة التي يُشيعُها الشاعر في صورة الدهر ٠ (٢)

وغالب صور الدهر في الشعر الجاهلي بصريّة ، بل تكاد كلها أن تكون واقفة عند حدود البصريات ٠ ولم أعثر فيما اطلعت عليه من صور الدهر في الشعر الجاهلي على صور سمعيّة أو شمّية ٠

---

(١) أنظر مثلا : كعب بن زهير (والغَنى بينا تراه ناعما) ، ديوانه ٠ ٢٢٨٠
وقول امرىء القيس ، (ولبينا المرء يَهوي قُدماً ـ أفسد الدّهر ٠٠٠) ديوانه ٠٢١٨
وقوله (ولبينا تَراه ناعما ٠٠٠ قَلّبَ الدهر غناه فانقلب) ، ديوانه ، ٠٢٩٣
وقول المرقش الاصغر (بينا أخو نعمة ذهبت ٠٠٠) المفضلية ٥٧ ، ٢٤٩ ٠ وانظر أيضا ديوان الهذليين ، ق ١ : ١٨٧ ، وقول امرىء القيس " وبينا كان في الاحياء " رماه الدهر ديوانه وتردبيّنما نادراً أنظر مثلا : ديوان عدي بن زيد العبادى ، ٧٦ ، ولعلّ أهمّ شاعرين قالا في تقلّب الدهر امرؤ القيس وعدي بن زيد وهذا بأثَرٍ من حالهما المتقلّبة

(٢) أنظر مثلا : عدي بن زيد العِبادي ، ديوانه ، ٠٣٦٢
امرأ القيس ، ديوانه ، ٠٩٣
زهير بن أبي سلمي ، شعره ، ٣٠١ ، ٠٣٨٢
وقيس بن الخطيم ، حماسة البحتري ، ٠٣٥٥
وقول ابي دواد الايادى ،-الاصمعيات ، ٠١٨٧
وانظر قول فالج بن خلاوة :
السجستاني ، المعمّرون والوصايا ، ٠٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصور الدهر في الشعر الجاهلي تأتي في حالتها الحركية ، ولا تأتي ساكنة جامدة (١) . وهذا حال الصورة الفنية في الشعر الجاهلي كما ينكر الدكتور نصرت عبدالرحمن فإن الكثرة الكاثرة من الصور الجاهلية بصرية، وأبرز سمة للصورة البصرية الجاهلية هي الحركة ، فكل شيء في التصوير الجاهلي يكاد يظهر متحركا ، فالناقة تصور وهي تشق بمناسمها البيدَ ، والخيول تصوّر وهي مُغيره ، أو في طراد وراء القوانص ، وبقر الوحش يظل في عراك مع الكلاب ، وحمر الوحش تصوّر وهي تجوب الأرض بحثا عن الماء ، وفروع الاشجار تتأود من الرياح ، والأمواه تصطفق وتتواثب عليها الضفادع ... وحتى عند الموت لا تظل جثث الضحايا ملقاة ساكنة بل تأتي اليها الخوامع فتحملها وتروح بها الى كل مَنْهَل!! (٢)

ولعل لاعتماد الشاعر الجاهلي حاسة البصر مأربا وغاية ، فهو في ذلك يعمد الى تقريب الصورة تشخيصا وتجسيدا عندما يلتقطها من زوايا بارزة وكثيرة ، وكأنما هي شريط من الاحداث مرّ أمامه من الأحداث المتحركة ، المتسارعة يحاول أن يَكثّفها جميعا ويصوّرها مختزلاً إياها اختزالاً يَبْسُط فيه رؤيته هو ، وموقفه النفسي والفكري .

---

(١) أُشير هنا الى بعض الافعال المضارعة التي جاء بها الشاعر الجاهلي في صور الدهر والى بعض الصيغ التي استخدمها والتي تفيد الاستمرار :
يَتْرُكُ (خمس مرّات) لم يتَتْرك ، يَدور (ثلاث مرات ، يُبْلي ، يُريب ، يأتي ينقُص ، يعلو ، يذهب ، يَرمي ، يَرمينا يرميه ، يرد ، يبعث ، يقلب ، يتقلّب يُعقِبُ ، يُومض ، يَحُثّ ، يُحْدِث ، تُحدث ، يُبدل ، يَلتهم ، يَغول تَفتك أيامه ، تناوَلُه بنات الدهر ، تَكثر صروفه ، تُغْني دوائره ، يُزحزح يَعدو ، يُفَرِّق ، لا يُنجي ، لا يَرْعَوي ، لا يُغادِرُ ، ما يُبْقي ، لا يَبْقى لا يُعَرّى ....

اذا ما الدهر جرّ .... ديوان ذي الاصبع العدواني ، ٨٣.
واذا ما نابت عليه شعر زهير بن ابي سلمى ، ٧٩.
اذا ما الدهر أبعد ... الافوه الاودي ، الطرائف الادبية ، ٢٤.
اذا ما الدهر ... رماها ، ديوان طرفة بن العبد ، ١١٥.

(٢) د. نصرت عبدالرحمن ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ....، ١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأكاد أخلصُ الى أن هذه الصور في الدهر ، تُمثّل رؤية الشاعر الجاهلي في الدهر وليست ثانوية في التعبير عن المضمون الشعرى ، وانها الطريقة لبسط موقفه الفكري والنفسي من الدهر ، وانها صور تصدر عن مؤثر داخلي ذاتي عميق بالحياة والموت في الجاهلية مما يُعَمّق صدق هذه الصور في انطباقها على مفهوم الدهر في الشعر وقد جمعت هذه الصور أغلب رموز شقاء الانسان في هذا العصر كالحرب وأدواته ، والحيوانات القوية كالاسد ، والانسان المفسد المختور ، هذه القوى التي يخشاها الانسان ، والتي تنأى به عن السكون والراحة وتخلق له قلقا وتوترا دائمين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثاني

الدهر في الشعر الإسلامي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الاول

الدهر في الكتاب والسنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ١ -

الدّهر في القرآن الكريم (المفهوم الرياضي)

يفيض القرآن الكريم في الحديث عن المفهوم الرياضي الفلكي للدهر، الذى يعني اختلاف الليل والنهار ، وايلاج الليل في النهار وتعاقبهما ، ولا يورد كلمة الزمن أو الزمان .

وقد ذكر القرآن اختلاف الليل والنهار في آيات كثيرة ، فأشار الى تكوّر الأرض وحركتها ، وعلاقة هذا التكوير باختلاف الليل والنهار . قال تعالى : (خَلَقَ السّماوات والأرضَ بالحَقّ ، يُكوّر الليّلَ على النهار ، ويكوّر النهّارَ على الليل ، وسخّر الشّمسَ والقمر كلٌّ يَجْري لأجلٍ مُسمّى ألآ هُوَ العَزيزُ الغَفّار)[1] ، ففي الآية دلالة على ارتباط التوقيت بالشمس والقمر وأن الشمس والقمر دليلان على اختلاف الليل والنهار أو تكوّر احدهما على الاخر ، وأن اختلافهما يكون بحكمة من الله وقدرة وهيمنة ، وقال الله تعالى هو الذى جَعل الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً ، وقدّره منازل لتَعلمَوا عددَ السّنينَ والحِسابَ ، ما خَلقَ اللّه ذلكَ الاّ بالحقّ ، يُفصّل الآيات لقوم يَعْلَمون)[2]

ومعلوم أن اختلاف الفصول الأربعة ، واختلاف الليل والنهار في الطول والقصر يتم بدوران الأرض حول الشمس ، وميل المحور عن الخط العمودى ، وثبات ميل هذا المحور في اتجاه واحد ، اذ يكون النصف المقابل من الكرة الارضية للشمس نهارا ويكون النصف الآخر ليلا ، ويتعاقب الليل والنهار بدوران الارض حول نفسها ، وقد قال تعالى (وجَعلنا الليّلَ والنهارَ آيتين فمحونا آيةَ الليّل وجعلنا آيةَ النهارَ مبصرةً لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عددَ السّنينَ والحِسابَ ، وكلّ شيء فَصّلناه تَفصيلاً)[3]. ويؤكد القرآن الكريم في آيات كثيرة منه أن لله اختلاف الليل والنهار ، وأن الله هو القائم على تقليب الليل والنهار وايلاج أحدهما في الاخر ، واغطاش الليل واخراج الضحى ، وأن الله هو الذى جعل آية النهار مبصرة ، وهو من يمحو آية الليل[4]، وفي هذا التركيز ما يشي بأن اعتقادا آخر في اختلاف الليل والنهار كان يسود فيما قبل مجيء الاسلام ،

---

(١) سورة الزمر : اية ٥.

(٢) يونس : ٥

(٣) الاسراء : ١٢

(٤) البقرة : ١٦٤ . آل عمران ١٩٠ . الأنبياء : ٣٣ . النور : ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنّ رؤية مختلفة تعلّل تعاقب الليل والنهار وتفسّره [١]، يتضح هذا الامر فيما رُوي من أن " تميما " قد عبدت الشمس [٢] وأن " كنانة " عبدت القمر [٣] . وفيما تدل نصوص الاخباريين عليه من عبادة " الشِّعرَى " و " الثُريّا " [٤] وأنه نزل قوله تعالى في الكوكب الذى رآه ابراهيم عليه السلام وهو " الزهرة " [٥] قال تعالى (فلما جَنّ عليه الليّل رأى كوكباً قال هذا ربّي فلمّا أفَلَ قالَ لا أُحبُّ الافِلين) [٦]

وفيما يراه القاضي عبد الجبار المعتزلي من أن الاصنام انما تعود الى اعتقاد أنّ الافلاكَ وهي الكواكب" حيّة ناطقة ومدبّرة " [٧]

ولكن القرآن الكريم يؤكد ان الأمر بيد الله ، وأن ليس لأحد سواه تدبير الكون وأن الدهر نفسه يمكن أن يتوقف لارادته سبحانه ، قال تعالى (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة مَنْ إلهٌ غيرُ اللّه يأتيكمْ بضياءٍ أفَلا تسمعون ، قل أرأيتُم إنْ جَعلَ اللّه عليكم النهارَ سرمدا الى يوم القيامة مَنْ إلهٌ غيرُ اللّه يأتيكُم بليّلٍ تسكنُون فيه أفلا تبُصِرون) [٨] فالليل والنهار حركتان بيد الله مدبّر الكون وسيّده .

والقرآن الكريم يدعو أصحاب العقول أن ينظروا في الليل والنهار نظرة تمجيد للقدرة الالهية ، وأن يلتفتوا الى سير الدهر وحركاته التي هي اية من ايات الله في الكون ، ويشير الى علو قدر الدهر وكبير أثره في الاستبصار والتذكّر .

ودلالة على أهمية الدهر يُقْسم سبحانه وتعالى بدلالاته ، فيقسم بالشمس [٩] والقمر [١٠]

---

(١) أنظر مفضلية سويد بن ابي كاهل اليشكري ، المفضليات ، ١٩٢.

(٢) ابن حبيب ، المحبّر ، ٣١٢.

(٣) الألوسي ، بلوغ الأرب ، ٢٣٧:٢.

(٤) ابن دريد ، الاشتقاق ، ٤١٦. ابن حبيب، المُحبّر ، ١٢٩.

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٤٣:١.

(٦) سورة الأنعام ، ٧٦.

(٧) القاضي عبدالجبّار ، المُغني في العدل والتوحيد ، ١٥٣:٥.

(٨) القصص ، ٧٧، ٧٨.

(٩) الشمس ، ١

(١٠) الشمس : ٢ . المدّثر : ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقسم سبحانه وتعالى بالليل في آيات كثيرة (١) ، وبالنهار (٢)، والفجر (٣)، والصبح (٤) والضحى (٥) ، والعصر (٦) .

وكانت تسميات بعض السور القرآنية من الأسماء الدالة على الدهر ومتعلقاته كسورة العصر والعصر من أسماء الدهر ، وسورة الدهر التي لها اسم آخر" الانسان " وسورة " الشمس " وسورة " القمر " وسورة " الليل " وسورة " الفجر " وسورة " الضحى " .

ويرد اختلاف الليل والنهار آية من آيات الله المتكررة في الكون ، ويرد ضمن مجموعة من الآيات الالهية المادية في الطبيعة (٧) قال الله تعالى "إنّ في خلق السماوات والأرضِ واختلافِ الليّل والنّهار والفُلْك التي تجري بما ينَفَع النّاسَ ، وما أنزل اللّه من السماء من ماءٍ فأحيْا به الأرضَ بعد مَوْتها وبثّ فيها من كلّ دابّةٍ وتصريف الرّياح والسّحاب المسخّرِ بين السماء والأرضِ لآياتٍ لقوم يعقِلُون " (٨)، فالاية السابقة تُورد اختلاف الليل والنهار بين الآيات الإلهية المتكررة الحدوث في الطبيعة والمتحركة المستمرة والمُحَسّة كتصريف الرياح وانزال الغيث واحياء الارض وانتعاشها مما يُشعر بمادّية حركة الدهر .

وقد أشار البقاعي الى ان اختلاف الليل والنهار مشابهٌ لاحياء الارض بعد موتها " وكلّه دلالةٌ على التّعاقبِ ، وفيه آيةٌ متكررةٌ للقدرة على الإيجاد بعد الإعدام بالبَعْث " (٩) .

---

(١) التكوير ، ١٧ . الانشقاق : ١٧ . الفجر : ٤ الشمس : ٤ . الليل : ١ . الضحى : ٢ . المدثّر ٣٣ .

(٢) الليل : ٢ .

(٣) الفجر : ١ .

(٤) التكوير : ١٨ .

(٥) الضحى : ١

(٦) العصر : ١ .

(٧) أنظر النمل : ٦٢ ، ٨٦ . القصص : ٧١ ، ٧٣ . النازعات ، ٢٩ .

(٨) البقرة : ١٦٤ .

(٩) البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ١٨ : ٦٥ وانظر القرطبي ، تفسيره الجامع لاحكام القرآن ، ٢٠ : ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بيّن القرآن الحكمة التي تقف وراء اختلاف الليل والنهار فقال تعالى (وهوَ الذي جَعل الليلَ والنهارَ خِلفةً لمَن أرادَ أن يَذّكر أو أرادَ شُكورا) [١] وهذا يُظهر أن الدهر طاقة يُمكن استغلالها وميدانٌ للايمان والاستذكار ، وموطنُ تذكرٍ واعتبار. قال تعالى (أَوَلَمْ نُعمّركُم ما يَتذكّرُ فيه من تَذّكر ، وجاءَكُم النّذيرُ ، فَذُوقوا فَما للظالمين مِنْ نَصير) [٢]

وقد التفتت نصوص القرآن الى الانسان في مراقبتها الحريصة لسير الدهر فقسّمت اليوم أقساما في وحدات تذكّر بالله ، وبالعمل الصالح البنّاء ، فثمّة قسم الاصباح ولله دعاء وصلاة ، وللضحى صلاة ، وللظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء وللامساء دعاء وقيام ... وثمّة شهر الصيام ، وشهر يحجّ فيه الناس البيت الحرام . وثمة أيام يتعرّض فيها الانسان لنفحات الله ، وهذا كله يشير الى أن الدهر بوصفه مفهوما رياضيا فلكيا أصبح في الاسلام مرتبطا أشد الارتباط بتَنْظيم السلوك الجماعي الانساني ، وشَلّ حركة العبثية التي كانت سادرةً قبل مجيء الاسلام ، وحركة التبرم بالحياة والدهر الذي هو شريطُها المتواصل ، وقد تمثّل هذا التنظيم في حثّ المسلمين على الجِدّ والمثابرة واستغلال الليل والنهار والشعور بأهميتهما وفعاليتها في التقريب الى الله ونيّل رضاه. [٣]

ـ ٢ ـ

وفيما يختص بظلال الدهر في المفهوم الجاهلي وامتيازاته فقد أشار القرآن الى تضمّن معنى القَدر في كلمة الدهر عند الجاهليين وأوضح أن الاحداث التي تحدث في الدهر لا يكون للدهر فيها أيّ أثرٍ فاعل سوى أنّه ظَرفٌ حامل للحوادث ومتضمن لها .

وقد أشار القرآن الى ارادة الله القادرة ، وهي الارادة المسؤولة في تنفيذ قضاء الله حسب ما تقتضي حكمته سبحانه ، جاء هذا في آيات واضحة صريحة ، وهذه الايات لا تُثبت للدهر أيّ صفة تأثيريةتعليلية ، وانما يكون مدار الامر كله معلّقا بمشيئة الله الكُليّة القادرة والمطلقة قال تعالى (وما تشاؤون الا أن يشاءَ الله إن اللّه كانَ عَليماً حَكيمَا " [٤]

---

(١) الفرقان : ٦٢.

(٢) فاطر : ٣٧.

(٣) أنظر الايات الكريمة : آل عمران : ١٩٠ ، يونس : ٥ . الانبياء : ٣٣. الفرقان :٥٦. الروم ٤٢. المؤمنون : ٣٣. وانظر تفسير ابن كثير ٧:٤٧.

(٤) سورة الانسان أو الدهر : ٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو الانسان في القرآن الكريم لا الدهر هو المسؤول عمّا يحدث ، ولا يرى القرآن أن ينسبَ الانسان الى الدهر ما أشكل عليه من أمره أو أن يخيل اليه أو أن يتعلل به ، أو أن يرد الامر الى غير نفسه ، قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صالِحاً فلنَفْسِه ومن أساء فعليها وما ربك بظلّام للعبيد" (١)

والقرآن الكريم يشير الى اعتقاد العرب بالدهر وما اثبتوا له - ضلالة - من التأثير في الناس والطبيعة ، ومن أنّ الموت عشرة من عثراته بهم فيذكر قولهم فيه قال تعالى (وقالوا ما هي الاّ حَياتنا الدّنيا نَموت ونَحْيا ، وما يُهلكنا الاّ الدّهرُ ، وما لَهم بذلكَ مِنْ عِلْم إنْ هُمْ الاّ يَظُنّون) (٢) . فهؤلاء يقولون باستقلال الدهر بالتأثير ، ويسندون اليه الحوادث لجهلهم انها مقدّرة من عند الله ، ويسندون اليه الاهلاك لانكارهم مَلَك الموت وقبضَة الارواح (٣) .

يذكر الإمامُ القرطبي قول أبي عبيدَة " إنّ مِن شَأن العرب في الجاهلية أنْ يَذمّوا الدّهرَ عند المصائب والنوائب حَتّى نكروه في أشعارهم ونَسبُوا الأحْداثَ إليه) (٤)

ويرى الفيروزآبادى أن العرب قد اشتقت من اسم الدهر قولهم " دَهرَ فلاناً خطبٌ: إذ دَهاه " وما زالوا يشكونه ويذمّونه " (٥) .

والتفاسير مجمعة على ان العرب في الجاهلية شكت الدّهر وذمّته ، ونسبت اليه الموت بحوره ، وهذه التفاسير ترى في هذه الشكاوى منكرا لا حجّة لهم به ولا دليل عندهم في نسبة الحوادث اليه (٦) ، سواء أكان القائلون بذمّ الدّهر من الدّهريّة الوَثنية أم الدّهرية الملحدة (٧) .

---

(١) فصّلت ، ١٤٦ . انظر ايضا آل عمران : ١٤٥ . الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٢) الجاثية : ٢٤ .

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ٤ : ٢٩١ .

(٤) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ١٦ : ١٧ . الالوسي ، روح المعاني ، ٢٥ : ١٥٣ .

(٥) الفيروزأبادى ، بصائر ذوى التمييز ، ٢ : ١٠١٦

(٦) أنظر : الكشاف ٤ : ٢٩١ . تفسير القرطبي : ١٦ . ١٧ . الرازى ، ٢٥ . ٩١ البقوى ٤ : ١٦ . الخازن ٤ : ١٢٠ . النسفي : ٤ : ١٢ (طبع مع تفسير الخازن) الايجي ١٠ : ٢٧٦ . تفسير ابي حيّان ٨ : ٤٣ . البيضاوى : ٦٦٢ تفسير ابي السعود ٨ : ٧٣ .

(٧) يفرّق الامام ابو حيّان بين فرقتي الدهرية القائلة " وما يهلكنا الا الدهر " فيقول أى " طول الزمان لان الافات تستوى فيه كمالاتها ان كان قائلوا هذا معترفين بالله فنسبوا الافات الى الدهر بجهلهم أنها مقدرة من عند الله ، وان كانوا لا يعترفون بالله ولا يقرّون به وهي الدّهرية نسبوا ذلك الى الدهر " البحر المحيط ، ٨ : ٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرد الدهر في القرآن الكريم في موضع آخر بمعنى الزمان الممتد ، في قوله تعالى (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُورا) (١) قال الإمام الزمخشري : حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ : طائفةٌ من الزّمانِ الطويلِ المُمْتَدّ " (٢) ويرى انه قد مضى وقت لم يكن فيه الانسان موجوداً بعد ، وهذا يذكّر بالحديث الذي يذكره الإمام السيوطي عن قتادة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آدم آخِرُ ما خَلَقَ اللّهُ من الخلق " (٣).

وبهذا القول يشمل الدهر المدة التي لم يكن فيها آدم قد خلق بعد . وهذا مذهب ذكره الزبيدي إذ يقول " الدّهر اسمٌ لمدة العالم من ابتداء وجوده الى انقضائه (٤).

ويذهب الأزهري الى أبعدَ من ذلك فيرى أن الدهر هو " مُدّة الدنيا والاخرة معا " (٥).

وهذه الاقوال تشير الى أن الدهر قد خلص من أي معنى غير رياضي ، ولم يُوحِ بما أومى به قول الجاهليين فيه لمّا قالوا " وما يهلكنا الاّ الدهر " ويخلع عنه لباس الموت الذي ألبسوه اياه ، وهو الذي دفع بقُطْرب الى ان يذكر انّ الدهر هو الموت" (٦).

وأكاد أنتهي الى أن الدهر في القرآن الكريم قد انبسط الى مفهوم جديد يتصل مع مفهوم الجاهلية في حدود، وينقطع في أخرى ، فالدهر بقي في القرآن الكريم يعني مرور الايام وامتدادها وتتابعها ، وانقطع عن أنْ يعني القهر والغلبة أو أن يمتاز بما أثبته الجاهليون له سَفَهاً وضلالة .

.... وفي دائرة المعارف الاسلامية البريطانية مادة ـ دهر ـ " الدهرية كلمة متعملة من قبل الفلاسفة للدلالة على الفرقة القائلة بقدم الدهر وهي كلمة مولّدة جاءت من الاية ٢٤ من سورة الجاثية " وقد ذكر الجاحظ هذه الكلمة الدهرية " وتدهّر " قال بالدهر "

(١) سورة الانسان : ١

(٢) الكشّاف ، ٤ : ٤١١ . والحين : أربعون سنة

(٣) السيوطي ، الدّرّ المنثور .. ، ٧ : ٤٢٤.

(٤) الزبيدي ـ تاج العروس ـ دهر

(٥) اللسان ـ دهر

(٦) انظر تفسير الطبري ٢٥ : ٩٢ . الشوكاني ، فتح القدير ، ٥ : ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٣ -

المنـــون فـــي القرآن الكريـــم

ذُكـر المنـون في قولـه تعالـى " أمْ يَقولُون شاعـرٌ نَتَرَبَّصُ بـه ريْبَ المَنـون ، قـل تَرَبَّصُوا إنـي مَعَكُم من المُتَرَبِّصيـن " (١)

ذكـر الامـام الزمخشـرى أن المنـون هـو " المـوت " ، وهـو فـي الاصـل " فَعـول "من " مَنَّـه " إذا قطعـه ٠ لان المَنـون قَطـوعٌ ، غيـر أنّـه يُفسِّـر ريـب المنـون فـي الايـة نفسهـا بنوائـب الزمـان قـال " نَتَرَبصُ بـه ريْبَ المنـون أي:نَنْتَظـر بـه نوائـبَ الزمـان فيَهلـك كمـا هَلَـك مَـنْ قَبلـه ..." (٢)

والامـام الرازى يُناقـش القـول فـي تفسيـرٌ المنـونٌ فيتخـذ لـه مخارج لطيفـة ويُشَقّـق الحديث فيـه فـي سـت مسائـل أذكـر منهـا تفسيـره لمعنـى المنـون فـي الايـة ٠ قـال :"المنـون اسـمٌ للمـوت ، فَعـولٌ مـن المَنِّ وهـو القَطْـع ، والمَـوتُ قَطـوع ، ولهـذا سُمّـي بمنـون ، وقيل المَنـون الدّهـرُ وريبـه حوادِثُـه ٠ وعلـى هـذا فان قولهـم نتربـص يَحتمـل وجهـاً آخـرَ هو أن يكونَ المُـرادَ أنّه إذا كـان شاعـرا فصُـروف الزمـان ربّمـا تضْعِـفُ ذهنَـه وتُورث وَهْنَـه ، فيتبيّـن لكـلٍ فسادُ أمـره ، وكسَـاد شِعـره ، وإذا كـان المـراد المـوت فقولـه " إنـي مَعَكُـم مـن المتربصيـن معنـاه:إنـي أخـاف المـوتَ ولا أتمنّـاه (أي : عليـه السـلام)٠ وان قلنـا المُـراد مـن ريـب المنـون صـروف الدهـر فمعنـاه (أي قولـه :أنـي معكـم مـن المتربصيـن)انكـارٌ لكـَوْنْ صـروف الدهـر مؤثـرة . فكأنـه يقـول أنـا مـن المتربصيـن حتـى أبصِـرَ ماذا يأتـي بـه دهرُكـم الـذي تجعلونـه مُهْلِكـَاً ومـاذا يُصيبـني مِنْـه " (٣) ٠ وهـذا القـول فيـه نفـاذ فكـر ودقـة خاطـر عُرفـت عـن الرازى ٠ غيـر انـه لا يَجـزم بقولـة فـي المنـون بمعنـى واحـد لـه ٠

والقرآن الكريـم يورد كلمـة المنـون مـن جملـة قـول المشركيـن ، وربمـا أربـك هـذا فـي فهـم مرادهـم منـه فالله تعالـي يحكـي قولهـم " أم يقولـون شاعـر نتربـص بـه ريـب المنون " ولـذا صح آن يكـون المنـون هـو الدهـر لان غايـة الدهـر ونهايتـه فـي المفهـوم الجاهلـي هـي المـوت ، وصح ان يكـون المـوت ٠ فالمـوت والدهـر متداخـلان مـن حيـث الغايـة لديهـم، وعلـى كـل حـال ، فان القرآن لا يناقـش هـذا المفهـوم فـي هـذه الآيـة (٤)

---

(١) الطور : آية ٣٠-٣١٠

(٢) الزمخشـرى ، الكشـاف ، ٤: ٣٩٦٠

(٣) الفخر الرازى ، التفسيـر الكبيـر ، ٢٨: ٢٥٥-٢٥٦٠

(٤) وانظر ابن قتيبـة : تأويل مختلف الحديـث : ٢٤٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ ٤ ـ

الدهر في السّنة النبويّة الشريفة

تابعت نصوص السنة النبوية النصوص القرآنية الكريمة في الحث على استغلال الدهر كظاهرة فلكية وبيان أهميته ، وحملت الناس من الرسف في أغلال الاسئلة الكثيرة المزعجة حول غاية العمل ، وأزاحت تلك الصورة القائمة للموت لديهم وذلك الشعور الأليم به . ووجهت الانظار الى حياة جديدة ، ومنّت النفوس بلقاء الله حيث الجزاء الخيّر لكل من آمن وعمل صالحا . وأكدّت ان الموت معبّر للحياة الأبدية الخالدة فذكر عليه السلام أهمية السنين التي تمر في حياة الانسان وأكد على اغتنامها وأنها نعمة جَلّى لا ينبغي التفريط بأية ساعة منها . روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من عمّره الله ستينَ سَنة فقد أَعْذَرَ إليه من العمر " (١) بمعنى أزال عُذْرَه ، ولم يبق له موضع اعتذار اذ يمهله طول هذه المدة المديدة من العمر . ويذكر عليه السلام ان الفراغ نعمة مغبون بها كثيرٌ من النّاس (٢). وهذا يشير الى أن الدهر هو محطات للتزود للاخرة وعلى المرء الاستفادة منه ، والدهر في السُّنّة مواضع ابتلاء بالخير والشر ، والأحداث فيه مواطنُ عِبرة وامتحان وليس للناس ان يتبرموا بها ولا بأوقاتها .

أمّا فيما يخص الكلمة " الدهرَ " تحديدا " فقد وردت في الحديث الذى أخرجه البخارى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربّه ، قال الله تعالى " يُؤذيني ابنُ آدم ، يَسُبُّ الدَّهرَ ، وأنا الدَّهرُ بيديَ الأمرُ ، أُقلّب الليّل والنّهار " (٣)

وقد رُوِي هذا الحديث من طرق متنوعةٍ وبألفاظ كثيرة فمنها قوله (قَالَ اللّهُ عزّ وجل " يؤذيني ابن آدم يقولُ : يا خَيْبَةَ الدَّهر ، فلا يقولَنَّ احدكم يا خيبةَ الدَّهر، فإني أنا الدَّهرُ أقلّبُ ليْلَه ونَهارَه ، فإذا شِئْتُ قَبضْتُهما " أو قوله " فان الله هو الدَّهرُ (٤) أو قوله " لا تسبُّوا الدّهر فإنّ الدَّهرَ هَو اللهُ " . (٥)

---

(١) صحيح البخاري ، ١١ : ٢٣٨ . مسند الامام احمد ٢ : ٤١٧ .

(٢) صحيح البخاري ، ١١ : ٢٢٩ . الترمذي ٣ : ٣٧٧ . ابن ماجه ٢ : ١٣٩٦ . وانظر عبدالفتاح ابوغدة، قيمة الوقت عند العلماء : ١١ .

(٣) صحيح البخاري : ١٠ : ٥٦٤ و رقم الحديث ٦١٨١ كتاب الأدب .

(٤) صحيح مسلم : الأحاديث ١٧٦١، ١٧٦٢، ١٧٦٣ . ورَوى الحديث بطرق كثيرة .

(٥) صحيح مسلم الحديث : ٢٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أخرج هذا الحديث الامام مسلم والامام ابو داود في كتاب الادب [١]. أما النسائي فأخرجه في كتاب التفسير [٢]. ومن الروايات الأخرى للحديث " أنا الدَّهرُ والأيامُ والليالي أجدّدُها وآتي بمُلوكٍ بعد مُلوك " [٣] ومنها " شتمني عبدي وهو لا يدري يقول : وادهْراه ، وادهراه ، وأنا الدهرُ " [٤]

وقد شكك الدكتور جواد علي في صحة الحديث [٥] ولكن لا مناص من صحته . والحديث من مشكل الأحاديث . ولعلماء الحديث آراء في تأويله .

وللجاحظ ٢٥٥هـ رأي فيه ، ينقله عن عبدالرحمن بن مهدي وقد أثبته في كتابه الحيوان ، قال وأمّا قوله " لا تسبّوا الدهر ، فان الدّهرَ هو الله " فما أحسنَ ما فسّر ذلك عبدالرحمن بن مهدي قال : وجه هذا عندنا أن القوم قالوا " وما يُهلكنا الا الدّهر (يشير الى الآية ٢٤ من الجاثية) فلما قال القوم ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الله : يعني ان الذي أهْلَك القرون هو الله عزّ وجل» [٦] ويذكر ابن قتيبة ٢٧٦هـ في تأويل مختلف الحديث ، في تأويل" أن اللّهَ هو الدّهر " قال. قالوا : رُويتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فوافقتم في هذه الرواية الدّهريّة قال : ونحن نقول : أنّ العرب في الجاهلية كانتْ تَقول أصابَني الدّهرُ في مالي بكذا ونالتني قوارعُ الدهر وبوائقه ومَصائبُه ... ويقولون لَعَن اللهُ هذا الدّهر ويَسُبّونه المنون لأنه جالبُ المَنون عليهم والمَنون المَنيّةُ .... وقد حكى الله عزّ وجل عن أهل الجاهلية ما كانوا عليه من نَسَب أقدار اللّه وأفعاله إلى الدّهر فقال (الآية) فقال رسول الله : لا تسبّوا الدهر إذا أصابتكم المَصائب ولا تنسبُوها إليه ، فإنّ الله هو الذي أصابَكم بذلك لا الدّهر فاذا سببتم الفاعل وَقَع السبُّ بالله عز وجل ... وسأمثل لهذا الكلام كأنّ رَجلاً يُسمّى زيداً أمَر عبداً له يُسمّى فَتحاً أنْ يَقتل رَجلا فقتله فَسبَّ الناس فَتْحاً ولَعنوه فقال لهم قائل لا تَسبُّوا فَتحاً فإنّ زيداً هُو فتحٌ " [٧]

---

(١) أنظر عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٤ : ١٩١ .

(٢) انظر النسائي : الباب ٤٠ ورقم الحديث ٥٢٥٣ .

(٣) كنز العمال ، الحديث ٨١٤٢، ٣ : ٦٠٧ .

(٤) المصدر نفسه الحديث ٨١٤٣، ٣ : ٦٠٧

(٥) المفصّل : ٦ : ٢٥٠ .

(٦) الجاحظ ، الحيوان ، ١ : ٣٤٠ .

(٧) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث : ٢٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتابع ابن فورك ٤٠٦هـ في مشكل الحديث وبيانه تأويل ابن قتيبة ويزيد عليه أن الحديث ورد بروايتين " أنا الدهرّ " بفتح الراء من الدهر ويكون معناه أنه جعل وقتا للفعل المذكور ويرجع معناه الى : أنا الباقي أبدا المقلّب للأحوال التي يتغيّر بها الدّهر (١) وأظنها رواية ضعيفة.

ويوضح ابن فورك ان الله تعالى ليس بالدهر ولا يجوز ان يوصف بأنه دهر أو أنه الدهر على الحقيقة ، وانما هذا مثل ، ويتابع ابن قتيبة في المثال الذى أورده في " فتح وزيد " .

ويذكر ابن فورك ان رواية الدهر في الحديث بالضم (٢) معناه " أنا المغيّر للدهر ، والمحدث للحوادث فيه لا الدهر ، وتكون فائدته تكذيب من اقتصر على الدهر والايام والليالي في حدوث الحوادث وتغيّرها من الملحدين والزنادقة " على حد تعبيره.

ويذكر المرتضي ٤٣٦هـ ان الملحدين ومّن نَفَى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من أفعال الله تعالى من المرض والصحّة والجدب والخصب ، والبقاء والفناء ، الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلّت عظمته ، وأن العرب ذمّوا الدهر وسبّوه في كثير من الأحوال من حيث اعتقدوا انه " الفاعل بهم هذه الأفعال " (٣) وفي هذا القول بعض مجانبة عن الصواب ، فالعرب لم تكن تنسب الصحة أو البقاء أو الخصب للدهر ، وانما خصّت الدهر بالجدب والسوء . ثم ان المرتضى لا يأتي بقول واحد يدلل فيه على ان العرب تنسب الخير للدهر ، وهو يسوق امثلة شعرية كثيرة ونثرية غير انها تجمع كلها على ذم الدهر وسوء فعاله بهم.

ويرد الحديث في كتاب الاداب للبيهقي ٤٥٨هـ ويفسّره بأن الله جلّ ثناؤه هو الذى يفعل بابن آدم المصائب ، فالأمر بيده ، يقلّب الليل والنهار كيف شاء واذا سبّ المرء فاعلها كان قد سبّ الله تبارك وتعالى (٤)

---

(١) ابن فورك ، مشكل الحديث وبيانه ، ٢٩٣.

(٢) يذكر صاحب عمدة القاري - في شرح البخاري ان ابن الجوزى رفض رواية النَّمْب وعدّها باطلة وساق جملة من الادلة في ذلك منها انها بخلاف النقل وان المُحَدِّثين والمُحققين لم يضبطوه الا بالضّمة وانظر شرح الحديث ٦ : ١١٢.

(٣) المرتضى ، غُرَر الفوائد ودرر القلائد ، ١ : ٤٥.

(٤) البيهقي ، الاداب ، الحديث رقم ٥٨ ص ٢٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر الفيروز أبادى أن الدهر في قوله " " وأنا الدّهرُ " غير الدهر في قوله " لا تسبّوا الدهر " وأنه بمعنى الفاعل أي " الدّاهرُ " المصرّف المدبّر ، المُفيض لما يحدث ، وهو هنا مصدر (١).

وعلى كل حال فان شروح الحديث تجمع أن المرء كأنما سب الله تعالى اذا سبّ الدهر ، أو عاد الى الله ، وأن هذا من التجوّز ، وأن الدهر انما هو ظرف لمواقع الامور ومساقط الأقدار(٢).

وتجمع شروح الحديث (٣) أن الجاهلية تضيف المصائب والنوائب الى الدهر، وهم بذلك فرقتان ، فرقة لا تؤمن بالله تعالى وتنسب المكاره الى الدهر ، وفرقة تعرف الخالق وتنزهه من أن يُنْسب اليه المكاره فتضيفها الى الدهر ، وعلى هذين الوجهين يذمون الدهر ويسبّونه ، غير ان هذه الشروح توضح أنه لا يجوز نسبة الافعال الى الدهر ويذكر صاحب عمدة القاري أن من اعتقد ذلك فلا شك في كفره " ، وأما من جرى على لسانه من غير اعتماد صحّته (٤) فليس بكافر ولكنه تشبّه بأهل الكفر وارتكب ما نهاه عنه الشّارعُ فليتُب وليَسْتَغْفِر " (٥) ولعلّ تأكيد القول في ان الدهر هو الله في نص الحديث جاء لتنقية الاعتقاد من ان هناك فاعلا غير الله ، فالحديث فكرة دامغة لحرص الاسلام على الحفاظ على نقاء التوحيد ، ويُبرز الحديث المفهوم الجاهلي للدهر

---

(١) الفيروزأبادى ، بصائر ذوي التمييز ، ٢:٦١١.

(٢) المناوي ،التيسير بشرح الجامع الصغير ، ٢:١٨٥.

(٣) انظر مثلا : فتح الباري :٨ :٥٧٤، ١٠:٥٦٤، ١٣:٢١٣. المُوطّأ :كلام":٣. عمدة القاري ٦:١١٢.

(٤) يخالف ابن حزم هذا ويَعُدُّ الدهر " من اسماء الله الحسنى"! المُحلّى ٨:٣١. وأظن ان الدهر عنده هنا ليس الزمان فهو يُورد في تفسير قوله تعالى " خلق السماوات والأرض وما بينهما" أن الزمان مدة كل ساكن او متحرك أو محمول في ساكن أو متحرك ، وكل هذا مُبْعَد عن الله عز وجل - انتهى قوله - انظر المحلّى ١:٣٠. ويرى د. جواد علي ان القائلين بأن الدهر اسم لله تعالى محمولون على ذلك لصعوبة ازالة الفكرة القديمة التي رسخت في ألاذهان عن فِعْل الدّهر وأثره في الكون " . المفصّل ٦:٢٤٨.

(٥) العيني، عُمدة القاري ، ٦:١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذى كان سادرا قبل الاسلام ، وعجز الجاهليين عن تصور الاله الواحد الذى بيده الموت والحياة .

وهذا الحرص في الاسلام نجد أثره في زجر عبدالله بن عمر لابنه وكان كثيرا ما يذكر الدهر ، فقال له أبوه : اياك يا بني وذكر الدهر ، وأنشد [١] :

فَمَا الدَّهْرُ بالجَانِي لشَيءٍ لجِينِهِ ... ولا جَالِبُ البَلْوى فَلا تَشْتُمِ الدَّهْرَا
ولَكنْ متى مَا يَبْعَثِ اللّه بَاعِثَاً ... عَلى مَعْشَرٍ يَجْعَلْ مَيَاسِيرَهُمْ عُسْرَا

وهذا الحرص هو نفسه مندفع بابن الجوزى أن يقوم قياما شديدا على شاتمي الدهر في عصره . وقد أفرد القول في أن سب الدهر خروج من الايمان فذكر أنه " رأى خَلْقَاً يَعْتَقِدون أنهم فُقهاء وفُهَمَاء ولا يَتَعاشون من سَبِّ الدَّهر وشكايته ، ويعتقدون فيه قصور الحكمة ، وربما اجتمع الأدباء فلم يكنْ لهم شُغْلٌ الا سَبَّ الدَّهر ، وهم بذلك شرٌّ من الكفار ، لا أصلح الله لهم شأنا ، ولا هداهم الى رَشاد " [٢]

- ٥ -

أما الدهر مفهوما رياضيا "فَلَكيا" فقد أوردت السنة النبوية الدهر من حيث انه الزمان الطويل الممتد [٣] فوردت ألفاظ تدل على ذلك مثل " شطر الدهر " [٤] و " نصف الدهر " [٥] ، و " مرّة من الدهر " [٦] ، و " يومٌ من الدهر [٧] ، و " ثلثي الدهر [٨] ،

---

(١) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ١٦ : ١٧٠

(٢) ابن الجوزى ، صيد الخاطر ، ٢٤٣ . وكان سبب هذا الفصل ذكره لقول ابي العلاء كيف يُعاب الحجّاج والدهرُ أقبحُ فِعْلاً منه ، فقال : أترى يعني به الزمان ؟ كلا فإن مَمَرّ الأوقات لا يفعل وانما هو تَعْريضٌ باللّه جَلّ شأنه " .
غير اني نظرت الى قول ابي العلاء : إذا غالَ الدَّهرُ شيئاً فإنما ... يُرادُ إلهُ الدَّهرِ والدَّهرُ خَادِمُ
أنظر اللزوميات ، ٣٩٠ .

(٣) أنظر صحيح البخاري : كتاب الصوم : ٢٩، ٥٥، ٥٦، ٥٩ . صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، ١٨١ ، ١٩٥ ، ١٩٦، ٢٠٣ . وكتاب الرضاع ، ٦٤ ، ٦٥ . وسنن ابي داود . صوم : ٥٦، ٥٧، ٦٧ . والترمذي ، صوم : ٥٢ ، ٥٤ . والنسائي . صيام : ٧٢ ، ٧٥، ٧٦ . ومسند الإمام احمد ٢ : ٢٦٣، ٢٨٤ . ٤ : ١٩ . ٥ : ٢٧، ١٥٤، ٤١٩ .

(٤) البخاري . صوم : ٥٩ . مسلم : صوم : ١٩٠ .

(٥) البخاري : صوم . ٥٤ النسائي : صيام ٧٦ .

(٦) البخاري : مناقب الأنصار ، ٢٧ .

(٧) سنن أبي داود : "المَهدي" : ١

(٨) النسائي : "صيام" ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وورد " الدهـر " بمعنـى العُمـر الممُتـد (١)

ويمكـن القـول بأن عـدم ورود الدهـر في أي مـن السياقـات أو التراكيـب التـي توحـي بمعنـى الغلبـة في القرآن الكريم أو في السنـة النبويـة هـو ضَـرْب مـن المواضعـة علـى أن الدهـر انقطـع عـن المعنـى الجاهلـي لـه ، وتخلّـص مـن رواسـب الاعتقـاد بفاعليتـه ، وأنـه عـاد يعنـي الزمـان الطويـل أو القابـل مـن الأيـام والماضـي منهـما ، واختـص بهـذا المعنـى عـن سـواه ولـم يـرد اثبـات الصـروف أو النوائـب مـع كلمـة الزمـان أو كلمـة الزمـن أو سـوى كلمـة الدهـر مـن التعابيـر الدالـة علـى تعاقـب الأيـام والليالـي في السّنـة النبويّـة أو في القرآن الكريـم.

(١) البخـاري ، الأنبيـاء : ٢٥ ، الرضـاع : ٦٤، ٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

مفهوم الدهر في الشعر الإسلامي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ١ -

لا يُنكَر أثر الاسلام في حمل الشعراء على أفق واسع وسيره بهم في مسارب جديدة تصرفهم عن الرسوف في أغلال القول القديم في التبرم بالحياة ، والشعور بعبثيتها ، وقُصور الحكمة في الحياة والموت ، فأضحى بهم وهم يغذّون السير الى عالم أكثر رحابة ويبعد عون القول ويشققونه فيما يخدم المُثل التي تدفع عجلة الحياة وتُشيع الامل .

ووقف الشعراء يؤيدون الاسلام ويمجدون الأخلاق التي ينادي بها من تمجيد الصبر واحتمال المكاره والجَلد عليها ، والتسليم لامر الله وقضائه في الموت ، وظهر جليّا في أشعارهم تأثرهم بقيم الاسلام واهتزازهم لها كلبيد بن ربيعة ، وابق البربري ، وعُرف هذا في عامة شعراء الخوارج في العصر الأموي ، غير أن هذا الحكم لا ينسحب على الشعراء جميعهم في العصر الاسلامي ، فثمة منهم فئة وقفت تُعارض الدعوة الاسلامية وتهاجيها في مبتدأ عهد الدولة الاسلامية ، وفي حروب الردة ، وثمة فئة لم تتواصل مع القيم الاسلامية في أشعارها كشعراء " المشوبات " * والشعراء المعمّرين فمن أدركوا الاسلام وهم كبار في السن فتوقف بعضهم في الحديث عن الحياة والموت الى الفن الجاهلي بما يحمل من المبالغة في القول والتهويل وعنف العاطفة مما يصل بمضمون أقوالهم في الحياة والموت ، وفي الدهر ، الى مرتبة لا يرتضيها الاسلام ، فوُجد منهم من يتبرم بالعيش وينصرف الى الازراء على الدهر ويقول بظلمه وقلّة حكمته .

---

* المشوبات : القصائد التي تتأرجح في نسبتها بين الجاهلية والاسلام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووُجِد من هؤلاء الشعراء كلّهم من يقول في أغراض تنافي أخلاق الاسلام ومنها الهجاء المقذع مما يتصل بالشرف والنسب ، والقول في الخمر والنساء قولا ماجنا لا مُعاشاة فيه ، ولا تورّع [١] مع ان الاسلام ، كان ينهاهم عن ذلك ، مما يوحي بعدم اطمئنان هؤلاء الى قيم الاسلام وأحكامه ، ولكن يصعب القول بكفر هؤلاء وان كان منهم من لم يتورع عن القول في الدهر قولا يجاري فيه الجاهليين في اسناد الموت اليه ، ويعاضد أقوالهم في نسبة ما يكرهه الانسان الى الدهر من الاحداث او ما يستعظم أثره ، مع أن الاسلام صرف هؤلاء عن المناقشة في الدهر او القول بقهره وظلمه وسار بهم في مشارف تنسيهم القول فيه ، فقد تَواضَعَ القرآن الكريم والسّنة النبويّة على أن الدهر هو الزمان وحسب ، وهؤلاء قد خرجوا عن جَدد هذه الطريقة ، غير أنهم سلكوا في بعض شعرهم الآخر ما أوصى به الاسلام ، وحمّلوا شعرهم من معانيه وقيمه ، مما يصرفنا والحالة هذه عن أن نحملهم على " الجاهليين " في هواهم واعتقادهم في الدهر ، بل يمكن أن نعتذر لهم بما عليه الشعراء في كل زمان ومكان من المجاوزة والاتساع فالشاعر " يَهزِل ويَجدّ ويقرّب ويبعِّد ، ويصيبُ ويُخطِيءُ ، ولا يُؤاخَذ بما يؤاخذ به الرجلُ الديّان والعالِم ذو البيان " [٢] .

و أن التذكير الهادىء الذى جاء في التعاليم الاسلامية الذي قفى بوجوب الصبر واحتمال الشدائد وما يحمله من مظاهر الرضا والجمود والسكينة لا يحمل الشعراء على الصمت في حوادث أيامهم ، وأن لا ينفجروا بالدهر صراخا وعويلا لا سيما أنهم المغرَمون بالمبالغة والذين لا يقفون الى ما يقف الناس اليه ، ولا يُقْنعهم ما يقنعون به [٣] ، كما ان للشعراء إقداما على الكلام [٤] ثقة بفهم اصحابهم عنهم، ونعلم سعة لغة العرب ، فللعرب كما يقول الأصمعيّ أمثلةٌ واشتقاقاتٌ وأبنيةٌ ومواضعُ كلام يدلّ عندهم على مَعانيهم وارادتهم ، ولتِلْكَ الألفاظُ مَواضعُ أُخَر ، ولهَا حينَها دلالاتٌ أُخَر ، فَمَنْ لَم يَعْرِفْها جَهل تأويلَ الكتاب والسنّة والشاهِدَ

---

(١) أنظر : د. محمد محمد حسين ، الهجاء والهجاؤون في صدر الاسلام : ١٠٨، ٢٣٦.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ١٧ : ٥٣.

(٣) السابق، ٢ : ١٧٨.

(٤) أنظر مثلا : قول أحد الأعراب في بعض الحطمات :

رَبّ العِبادِ مالَنَا ومالَكَا ... قَدْ كُنْتَ تسقِينا فمابدا لكَا

أَنْزِلْ عَلينَا الغَيْثَ لا أَبالَكَا

الحماسة الشجرية ٢ : ٩٣. وانظر ايضا قول معاوية بن مالك : اذا سقط السماء بأرض قوم ... الحماسة البصرية : ١٧١. وخزانة الأدب (هارون) ، ٥ : ١٨٠. قول سمير بن الحارث :

دَعَوتُ اللهَ حتى خفتُ أن لا ... يكونَ اللّهُ يَسمَعُ ما أقولُ

لِيَحْمِلَني عَلى فَرَسٍ فإني ... ضَعِيفُ المَشي لِلأَدنَى حَمولُ

وانظر : الحيوان ، ٥ : ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمَثَـــلُ"(١).

وهـذا كلـه ممـا يُجيـز لنـا القـول بأن الشعـراء الاسلاميـين في أشعارهـم فـي الدهـر أخـذوا بالمجـاز ، وأنهـم لا يقصـدون القـول بظلـم الدهـر وقهـره ، اعتقـادا وتصديقـا بمـا جـرى عليـه الجاهليـون . وانمـا أوسـع الشعـراء الاسلاميـون القـول في الدهـر لضمـان الحيويـة لشعرهـم ، ولقـوة السنة الشعريـة والمأثـور الشعـري الجاهلـي .

علـى أننـا لا نكـاد نجـد حـدوداً واضحـة للمجاز فـي الدهـر الا علـى أسـاس نظـرة الامـام الجرجانـي فـي المجـاز والحقيقـة ، ومـن حسـن حـظ البحـث ، أن الامـام لـم يُغفـل القـول في المجـاز الشعـري فـي "الدهـر" . قـال " وأمـا مِثـالُ أنْ تُوضَع الجُمْلـةُ عَلـى أنَّ المُفـاد بهـا وَاقِـعٌ موقعَـه مـن العَقْـل ، وليـس كذلـك إلاّ انـّه صـادِرٌ عـن اعتقـاد فاسـدٍ وظَـنٍّ كـاذب فمثـل مـا يجـيء فـي التنزيـل مـن الحِكايَـةِ عـن الكفّـار نحْـو " ومـا يُهْلِكُنـا إلاّ الدّهـر " فهـذا ونحـوه مـن حيـثُ لـمْ يَتكلـّم بـه قائلـه علـى أنـّه متأوّل بـل أطلقَـهُ بجهْلـه وعَمَـاه إطـلاقَ مَـنْ يَضـع الصّفَـة فـي مَوْضِعهـا (٢) . ولكـن يقـال عنـد قائلـه أنـّه حقيقـةٌ وهـو كَـذِبٌ وباطـل ، واثبـاتٌ لمـا ليـسَ بثابـتٍ ... إلاّ أنّ قائِلـَه جَهِـلَ مَكـانَ الكَـذِب والبُطـلان أو جَحَـد وبَاهـَت ..."

وما سبـق هـو حكـم الامـام فـي قـول الجاهليـين " ومـا يهلكنـا الا الدهـر " فهـو لا يـرى ان هـذا القـول مـن بـاب المجـاز (٣) ، ويتابـع الامـام تفصيـل ذلـك فـي الشعـر ، فيذكر أنه اذا ما سمعنـا قـول الشاعـر (٤) :

أشَابَ الصَّغيـرَ وأفنَـى الكَبيـرَ كَرُّ الغَـداةِ ومَـرُّ العَشِـيِّ

أو قـول ذي الأصبـع العدوانـي (٥) :

أهْلَكَنـَا اللّيلُ والنّهارُ مَعـًـا والدَّهرُ يَعدوُ مُصَمِّماً جَذَعـَـا

كـان طريـق الحكم عليـه بالمجـاز أن نَعلـَم اعتقـادَ هؤلاء الشعـراء بالتوحيـد ، وهـذا هـو الفاصـل بيـن المجـاز والحقيقـة لـدى الامـام فـي شعـر الدهـر بيـن الجاهليـة والاسـلام ومعرفـة

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ، ١ : ١٥٣ .

(٢) الجرجاني ، أسرار البلاغـة ، ٣٥٥ .

(٣) نفسه ، ٣٥٦ . هـذا الحكم يذكّر بتعريف الصدق والكذب عند الجاحظ فهو يـرى ان الصـدق مطابقة الخبر للواقع مـع الاعتقـاد ، والكـذب عـدم مطابقـة الخبـر للواقـع مع الاعتقاد وقـد استعار الدكتور نصرت عبدالرحمن هذا القول ليرى انّ الخَيّال اذا صاحبه اعتقاد صـار اسطورة، الصورة الفنيّة : ٩ وانظر :القول"وقد يكون الاسناد مجازا عند شخص وحقيقة عند آخـر" القزويني ،الايضاح ١ : ٢٣ .

(٤) نسبت للصلتان العبْدي ، أنظر الحاشية ٤٣٩ من أسرار البلاغـه .

(٥) ديوانه ، ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعتقادهم التوحيد يكون كما يذكر الامام " إما بمَعْرِفَةِ أَحْوالهم السّابقة أو بأَنْ تَجِد في كلامِهم من بعدِ اطلاقِ هذا النّحْوِ ما يَكشِفُ عَنْ قَصْدِ المَجَازِ فيه " (١) ثم يذكر الامام أن " اطلاق اللفظ دون اثبات الدهر فاعِلاً للهلاك لا يُنْكَر على القائلين به ، وفي نص القرآن ما جرى فيه اللفظ (دون اثبات أو اعتقاد) على اضافة فعْل الهَلاك إلى الرِيح مع استحَالَة أنْ تكونَ فَاعِلَة " (٢) ومعلوم أنه قد جاء في القرآن الكثيرُ من تشخيص الموت واليومَ ، والليْل ، والنّهار مما يتصل بالمجاز ، وهذه المجازات ليست على التحقيق (٣) .

وهذا الرأي يمنع من أن تَسحب الحكم الذي قلنا به في مفهوم الدهر عند الجاهليين على الشعراء الاسلاميين ، فان الثقة بعَيْنٍ نَظْم الشعر في الدهر من الشعراء الاسلاميين يمنع من أن نعتقد بهم الكفر أو أن ندخلهم دائرة الوثنية ، ويُحمل ما نراه في أشعارهم في الدهر على أنه أثرٌ من التبرم الانساني العام بالقدر والأيام هي ظرف لهذا القدر وأحداثه .

ولعلّ من حسنات القول بمجاز الدهر في الشعر الاسلامي حُسن الظن بهذا الشعر ونحن نرى منازع للخلاف في اثر الاسلام في الشعر او قدرته على تنقية الشعر من شوائب الفن الجاهلي .

وانطلق من رأى الامام الجرجاني وقد آنسني وأعتبره هادياً ومرشدي الى بَسْط مفهوم الدهر في الشعر الاسلامي .

الدّهر والانسان في الشعر الاسلامي

تبدو علاقة الدهر بالانسان في غالب الشعر الاسلامي علاقة رياضية يتبين فيها أثر تطاول الدهر في العلاقات الانسانية عامة، وبين المتحابين خاصة ، وتقلب حالات الانسان على مر الدهر ودورانه ، وتفرق الجمع وتغيّر حال الانسان من النشاط الى الخمول

---

(١) الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ٣٦١.

(٢) السابق، ٣٦١.

(٣) انظر الشريف المرتضى ، مجاز القرآن ، فهرست الآيات القرآنية في الملحق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والركود بمرور هذا الدهر وتغيّر حاله من القوة الى الضعف . ومن صلابة العود الى انقصافه ومن شدة الشوكة وقوة الاقبال على الدنيا الى الانحناء والزهد في الملذّات ومن سواد الشَعر وغزارته الى الشيب والصلع .

أو هي علاقة تتشح بطابع ضغط أحداث الحياة واشتداد تجاربها وصراع الانسان مع هذه الاحداث ، ويتبين فيها ان الدهر يتغيّر بالناس ويبعثر بهم وربما قالوا أنه يهلكهم ويفرّق احبتهم بالموت ، ... وقولهم هذا محمول على المجاز، وقد حُمل على المجاز لما نعلمه من ايمان هؤلاء الشعراء بالله الذى يملك الموت والحياة ، وأن قولهم في الدهر يأتي في لحظات يؤثر فيه الشاعر لقول الشعراء الجاهليين في الدهر ويترسّمونه بما فيه من الاتساع والمجاوزة مما يكفل لشعرهم الحيوية والتأثير، وهذه الأقوال لشعراء صفع الدهر وجوههم وخلّاهم من أحبتهم . وأغلبها من شعر الشعراء المعمّرين ممّن " حملوا الزمن على أكتافهم طويلا " وممن عاشوا عمرا في العصر الجاهلي ونظموا فيه الشعر حتى اكتمل مذهبهم فوُجِدوا أمام العصر الاسلامي وهم أمام مناخ حَضاري وفكري جديد، وصعُب عليهم ان يتواصلوا مع هذا المناخ تواصلا كاملا فاستعاروا ادواتهم الفنيّة القديمة لهذا المناخ ودخلوه غير متأهبين تمام التأهّب وبعض هذه الأقوال من شعر من لم يتماشوا القول في الدهر أو غيره كالخمر أو الغزل ولم يرد عنهم عنه زاجر ، كالأخطل وكشعراء المثوبات وبخاصة تميم بن مقبل وعمرو بن أحمر الباهلي .

صراع الانسان مع الدهر

ذكرت ان الشعراء الذين قالوا في الدهر المُفني ، أو المُهلك هم من المعمّرين أو ممن اكتمل مذهبهم الشعري في الجاهلية ومنهم لبيد بن ربيعة ، ولبيد قال في الدهر كثيراً ، خاصة في قصائد رثائه لاخيه " أَرْبَد" وقال في نفسه وطول عمره ، ومن ذلك قوله من قصيدة اسلاميّة له (١):

غَلَبَ الفَناءُ وكُنْتُ غَيْرَ مُغَلَّبِ ... دَهْرٌ طويلٌ دائِمٌ مَمْدُودُ
يَوْمٌ إذا يَأْتي عَلَيَّ وليْلَةٌ ... وكلاهما بَعْدَ المَضاءِ يَعُودُ
وأراه يَأْتي مِثْلَ يَوْمَ لِقِيتُهُ ... لَمْ يَنْصَرِمْ وضَعِفْتُ وَهْوَ شَدِيدُ
ولقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَياةِ وطُولِها ... وسُؤالِ هذا النّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ

---

(١) ديوانه ، ٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو بهذا القول يجاري قوله الذي قاله في الدهر في الجاهلية ، على أنه لا ينسب اليه الموت أو المكروه . ويبدو مفهوم الدهر لديه الآن اكثر وضوحا فهو يصفه بأنه دائم وطويل وممدود ، وأنه أيام وليالي تتعاقب وتتوالى على الانسان وهي نظرة سليمة من وجهة النظر الاسلامية ، اذ لا ينسب لهذا التعاقب ضعفه مباشرة لكنه يرى أنّها أضعف عزمه وغلب عزاءه قدر الله فهو يقول في مطلع القصيدة .

قُضِيَ الأمورُ وأُنجِزَ المَوْعِـــودُ والله ربي ماجِدٌ مَحْمُـــودُ

وهو بهذا يؤكد ان الارادة المطلقة في الكون هي لله ، مما يؤكد أن دائرة التصريح بإرادة الدهر في الكون قد ضاقت في شعر لبيد الاسلامي .

وهو يرى ان الدهر شديد عليه . ومثل هذا القول ما نجده لتميم بن مقبل في قصيدة اسلامية (١) له :

قالتْ سُليمَى ببَطْنِ القَاعِ من سُرُجٍ لا خَيْرَ في العَيْشِ بَعْدَ الشَّيْبِ والكِبَرِ
لَوْلا الحَياءُ ولَوْلا الدينُ عِبْتُكُمَا بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إذْ عِبْتُمَا عَوَرِي
أَبْقَى خُطوبٌ وحَاجاتٌ تَمَيَّقُنِي وما جَنَى الدَّهْرُ مِنْ صَفْوٍ ومِنْ كَدَرِ
مِثْلَ الحُسَامِ كريماً عِندَ خِلَّتِهِ لكلِّ ازرَةِ هذا الدَّهْرِ ذا أَزَرِ
أَرمي النُّحُورَ فأَشْوِيها وتَثْلِمُنِي تَلْمَ الإناءِ فأَغدُو غيرَ مُنْتَصِرِ
في الظهرِ والرَّأسِ حتى يَستَمِرَّ بِهِ قَصْرِ الهِجَارِ وفي السَّاقَيْنِ كالفَتَرِ
إنْ يَنْقُضِ الدَّهرُ مِني مِرَّةً لِبِلَى فالدَّهْرُ أَرودُ بالأقوامِ ذُو غِيَرِ

فهو يغالب الدهر وأحداثه ، ويصبر لها حتى ليصف نفسه بالحسام الصارم على كل حالة من حالات الدهر ، لكنه يذكر ان صراعه مع شهور هذا الدهر صراع فاشل فهي تصيب مقاتله ، ولا يصيب منها ؛ وتخطئها سهامه ، وترميه فتحنيّه متكسرة كما يُكسر طرف الاناء ، وتصيبه في ظهره بالانحناء وفي رأسه بالشيب ، وتقيّد حركته كأنما في ساقيه حبل كحبل البعير الذى لا يُوسّع لخطوته به ، ثم يذكر أن الدهر غالبٌ على أمر القوم ، وأنه يعمل في هدوء وامهال ، ونعومة مكر ومطلع هذه القصيدة يُوحي بأنها قيلت في وقت أُسِر فيه الشاعر للتشاؤم فجاوز الى الاتساع حتى رأى انه يَرمي نُحُور الأهلّة ، ويظهر نزوعه الى اليأس قال :

يَا حَرَّ ، أمسيْتُ شَيْخاً قَدْ وَهَى بَصَرِي والتاثَ ما دُون يَومِ الوَعْدِ مِنْ عُمُرِي
يا حَرَّ مَنْ يَعْتَذِرْ مِنْ أن يَلِمَّ بِهِ رَيْبُ المنون ، فإني غَيْرُ مُعْتَذِرِ

فهو يرى أن يوم القيامة قد اقترب واختلط ما دونه من عمره ، وهو لا يعتذر

---

(١) شعره ، ٧٧ : النحور : نحور الأهلّة أي الشهور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أن يقع به الموت . وهذا الاعتذار يحمل ملامح العجز ، والشعور بالنهاية القريبة، ويذكر بقول عمرو بن الاهتم في بلاء الدهر لجسمه (١)

تطارحني يَوْمٌ جَديدٌ ولَيْلَةٌ ... هُما أبْلَيا جِسمي وكُلُّ فَتًى بَالي

ولعلّ هذا القول نسبة صريحة في بلاء الجسم الى مطارحة أيام الدهر ولياليه . ومثل هذا قول كعب بن مَعدان الأشقريّ (٢) :

يا قَوم غَيِّرني وأَذْهَبَ قُوَّتي ... دَهْرٌ أَلَحَّ بِطارِفي وتِلادِي
تَغْتالُ كُلَّ مُؤَجَّلٍ أَيامُه ... وتَصيرُ بَهْجَةُ مَا تَرَى لِنَفادِ

فالدهر يلمّ بالقوم وأموالهم حتى يُذْهِبَها وأيامه تَغْتَال الناس وأرواحهم حتى تأتي على بهجة الاشياء . ومثل هذا قول سابق البربري (٣) :

أموالُنا لذوي الميراثِ نَجْمَعُها ... ودُورنا لخَرابِ الدَّهر نَبْنِيها
واللهِ مَا غَبَرَتْ في الأرضِ غابِرَةٌ ... إلاّ ومَرُّ اللّيالي سَوْفَ يُفْنِيها

وهذه القصيدة الاسلامية يذكر فيها العمل الصالح والجنة .

الدهر المُفْني

لا يرى البحتري حرجا في أن يعقد بابا من حماسته في " غَلَبَة الزمان وافنائه الأُمم " ويذكر فيه الأشعار الجاهلية ، ويقرنها مع أشعار الاسلاميين فيذكر قول الأحوص ويقرنه الى قول عدي بن زيد العبادي وأبي دواد الايادي (٤) .

ونرى أن هؤلاء الشعراء تضرروا بالدّهر ! ومنهم سابق البربري، وأبو الاسود الدؤلي والأخطل، والفرزدق، وجرير، ويزيد بن مفرّغ، وحسانّ بن ثابت (٥) .
قال حسّان في رثاء من أصيب يوم أحد (٦) :

أصحابَ أُحْدٍ غَالَهُم ... دَهْرٌ أَلَمَّ لَه جَوارِحْ
ثُمَّ بَطارِقَةٌ غَطَا ... رِفَةٌ خَضَارِمَةٌ مَسَامِحْ

---

(١) شعره ، ٠٩٧.
(٢) شعره ، ٠٩٣.
(٣) شعره ، ٠١٣٢.
(٤) حماسة البحتري ، أنظر الباب التاسع والاربعين .
(٥) أنظر مثلا : ديوان جرير ٥٤٦، ٠٥٤٨ والأحوص ، ٠٢٠٣ والأخطل ، ٠٦٢٥ وشعر أبي الاسود الدؤلي ، ٠١١٣ والفرزق ، ٥٩ ، ٠٣٦٨ ويزيد بن مفرّغ : ٠٧٥.
(٦) ديوانه (تحقيق د. وليد عرفات) ، ٠٤٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال في رثاء الرسول عليه السلام * :

أنّى أرَى الدّهرَ والأيامَ تُفْجِعُني ... بالصّالحينَ ، وأبْقَى ناعِمَ البالِ؟!
يا عينُ ، فابكي رَسُولَ اللّهِ إذْ نُكِرَتْ ... ذاتُ الإلهِ ، فنِعمَ القائمُ الوالي

ونرى لخَنابةَ بن كعب العَبشمي ، قولا مماثلا في اغتيال الدهر ، وقد وفد على معاوية وهو من المعمّرين (١) :

كبرتُ وأفنَى الدّهرُ حَوْلي وقُوّتي ... فلَمْ يَبْقَ إلاّ مَنْطِقٌ ليس يَهْجُرُ
تَلَعّبتِ الأيامُ بي فتَرَكْنَني ... أَجَبَّ السّنام جائراً حِينَ أنْظُرُ
أرَى الشّخْصَ كالشّخْصَيْنِ والشّيخُ مُولَعٌ ... بقَوْلٍ أرى - واللّهِ - ما ليسَ يُبْصِرُ

وقول مهرّب الغامدي وفيه يحمل على الدهر حملة شديدة ، قال (٢) :

أرَى الدّهْرَ لا يرعَى عَلَى أهْلِ ثَرْوَةٍ ... خَؤُوناً ويَبْدأ أهْلَه بعُقُوقِ
وكمْ رأينا من ملوكٍ وسُوقَةٍ ... وعَيْشٍ لَذيذٍ للعُيونِ أنيقِ
مَضَى فكأنْ لَمْ يَغْنَ بالأمْسِ أهلُهُ ... وكُلُّ جَدِيدٍ صَائِرٌ لخُلُوقِ

ويظهر في هذا القول تأثره بالقرآن الكريم (٣) :

وهذه الاشعار في الدهر تُنْبي عن اشتداد وطأة العمر وثقله ، وأمارات قهر الشعراء وضعفهم ، وجلّ هذه الاقوال يكشف استسلام الشعراء للدهر أونفورهم منه في وقت عصيب من رزء مال أو ولد ، أو رثاء حبيب أو فراقه . وفي هذا عينيّة أبي ذؤيب التي تظهر جليا حال الشاعر المتعبة ، بعد رزئه العظيم بأولاده قال (٤) :

أمِنَ المنون (٥) وريْبها تتوجّعُ ... والدّهرُ ليْس بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
قالتْ أُمَيْمَةُ مَا لِجِسْمِك شَاحِباً ... مُنْذ ابْتُذِلتَ ومِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ
أمْ ما لِجَنْبِكَ لا يُلائم مَضْجَعاً ... إلاّ أقضّ عَلَيْكَ ذاكَ المَضْجَعُ
فأجَبْتُهَا ، أمّا لِجِسمِيَ أنّهُ ... أوْدَى بَنِيَّ مِنَ البلادِ فَوَدّعُوا
فَغَبرتُ بَعْدَهُمُ بعَيْش ناصِب ... وإخالُ نِّي لاحِقٌ مُستتبَعُ
فالعَيْنُ بَعدهمُ كأنّ حِداقَهَا ... سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهيَ عُورٌ تَدْمَعُ

---

* السابق ، ٣٤.

(١) السجستاني ، المعمّرون والوصايا ، ١٠٦.

(٢) الخالديين ، الاشباه والنظائر ، ٧٣.

(٣) أنظر القرآن الكريم سورة يونس ، ٢٤.

(٤) ديوان الهذليين ق ١ : ٩٣. وانظر قول اعرابي في رثاء بنيه ولا أعرف عصره غير انه قيل في الاسلام :

وقاسَمَني دَهري بَنيَّ بشَطْرِه ... فَلمّا تَفَضّى شَطْرُه مَالَ في شَطْري
وقَد كُنتُ حَيَّ الخَوْفِ قَبْلَ وَفاتِهِمْ ... فَلمّا تُوُفُّوا مَاتَ خَوفِي مِنَ الدّهْرِ
فللّه مَا أعْطَى وللّه مَا حَوَى ... ولَيسَ لأيّامِ الرّزيّةِ كالصّبْرِ

الأعرابيات ، ٢٨٠.

(٥) ←

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي قصيدة نفث فيها زفرات صدره في أمر وفاة أولاده الخمسة ، وقد تعاقبت في سنة واحدة ، وهي نكبات لا يسع المرء أمامها التجلّد ولا الصمت ، فعاج يبحث في الشعر عن مُسكّن لألمه ، ونزع الى قيم الجاهلية في الدهر فقال إنه غير معتصب وانصرف عن هدأة القيم الاسلامية التي لم تستطع أن تملأ المكان الذى كان يُمثّله شعر الدهر في العصر الجاهلي ، وعاد أبو ذؤيب اليه يترسّمه في لوحاته وصوره وهي جميلة وكل أبياتها أبيات مختارة يصلح ذكرها هنا .

وأُنوّه إلى انّ المنون هنا قد تعني المنيّة غير أنه لا سبيل لاعتقاد صلة بينها وبين " مناة " بعدما تأكد ان الموت والحياة بيد الله في العصر الاسلامي . غير أن ما نجده في قول جرير يدعو الى التأمل قليلا فهو في مباهاته لقرنائه يرى أنه الدهر الذي يُفني الموت ، قال (١) :

أنا الدّهرُ يُفني المَوْتَ والدّهرُ خالِدٌ فَجِئْنِي بمِثْلِ الدّهْرِ شَيْئاً يُطاوِلُه

فإنه وان ظننا أن قوله محمول على المجاز ، وجاء بهذا البيت يفاخر الفرزدق الذي شبّه نفسه بالموت ، على انه لا يحق لا تُنيْنهما أنْ يسرفا في المجاز اسرافهما هذا،ولا أن يُغاليا فيه هذه المغالاة ، ولكن جريرا قصَد ـ على مغالاته ـ أن الموت من ضحايا الدهر وأن الدهر لا يطاوله قوة ولا يعاظمه جبروت .

الدّهر المُفرّق

الانسان اذا ما ألمّ به خطب كان جزوعا ، وهو ان كان شاعرا أشد حيدة عن الِلواء في عاطفته ، أو التقييد منها ، وكيف به ان قلص فرع الدنيا على الشاعر وضاق صدره بفراق احبته ، فلعلّ الشعراء يعذرون في انغمارهم بالدهر صراخا وعويلا ومن ذلك نعي رقيع الوالبي على الدهر وقد أشتّ قومه ، وأتى دون خلّانه، قال (٢) :

لَحا اللّه دَهْراً شَرُّه دونَ خَيْرِه وَوَجْداً بِصَيْفِيِّ نَأَى بَعْدَ مَعْبَدِ
بَقيّةَ خِلاّني أتى الدّهرُ دونَهم فَما جَزَعي أَمْ كَيْفَ عَنْهُم تَجَلُّدي
وَلَوْ أَنّها إحْدَى يَدَيَّ رُزِيتُها ولكنّ يَدي بَانَتْ عَلى إثرِها يدي

وقَوْل سُعدى بنت الشَمَرْدَل في رثاء أخيها أسعد ، قالت وتبدو أكثر هدوءا (٣) :

... (٥) المنون هنا الموت وقيل عنى الدهر، وقد جاءت المنون بمعنى الدهر في قول كعب بن مالك ديوانه ٢٨٧. والفرزدق ديوانه ٧٧.

(١) ديوانه ، ٩٦٣.

(٢) شعره ، المورد، مج ٣٦، ع ٤: ١٦٤

(٣) الأصمعي ، الاصمعيات ، ١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ الحَوادِثَ والمَنونَ كِلَيْهِمـــا ... لا يُعْتِبان ولَوْ بَكَى مَنْ يَجْزَعُ
كَمْ مِنْ جَميعِ الشَّمْلِ مُلتَئِمٍ الهَـوى ... كَانُوا كَذلك قَبْلَهُم فَتَصَدَّعُـوا

ومثلـه قـول اسماعيـل بـن يسـار فـي رثـاء أخيـه أبـي بكـر ، وقـد أفـرده الدهـر وحيـداء قـال (١)

عِيلَ الكِبْرَاءُ وخَانَنِي صَبْـــرِي ... لَمَّا نَعَى النَّاعِي أَبَا بكْـــرِ
ورَأَيْتُ رَيْبَ الدَّهْرِ أَفْرَدَنِـــي ... مِنْهُ وأَسْلَمَ للعِدَى ظَهْـــرِي

غيـر أن قـول اسماعيـل مخـرج فـي مستحسـن وصـف وجميـل صـورة ، ومثلـه قـول ذي الرّمّـه فـي رثـاء حبّـه لخرقـاء (٢) :

أَخَرْقَاءُ للبَيْنِ استقلت حُمولُهـا ... نَعَمْ غَرْبَةً فالعَيْنُ يَجري سَيلُهـا
كَأَنْ لَمْ يَرُعكَ الدَّهرُ بالبَيْنِ قَبْلَهـا ... لَمِيّ وَلَمْ تَشْهَدْ فِراقاً يُزيلُهـا
بَلى فاستَعارَ القَلْبُ يَأْساً وما نَحَت ... عَلى إثْرِها عَيْنٌ طَويلٌ هُمُولُهـا

ويـرى تميـم بـن مقبـل أن الدهـر أزال حبّه ممـن أراد الاجتماع بهم ، قـال (٣) :

يَا صاحبيَّ انظرا لاَ عَدِمتكمـــا ... هَلْ تُؤنِسان بذي "ريَحْانَ "مِنْ نارِ
إنْ تُؤْنِسا نارَ حَيٍّ قَدْ فُجِعتُ بِهِـم ... أَمْسَتْ عَلى شَرَفٍ مِنْ دَارِهِم دَارِي
عَلى تَبَاعُدِهِمْ يَنزل ثَوابكمسَـــا ... والدَّهر بالنَّاسِ ذُو نَقْضٍ وامْـــرَارِ
لا يُعتَبِ الدَّهرُ مَنْ أَمْسَى يُعاتِبُـــه ... ولا يَزالُ عَليه سَاخِطـــاً زَارِي

فالدهـر ذو نقض وامرار بالناس ولا يعتب مَن سخط عليه.
وقـال هلال بن الاسـعر المازني : (٤)

ولكِنَّ صَرْفَ الدَّهرِ فَرَّق بَيْنَنَـــا ... وبَيْنَ الأَدَاني، والفَتَى غَرَضُ الدَّهْرِ

فهـو يرى الفتـى محـط سهـام الدهـر ، وهـمّ الدهـر تشتيت جمـع الاحبـة . ومثـل هـذا قـول سيبويـه في أخيـه (٥) :

أُخَيَّيْنِ كُنَّا قَرَّق الدَّهْرُ بَيْنَنَـــا ... إلى الأَمَدِ الأَقْصَى وَمَنْ يَأْمَنُ الدَّهْرا

---

(١) محمود المقداد ، ديوان أشعار الموالي في العصر الأموي ، ١٠٩.
(٢) ديوانه (د. عبدالقدوس) ، ٩٠٦.
(٣) ديوانه ، ١١٣.
(٤) أسامة بن منقذ ، المنازل والديار ، ٢٥٠.
(٥) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢:٣١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذا القول ان صحّ له - قول يرى ان الدهر يفرّق بين الأحبة، ويشتت جمعهم ومعلوم أن الانسان لا يسير على نهج واحد لا يتخلف ، فهو سائر من قوة الى ضعف ومن شدة الى فتور ، ومن جد الى هزل ، ومن الحب الى الفراق -أو الكراهية احيانا- وقد وصف الشعراء هذا التقلّب بتقلّب الدهر نفسه ، وعزوه الى ريب الدهر بهم ومن ذلك قول جرير في انقلاب الدهر ونقضه الامر بعد ابرامه (١)

لاَ يَأْمَنَنَّ قَوِيٌّ نقضَ مِرَّتِهِ ... إِنِّي أَرَى الدَّهْرَ ذَا نَقْضٍ وإِمْرَارِ

وقول الأخطل ينسب للدّهر انقلاب " وَسِيمَة " عنه : (٢)

نَكَرتَ انقلابَ الدَّهرِ فانكُرْ "وَسِيمَةً" ... فَقَدْ خِلْتَ حَقّاً حُبَّها قَاتِلِي قَتْلا
فَتِلكَ التي لَمْ تُخْطِ قَلبِي بِسَهْمِهَا ... وَمَا وَتَرَتْ قَوْساً ولاَ رَصَفَتْ نَبْلا

فهو صريع هواها وأسير حبّها ، غير ان الدهر أدمى قلبه ، وقلّبها عنه . والأخطل يسير على ما سار عليه الجاهليون في ذكر انقلاب الدّهر قال (٣) :

وبَيْنَما المَرْءُ مَغْبُوطٌ بِمَأْمَنِهِ ... إِذْ خَانَه الدَّهْرُ عمّا كَانَ فانْفَتَلا

فهذا قول ترسّم فيه قول امرىء القيس وعدي بن زيد في تقلّب الدهر ، ومثله من الشعراء أمية بن ابي عائذ الهذلي (٤) ، وعُبيدالله بن قيس الرقيات (٥) ، اذ قالا في تغيّر حال الناس وبلاء الدهر لهم من بعد لذّة العيش ، يتشعبهم خطبه ، وتعثريهم بوائقه ويتبدّى بمرور الدهر وتطاوله أحوال للناس وأهوال ، ويظهر صدق عواطفهم من كذبها وصدق عهدهم وزيغه ، ولقد حرص الشعراء ، وبخاصة الغزلون منهم على أن يؤكدوا ثباتهم على الحب ، أو أن ينفوا هذا الحب ويسلّوا عنه ، ويذكروا تجلّدهم فيه أو أن يذكروا رجاءهم في أن يجتمع شملهم مع أحبتهم ، ومن ذلك قول الحارث بن خالد المخزومي (٦)

لا يحرِمُ الوُدَّ مِني بُعدُ دارِهِمُ ... ولا تَطاوُلُ هَذا الدَّهْرِ يُسْلِيني

وقول جميل في حُسن شيمته هو وبثينة على ضُرّ الدهر وتطاوله (٧) :

ألاَ لا أَرى اثنيْنِ أَحْسَنَ شِيمَةً ... عَلى حَدَثَانِ الدَّهرِ مِنّي ومِنْ جُمْلِ

---

(١) ديوانه ، ٢٣٣.
(٢) ديوانه ، ٤٢٩.
(٣) ديوان الاخطل (ايليّا ابو ماضي) ، ٣٤٩.
(٤) ديوان الهذليين ١٧٣/٢.
(٥) شعره ، ١٠٩.
(٦) شعره ، ٢٣.
(٧) شعره ، ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو قول الاحوص في دوام شوقه ، واتصال حبه على تمادي الدهر [١] :

أبقَى لها الدَّهْرُ من ودّي الذي عَهِدَتْ ... أَمْرَيْن ، لَمْ يَبْرَحا مِنّي عَلى بَسَالِ
شَوْقاً إليها إذا بُثَّتْ مَنَاسِمُها ... يَوْماً وأَبْصَرتُ مِنْها رَسْم أَطْلالِ
وَحِفْظَ مَا استَودَعتْ عِندي وَقَد زَعَمَتْ ... أَنْ لَيْسَ يُحسن حفظ السرّ أَمْثَالي

وهو قول أجاد فيه الأحوص الا في ربطه الشوق برؤيته الطلل واشتراطه لها ويرى عمر ابن شأس الأسدي أن حبّه لا يَفْنى ولا حاجاته تُقضى من الشوق أو الوصال، قال [٢] :

تَذَكَّرَ حُبَّها ، لا الدَّهرُ فَانٍ ... ولا الحَاجَاتُ مِنْ لَيْلى قُضِينَا

ويُنْكِر العَرْجي ان الدهر الفاسد قد زلّ به عن الحُبّ وحفظ العهد ، قال مستنكرا [٣] :

أَلَمْ يُنْسِ لَيْلى عَهْدَك المُتَباعِدُ ... ودَهْرٌ أَتى بَعْدَ الذي زَلَّ فَاسِدُ

والشعراء الغزلون قد أكثروا من هذا الاستنكار ، ورسموا أنفسهم رمزا للوفاء وحسن الصبر ودوام الشوق ، ومنهم عمر بن ربيعة وذو الرمّة [٤] وجرير ، فمن ذلك قول عمر بن ربيعة [٥] :

ضَاقَ الغَداةَ بِحاجَتِي صَدْرِي ... وبَدَتْ بَعْدَ تَقَارُبِ الأَمْرِ
وتَبَادَرَتْ عَيْنايَ بَعْدَ تَجَلُّدٍ ... فَانْهَلَتَا جَزَعاً عَلَى الصَّدْرِ
وَنَكَرْتُ فَاطِمَةَ التي عُلِّقْتُهَا ... عَرَضاً ، فَيَا لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ

وقول كثيّر عزّة : [٦]

وَمَا ظَعَنَتْ طَوْعاً ولٰكِنْ أَزَالَهَا ... زَمانٌ نَبا بالصَّالِحينَ مَشُومُ
وإنّي وإنْ أَعْرَضْتُ عَنْهَا تَجَلُّداً ... عَلى العَهْدِ فيمَا بَيْنَنَا لَمُقِيمُ

وهم يرون أن الدهر يحول دون مبتغاهم ، قال مجنون ليلى [٧] :

أبَى حَدَثانُ الدّهرِ الاّ تَشَتُّتاً ... وأَي هَوىً يَبْقَى على حَدَثِ الدَّهرِ

وهو ظن سيء بالدهر ، ومثله قول قيس بن ذريح : [٨]

---

(١) شعره ، ١٧٢.
(٢) شعره ، ٢٠١
(٣) شعره ، ١١٦.
(٤) انظر ديوان ذي الرّقة ، ٥٠٧، ١٣٢٨. وديوان جرير ، ١٦٣. وعمر بن ربيعة ، ٢٨٣.
(٥) ديوانه ، ١٥٣.
(٦) ديوانه ، ١٢٦. وتنسب لغيره
(٧) ديوانه ، ١١.
(٨) شعره ، ٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما مِنْ حَبيبٍ آمنٍ لِحَبيبـــــــهِ ولا ذي هوىً الّا لَهُ الدّهْرُ فَاجِـــعُ

وقول نُصيب بن رماح [١] :

يَا دَهْرُ مَا هَذا لَنا مِنْكَ مَـــرَّةً عَشَرْتَهَا فَأَقْصَيْتَ الحَبيبَ المُدانيَـا

وهو وان لم يكاثر الشعراء الغزليين غير انه يصدق في أن الضر على الاحبة ليس بغريب من الدهر ولا مستهجن ، ومثله يزيد بن الطثرية اذ يقول [٢] :

وما جاران موتَلِفـــــــــان إلاّ سَيُفَرِّقُ بَيْنَ جَمْعِهِمَا النِمَنُونُ

ويرى العُجَيْر السَلُولِيّ أنَّ وَصْل محبوبته قد جفّ نِسْغه وعاد باليًا لمرور الدهر وعَدْره قال [٣] :

إن كانَ وَصْلُك أبلَى الدَّهر جِدَّتَـــهُ وكُلُّ شَيءٍ جَديدٍ هَالِكٌ نَفِـــدُ
وقَدْ خَلا زَمَنٌ لَوْ تَمْرِمِينَ لَـــهُ وَصْلي لأَيْقَنْتُ أنّي مَيِّتٌ كَمَـــدُ
أَزْمَانَ تُعْجِبُنِي جُمْلٌ وَاكتِمُـــهُ جُمْلاً حَيَاءً وَمَا وَجْداً كَمَا أَجِـــدُ

فهو قد سلا حبّه وتأسى بهلاك كل جديد . على أن عمر بن ربيعة يرتجي الوصل ولا يسلوه قال [٤] :

وَقلبي قلبيَ النّسَاءَ سِواهَـــا بَعْدَما كانَ مُغْرَماً بالعَوافِـــي
وأُرَجِّي أَنْ يَجْمَعَ الدَّهْرُ شَمْـــلاً بِكِ ، سُقْيَاً لِذَلِكَ مِنْ زَمَـــانِ

ويذكر ان الدهر ان جمع بينه وبين سعدى كان زمان حسن وحسنى قال : [٥]

ان دهرا يلفّ شملي بسعـــــدى لزمان يهم بالاحســـــان

الدهر والشيب

يرى جرير أن الدهر بدّله شَيْبا وتَحنّيا في ظَهْره ، بعد شباب غَضّ وقناة قويمة قال [٦] :

ولَقَدْ رَأَيْتُكَ والقَنَاةُ قَوِيمَـــةٌ إذْ لَمْ يَشِبْ لَكَ مِسْحَلٌ وعِـــذَارُ
والدَّهْرُ بَدَّلَ شِيبَةً وتَحَنِّيَـــاً والدَّهْر ذُو غِيَرٍ لَهُ أَطْـــوَارُ

---

(١) شعره ، ٠٧٢
(٢) شعره ، ٠١٠٨
(٣) شعره ، مجلة المورد مج ٨، ع ١ ، ٠٢١٧
(٤) ديوانه ، ٠٢٩٢
(٥) نفسه ، القصيدة نفسها ، ٠٢٩٣

(٦) ديوانه ، ٠٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى الأخطل ان الشيب لباس منحه اياه الدهر قال : (١)

أَمَا تَرَيْنِي حَنانِي الدَّهرُ مِنْ كِبَرٍ ... وأَلْبَسَتْنِي لَهُ دَيْباجَةً خَلِقُ

وهذه الرؤية يُعللها نابغة بني شيبان اذ يرى أنّ الشيب يَلوح في عارضي المَرء من اختلاف الليّل والنهار به ، وشبه الشيب بالقتير، قال (٢)

مَتَى يَخْتَلِفْ يَوْمٌ عَلَيْكَ ولَيْلَةٌ ... يَلُحْ مِنْهُما في عارِضَيْكَ قَتيرُ

ويرى الأخطل أن الشيب اشتعل في رأسه وجلّله من طول لبسه الدّهر ، قال (٣)

وقَدْ لَبِثْتُ لهذا الدَّهرِ أَعْمُرَه ... حَتّى تَجَلَّل رَأْسِي الشيبُ واشْتَعَلا

ـ ٣ ـ

الدهر وحالات الانسان بين السعادة والشقاء

يُحمِّل الدهر ما يحدث فيه للانسان من خير أو شر ، وما يمر به عليه من سعادة او شقاء ، ويبدو جليّا في قول حطّان بن المُعَلّى أن الدهر مُبكٍ ومضحك غير أن حظه من الشّقاء اكثر ، قال : (٤)

أَنْزَلَني الدَّهرُ عَلى حُكْمِه ... مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إلى خَفْضِ
وغَالَني الدَّهْرُ بِوَفْرِ الغِنى ... فليسَ لي مَالٌ سِوى عِرْضِي
أبكاني الدَّهرُ ويَا رُبَّما ... أَضْحَكَني الدَّهرُ بِمَا يُرْضِي

وكان هذا في فقره ، يدل له قوله :

لَوْلا بُنَيّاتٌ كَزَغْبِ القَطَا ... رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إلى بَعْضِ
لكانَ لي مُضْطَرَبٌ واسِعٌ ... في الأرْضِ ذَاتِ الطُولِ والعَرْضِ
وإنَّما أَوْلادُنا بَيْنَنَا ... أكبادُنا تَمْشي عَلى الأَرْضِ

ونرى ليزيد بن مفرّغ مثل هذا ، وهو يرى أن كلّ أبيض صار إلى أسود ، فخُطوب الدهر ومواطن الضيق منه تكسر صمود الانسان وجَلَده قال (٥) :

---

(١) ديوانه ، ٠٦١٦

(٢) شعره ، ٠٣٠

(٣) ديوانه ، ٠٣٤٧

(٤) التبريزي ، شرح حماسة أبي تمام ، ١ : ١٠٢٠

(٥) شعره ، ٠٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودُهورٍ لقينا موجِعاتٍ ... وزَمانٍ يَكسِر الجُلْمُودا
فَصَبَرْنَا على مَواطِن ضِيقٍ ... وخُطوبٍ تُصَيِّر البِيضَ سُودا

ويرى تميم بن مقبل الدهر في خطّين قال : (١)

وما الدَّهرُ إلاّ تارتان فمنهُما ... أَموتُ، وأُخرى أَبتَغي العَيشَ أَكدَحُ
وكلتاهُما قَد خُطَّ لي في صَحِيفَتي ... فَلا العَيْشُ أَشهَى لِي ولا المَوتُ أَروَحُ
إذا مِتُّ فانْعِيني بما أَنَا أَهلُه ... ونُمِّي الحَياةَ ، كُلُّ عَيْشٍ مُبَرِّحُ

ويرى ان هذا الدهر هو في خطيه من قضاء الله وقدره ، وهو راض بأقربهما اليه وهو الموت :

ويعرّف نابغة بني شيبان الدهر فيقول أنه مراتب من البؤس والنعيم (٢) :

وما النّاسُ إلاّ في رِهَاقٍ وَصَالِحٍ ... وما الدّهرُ إلاّ خِلفَةٌ ودُهُورُ
مَراتِبُ ، أما البَؤسُ منها فَزَائِلٌ ... وكُلُّ نَعِيمٍ في الحَياةِ غُرُورُ

غير أن رؤية أكثر سوادا يراها مرار بن منقذ في الدهر ، فهو يقصر الدهر على الشقاء قال (٣) :

وما الدهر والأيام إلا كما تَرى ... رَزِيئَةُ مالٍ أَوْ فِراقُ حَبِيبِ
وإنَّ امرأً قَدْ جَرَّبَ الدَّهرَ لَمْ يَخَفْ ... تَقَلُّبَ عَصْرِيهِ لِغَيرِ لَبِيبِ

وهو قريب من قول النابغة الجعدي : (٤)

كذاكَ لعمري الدَّهرُ يَومان فاعْرِفوا ... شُرُورٌ وخَيرٌ ، لا بَل الشَّرُّ أَكْثَرُ

ويظن أبو الاسود الدؤلي بالدهر ظنا قريبا من ظنه بالقدر ، ويرى ان مسّ الضرّ به قد اسلمه الى الصبر فيقول (٥) :

تعوّدتُ مسَّ الضُّرِّ حَتىّ ألِفتُه ... وأَسلَمَني طُولُ البلاءِ إلى الصَّبْرِ
إذا أنا لَمْ أُقبَل مِنَ الدَّهرِ كُلَّ ما ... أُلاقِيهِ فيه طَالَ عَتبِي عَلى الدَّهرِ

وقد يذكر الشاعر عقّ الدهر له وخداعه ، وتقلبه من سعادة لشقاء غير أنه ينكر

---

(١) ديوانه ، ٢٤ ، المترّح : المنغص
(٢) شعره ، ٢٥ .
(٣) الحماسة البصرية ، ٢ : ٤١١ .
(٤) ديوانه ، ٦٩ . وانظر السجستاني ، المعمّرون ، قول عبدالمسيح بن بُقيلة ، ٤٨ .
(٥) شعره ، ١٠٦ . وقد سبق ذكره

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا ويقرنه الى عظيم صبره من ذلك قول أبي جلدة اليشكري (١) :

ما عَضَّني الدَّهْرُ إلاّ زادَني كَرَمـاً ... ولا استَكَنْتُ لَه إنْ خانَ أوْ خَدَعـا
ولا تَلينُ عَلى العِلاّت مَعْجَمَتي ... في النّائِباتِ إذا ما مَسَّني طَبَقـا

ومن الجديد الذى يسجّل للشعر الاسلامي في الصبر على الدهر ونوائبه أن الشعراء عدّوا من مثالب مهجوّيهم عدم الصبر على الدهر . وهو امر مبتدع آت من تَلَمّة التّبرم بالاقدار والاعتراض عليها، قال الفرزدق في رهط جرير (٢) :

فما لكُلَيبٍ في المَكارِمِ أوّلٌ ... ولا لكُلَيبٍ في المَكارِمِ آخِرُ
ولا في كُلَيبٍ إنْ عَرَتْهُم مُلِمّةٌ ... كَريمٌ عَلى ما أحْدَثَ الدَّهرُ صابِرُ

والشعراء في صبرهم على الدهر يجرون على ما أوصى الله به من الاحتساب وحسن الصبر فالدهر يجري بالاقدار المكتوبة ، قال لبيد بن ربيعة ، وتُنسب لغيره : (٣)

صبراً على حَدَثانِ الدّهرِ وانقبضي ... عن الدّناءة انّ الحُرَّ يَصْطَبِرُ
فَمّا رُزِقْتُ فإنّ اللّه جالِبُه ... وَما حُرِمْتُ فَما يجري بِه القَدَرُ

غير ان الشعراء لم يخلو القول في الدهر وحالاته من الفرح والسعادة ، بل تَجَلّوا لحظات فرحهم ، من ذلك قول مجنون ليلى (٤) :

أَلاَ يا حبّذا نَفَحاتُ نَجْدٍ ... وريّا رَوضِهِ غَبَّ القِطارِ
وأهْلُكَ إذْ يَحُلُّ الحَيّ نَجْداً ... وأنتَ عَلى زَمانِكَ غَيْرُ زَارِ
شهورٌ يَنْقَضينَ وَما شَعَرْنا ... بأنْصافٍ لَهُنَّ ولا سِرارِ
فأما لَيْلُهُنَّ فَخَيْرُ لَيْلٍ ... وأطولُ مَا يكونُ مِنَ النَّهارِ

فهو يسجل للدهر مكرمته ، ومثله جميل بثينة لمّا تذكر أيام وصله وصفاء عهده ، قال (٥) :

ألاَ ليتَ أيّامَ الصّفاء جَديدُ ... ودَهْراً تَوَلّى يا بُثَينَ يَعُودُ
فنغنَى كَما كُنّا نَكونُ وأنْتُم ... صَديقٌ وإذْ ما تَبذُلينَ زَهيدُ
جَزَتْكِ الجَوازي يا بُثَينُ مَلامَةً ... إذا ما خَليلٌ بَانَ وَهْوَ حَميدُ

---

(١) شعره ، مجلة المورد ، مجلد ١٣ ، العدد ٣ : ١٠٠ ، مَعْجمتي : قوتي ، طَبَقا : حال شديدة ، وانظر ايضا قول طُريح بن اسماعيل ، شعره ، ٧٦ ، وقول هدبة بن الخشرم ، شعره ، ٦٩ .

(٢) ديوانه ، ٢٧٦ .

(٣) ديوانه ، ٣٦٤ ، وتنسب لابي زبيد الطائي (مخضرم) .

(٤) ديوانه ، ٢٧ .

(٥) ديوانه ، تحقيق د . حسين نصار ، ٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثل هذا في مدح الزمان قليل (١) غير أنه يُنبي عن عدل الشعراء في تناولهم الدهر ومن ذلك قول الأحوص (٢) :

سُقياً لرَبْعِكِ من رَبْعٍ بذي سَلَمٍ ... وللزّمانِ به إذْ ذاك مِنْ زَمَنِ
إذ أنتِ فينا لمَنْ يَنْهاكِ عاصِيَةٌ ... وإذْ أجرُّ إليكمْ سَادِراً رَسَني

وهو قول جميل ، وأجمل منه قول الطرّماح في وَصْف عيشه وأهل ودّه قد اجتمعوا في دهرٍ رغيد هنيء ، قال : (٣)

فَما أنسَ م الأشياءِ لاَ أنس مَيْعَةً ... مِنَ العَيْش إذْ أهلُ الصَفاء جَميعُ
وإذ دَهْرنا فِيه اغترارٌ وَطيْرَنا ... سَواكِنَ في أوْكارِهِنَّ وَقُوعُ

ووَصف يوم السعد من الدهر بالقصر ، قال كثيّر (٤) :

وكنت إذا ما جِئْتُها بَعْدَ هَجْرةٍ ... تَقاصَرَ يومئذٍ نَهاري وأغْيَمَا

وكأن يومه من أيام الشتاء ، وهي " أقصر أيام السنة "، وهو هنا يقصد سرعةَ مروره وجريانه ومنهم من لا ينظر الى هذه السعادة المؤقتة ولا يذكرها ، بل يذكر صبره على الدهر ، وقد يذكر تخشّعه وضَجَره به ، قال كثيّر في عزّة : (٥)

فَأصبَحْتُ هَمّا أحدَثَ الدّهر خَاشِعاً ... وكنتُ لرَيْبِ الدّهرِ لا أتَخَشَّعُ
ألاَ تَتَّقِينَ اللّه في قَتْلِ عَاشِقٍ ... لَه كَبِدٌ حَرّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

ومنهم منَ لا يخشع كالفرزدق اذ يشبه نفسه بالصخرة التي تتحطم عليها كل الصخور كناية عن عزم ثابت وشدة في الصبر ، قال (٦) :

لعَمري لقَد أبقى لي الدّهر صَخرةً ... يُرادَى بي الباغِي ولم أكُ أصْرَعَا

---

(١) انظر مثلا : أبو هلال العسكري : ديوان المعاني " ما قيل في مدح الزمان " ٢ : ١٩٨ . وانظر ديوان العباس بن مرداس السلمي ، ٨٠ .

(٢) شعره ، ٢٠٩ .

(٣) شعره ، القسم الثالث من " شعراء أمويون " ، (د . نوري القيسي) ، ٢٨٩ .

(٤) ديوانه ، ١٣٢ .

(٥) نفسه ، ٤٠٥ . وتنسب لجميل بثينة ، ديوانه ، ١١٨ .

(٦) ديوانه ، ٣٥٥ . أضرع : جبان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٤ -

الدهر بمعنى السلطان في الشعر الاسلامي

لعلّ ظروف الحكم في صدر الاسلام وعهد الخلافة الراشدة لم تكن تسمح بظهور مفهوم الدهر " السلطان " ، ولم تساعد عليه البيئة السياسية آنذاك . وذلك لما عليه الناس من الهدوء والدعة الى أمر الخلافة ، غير أنه يمكن القول بظهور الدهر السلطان جليّا في عصر بني أميّة ، وهو العصر الذي شهد انقسام الناس على الخلافة ، ولم يكن الامر قد صفا لبني أمية ، ولا دانت الممالك كافة لهم بالطاعة والاخلاص . ووُجدت أحزاب تناوش في أمر الخلافة كالشيعة والخوارج وأُغري الناس ببعضهم وخاضوا خوضهم في منا زعات وخصومات سجّلها المؤرخون ولم يكن الشعراء مغيّبين عن هذا كلّه فسجّلوا وثائقهم وقالوا قولهم . وكان السبيل ممهدا للقول في الدهر قولا يمكن وصفه انه يعني الحالة السياسية وما عليه امر الخلافة والسلطان .

وَرَدَ أنّ زياد ابن أبيه سمع رجلا يسب الزمان فقال : لو يدري ما الزمان لضربت عنقه ، إن الزمان هو السلطان ! (١)

وجاء عن الشَمَّعْلَة التَغلبي قوله لهشام بن عبدالملك (٢) :

وإنّ أميرَ المؤمنينَ وفِعْلِه لكالدَّهرُ لاعاريمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

وهو قول يُنبيء عن فهم خاص للدهر والسلطة ، فهو يشبّه أمير المؤمنين وفعله بالدهر وفعله ، لا عيب عليه . ولا حَرَج .

والشعراء لم يقصدوا الدهر وحده بالسلطان ، بل قصدوا الزمان ايضا ، وبعضهم كانوا يرون ان الدهر سواء في عصر بني أمية ، فيه انقلاب الموازين ، وموالاة الاغبياء ورفع الارذال واسقاط الراجحين ، وتنغيص العيش (٣) .

ولا أظن الشعراء يقصدون الى ذم الدهر تَوْرية وخوفا من ان يُكشف قصدهم ، ولا يعمدون اليهما ليحملا رموز شقائهم بعهد من وَلي أمرهم فالشعر الاموي فيه مواجهة صريحة للسلطة وحَمْل مباشر عليها وعلى القائمين بشؤونها (٤) .

---

(١) المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ١ : ١٥٧ .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني ، الاغاني (الساسي) ، ١٠ : ٩٩ . ويروى " وجرحه " في رسالة ابي العلاء "الغفران" ، ٣٦٢ .

(٣) أنظر محمود المقداد ، ديوان اشعار الموالي ، ٤٤ ، ٨٨ .

(٤) أنظر مثلا : البغدادي ، خزانة الادب ، ٤ : ٣٠ . و د . محمد محمد حسين ، الهجاء والهجاءون في صدر الاسلام : ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أنهم قصدوا لهذا " الدهر " لما فيه من الايماء ، مما يبعث حيوية أكبر وانتشاراً أعلى لما فيه من حُلّة الاشارة ونكاء التعبير كقول عبدالله بن الزَّبير الأسدي (١)

وإني أرى دَهْراً تَغيَّر صَرْفُه ودُنيا أراها لا تَقومُ عَلَى وَزْنِ

وقول العرجي في الدهر السلطان (٢) :

وأَبْصَرتُ دَهْراً لا يَقومُ لأَهْلِه عَلى مَا أَحبُّوا فَاسِداً يَتَحَوَّلُ

وهما قولان لهما من احتمال الشيوع ما هو أقوى من احتمال شيوع قول الراعي النميري في مواجهته الصريحة للسلطة ، وشكايته السعاة ، قال (٣) :

إنَّ الذين أَمرتَهم أن يعْدلوا لم يفعلوا مِمّا أَمرْتَ فَتيلا .

غير أنه يَرى بعض شعراء بلاط بني أُميّة أنّ أمير المؤمنين هو من يُجير من تَلَف الدهر بعبدالله كقول الأخطل (٤) :

ولَولا أميرُ المؤمنين تَكَشَّفَت قَبائلُ عنّا أو بَلاها بِنَا الدَّهْرُ

وقول عبدالله بن الزَّبير الأسدي في قصيدة له في المدح (٥) :

أقولُ أميرَ المُؤمنينَ عَصَمْتَنا بِبِشْرٍ مِنَ الدَّهرِ الكَثيرِ إلزَلازِلِ

ويبدو من هذا كله ان الدهر هو السلطان أحيانا وان السلطان هو الدهر ، أو أن للسلطان علاقة بأمر الدهر ، وأن للسلطان قدرة على مواجهة الدهر ، وكل هذا من العلائق التي يُقيمها الشعراء ويروّجون لها لما لهم من قوة العارضة ، وبوصفهم موضع سَمع الناس .

- ٥ -

الدهر وقصص الحيوان في الشعر الاسلامي

قال ابن رشيق " ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالمُلوك الأعزة ، والأمم السالفة ، والوُعول المُمتَنعة ، وحُمُر الوَحْش المُتَصَرفة بين القفار والنُّسور والعِقبان والحَيّاتِ لبأسها وطول أعمارها وذلك في أشعارهم كثير " هذا القول ينطبق على شعر الجاهليين ، وهو نادر فيما يخص قصص الحيوان في الشعر الاسلامي ، بل يكاد

---

(١) شعره ، ١٣٧ .

(٢) شعره ، ١٧٢ .

(٣) ديوانه ، ١٤٢ . وانظر قول عقبة في هجاء معاوية ، العقد : ٦ : ١٦٨ . وانظر المبرّد ، الكامل في اللغة والادب ، ٢ : ١١٨ .

(٤) ديوانه ، ٢١٧ .

(٥) شعره ، ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينقطع . وربما كانت هذه الندرة آتيةً من أن الاسلام فتح أعين الشعراء على حقائق أكثر وعظا واثارة ، وأكد ان الامر ليس مداره قوة الشيء أو ضعفه . وأن الموت ليس فيه رهبة فينظرُ إليه بمهابة تجعل منه حكايا وأساطير . ولعلّ تلك الحكايا من القصص الحيواني طقس من طقوس الجاهلية (١) نتبين فيه عدم فاعلية القوى في الصمود أمام الموت ، وهي مهجوسة بالفناء والبلى ، وليس هذا الامر في الشعر الاسلامي . غير أن الاحوص ذكر أن الدهر يستنزل الطير من أوكارها ، والآساد من أجمها : ولعله شعر منسوب اليه (٢) :

الدّهرُ إنْ سَرَّ يوماً لاقوام لـــهُ ... أحداثُهُ تَصْدَعُ الراسي من القلَلِ
يَسْتَنزِلُ الطَّير كَرْهاً مِنْ مَنَازِلِها ... إلى المَنَيّة والآساد في الأُجُمِ
ويَسْلُبُ الآمِنَ المُغْتَرَّ نِعْمَتَه ... ويُلحقُ الموتَ بالهَيّابة البَرِمِ
مَنْ يَأْمَنِ الدّهرَ أو يَرْجُو الخلودَ به ... بَعْدَ الذينَ مَضَوا في سَالِفِ الامُمِ
لَيْسَ امرؤٌ كانَ في عَيْشٍ يُسَرُّ بِهِ ... يوماً بأَخْلَدَ مِنْ عَادٍ وَمِنْ أَرَمِ

وهذا النص أقرنُه الى أخيه الوحيد نص عدي بن الرقاع في لزوم الموت لكل حي وقد ورد فيه " الزمان "ولم يرد الدهر (٣) :

لَوْكَانَ يَعْتِقُ حَيًّا مِنْ مَنِيَّتِهِ ... تَحَرُّزٌ وحِذارٌ أَحْرَزَ الوَعِلا
الأَعْصَمَ الصَدْعَ الوَحشيَّ في شَعَفٍ ... دُونَ السّماءِ نِيافٌ يَفْرَعُ الجَبَلا
أو طائراً من عِتاقِ الطَيْرِ مَسكنُه ... مَصَاعِبُ الأرضِ والأشرافُ قَدْ عَقَلا
فَكَمْ تَرَى مِن قَوِيٍّ قَلَّ قُوَّتُه ... طُولُ الزّمانِ وسَيْفاً صارماً نَحَلا

وهذان النصان يكشفان الوعظ بموت الحيوان على الرغم من قوته وشدة احتماله ، وأظن أن ندرة القول في الحيوان والدهر يجيء من انصراف الشعراء الى عالم أكثر رحابة .

---

(١) أنظر مثلا : معلقة طرفة بن العبد ، ديوانه ، ٣٧.
ومفضلية الاسود بن يعفر ، المفضليات ، ٢٢٠. وديوان بشر بن ابي خازم ، ٣٠. وديوان عبيد بن الأبرص ، ١٠ .
وشعر زهير بن أبي سلمى ، ١١٤، ١٨٧، ١٩١. وديوان امريء القيس ، ٢٤ ، ٢١٨ ، ٢٩١.
ودريد بن الصّمّة ، ٤٥، ٥٢ ، ٥٥ ـ ٥٧. وديوان علقمة الفحل ، ٣٣، ٤٨. وشعر أوس بن حجر ، ١٠٢ـ١٠٦.

(٢) ديوانه ، ٢٠٣.

(٣) عبدالعزيز الميمني ، الطرائف الأدبية ، ٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدهر والمكان في الشعر الاسلامي

لم ينظر الشعر الاسلامي الى المكان وعلاقته بالدهر نظرة الشاعر الجاهلي اليه، فالشاعر الجاهلي تمنّى أن يكون صخرة لما يصنعه الدهر ، ظنّا منه ان الدهر لا يأتي على الحجارة ولكن الشاعر الاسلامي لم يلتفت الى هذا ، وفي الاسلام ما أغناه عن هذا الظن ، وبدا بعض الشعراء يتمنون الموت ، فليست الدنيا بشيء أمام الآخرة لدى هؤلاء .(١)

ثم ان الحجارة أو الصخور لا تحمل القيمة الجاهلية نفسها التي حمّلها الشاعر الجاهلي اياها في شعره ، فأبو ذؤيب يشبه نفسه بالمِرْوَة التي يفلح بها المسافرون كلّما مرّ منهم ركْب ، قال في عينيته (٢) :

حَتّى كأنّيَ للحَوادِث مِرْوَةٌ بصفا المُشَرّقِ كُلّ يَوْمٍ تُقْرَعُ

فيجعل نفسه مداسا للحوادث كالحجر، وأبو ذؤيب وأن تمثّل بعض رؤى الجاهلية في عينيّته هذه وان لم يبد واضحا، غيرَ أنّه في حديثه هذا لم يتمثّل أمنيّة الجاهلي في أن يكون كالحجر، ولعله نأى عن هذا التمثّل لما علمه من رداءة أمنيتهم وهي التي تنتهي بالمرء إلى أن يكون جامدا لا يتألم ، بل هو يبعث الحيوية في الحجر فيظنّه يتألم بالقرع والخبط والدوس . ويُصبغ قولُه هذا حيوية وحياة على السواكن الجامدة .

الدهر والطلل في الشعر الاسلامي

لم يزل القول في الطلل يستهوي شعراء العصر الاسلامي ؛ حتى لقد أجاد بعضهم فيه وعلى رأسهم ذو الرّمة، حُسنا في الوصف، وقوة في التواصل، وتمثّل الرسوم والدوارس ، وقد أفرد له من شعره مساحة ليست بالقليلة وقال فيه قولا مُوَكّلا به ، وذو الرّمة من الشعراء الذين أزروا على الدهر لتغيير عهد الطلل قال : (رجز) (٣) :

ما هاجَ عَيْنَيكَ مِنَ الأَطْلالِ المُزْمِناتِ بَعْدَكِ الخَوالي
كالوَحْيِ في سَواعِدِ الحَوالي غَيّرَها تَناسُخُ الأَحْوالِ
وغَيّرَ الأيامِ واللّيالي فاستَبدلتْ والدّهرِ ذو استِبْدالِ

---

(١) أنظر ديوان أشعار الموالي ، ص ١٠، ١٨٩، ٢٠٧. وانظر شعر الخوارج ٩٨، ١٠٤. وانظر ديوان هدبة بن الخشرم ، ٩٠. وحسان بن ثابت (عرفات) ، ٢٥.

(٢) ديوان الهذليين ، ق ١/٩٣.

(٣) ديوانه ، ٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى تميم بن مقبل [١] أن ديار الحيّ بالسُّبُعان قد أبلاها المَلَوان وهما الليل والنهار قال :

ألاَ يا ديارَ الحيِّ بالسَّبُعانِ ... أَمَلَّ عليها بالبِلَى المَلَوانِ
نَهارٌ ولَيْلٌ دائِمٌ عَلَوَاهُما ... عَلى كُلِّ حالِ الدَّهْرِ يَخْتَلِفانِ

وتظهر قيمة جديدة في حديث الشعراء الاسلاميين عن الطلل ، وهو وجود المسجد قال عمرو بن أحمر الباهليّ في الطلل [٢] :

وعَرَفْتُ مِنْ شُرُفاتِ مَسْجِدِها ... حَجَرَيْنِ طَالَ عَلَيْهِما الدَّهْرُ

وقد يذكر الشاعر الاسلامي الدهر في مقدمة قصيدته ولا ينصرف الى الحديث عن تغير الدهر به وانما يرى تغيّر الدهر بأهله كقول الطرمّاح بن حكيم [٣] :

طَالَ في رَسْمِ مَهْدَدٍ رَبَسُدُه ... وعَفَا واستَوى بِهِ بَلَدُه
تَرَكَ الدَّهرُ أَهْلَهُ شِيَعاً ... فاستَمَرَّتْ مِنْ دُونِهِمْ عُقَدُه

وكذاك الزمان يطرد بالناس الى اليوم ، أمسه وغده
لا يُرْثِيان باختلافِهما المَرْءَ ... وإنْ طَالَ فِيهِما أَمَدُه
إنّما النَّاسُ مِثْلُ نابِتَةِ السَّرْعِ ... مَتَى يَأْنِ يأتِ مُحْتَصِدُه

فالطلل هنا هيّج الشاعر وحفزه الى تأمّلاتٍ في الحياة والموت ، والى القول الشجي في الرحيل والتغير وانقلاب الحال على مرور الليالي والايام ، وهو يجعل الزمان رديف الدهر لتغيّره بالناس وليس بالطلل .

الدهر والجبال في الشعر الاسلامي

لم يلتفت الشاعر الاسلامي الى ان يقول في الجبال مجاوزا ومتبعا ، وانما التفت الى الجبال في التعبير عن شدة ما يلقاه من الهمّ وعظيم الرزء، قال الفرزدق في رثاء بشر بن مروان [٤] :

ألَمْ تَرَ أنَّ الأَرْضَ هَدَّت جِبَالُهَا ... وأَنَّ نُجُومَ اللَّيلِ بَعْدَك لا تَسْرِي

وهو قول يذكّر بقول كعب بن مالك في رثاء حمزة بن عبد المطلب قال : [٥]

وَيْحٌ لأَمْرٍ قَد أَتانِي رَائِعٌ ... هَدَّ الجِبَالَ فانقَضَّت بِرَجْرُوفِ

---

(١) ديوانه ، ٠٣٣٥ وتنسب لابن أحمر ، ديوانه ، ٠١٠٩
(٢) ديوانه ، ٠٨٩
(٣) ديوانه ، ٠١٩٣
(٤) ديوانه ، ٤٧
(٥) ديوانه ، ٠١٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقول المهلهل التغلبي وهو جاهلي في رثاء أخيه [١] :

ليتَ السماءَ على مَنْ تَحْتَها وَقَعَت وانشقّتِ الأَرْضُ فانْجَابَتْ بمَا فيهـا

فما زال الشعراء ينظرون الى الجبال نظرة مهابة ، سواء أكانوا في الجاهلية أو الاسلام. ولم يُلفت نظرهم قول الجاهليين بخلود هذه الجبال ، ولعلّهم قرأوا أن الجبال بنسفها الله نسفا قال تعالى (ويسألونك عن الجبال ، فقل يَنسِفُها رَبي نَسْفاً فيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً لا تَرى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً) [٢] .

— ٧ —

الدهر ومظاهر الطبيعة في الشعر الاسلامي

الدهر والسماء

لا يحظى عالم السماء بكبير اهتمام الشعراء في العصر الاسلامي ، مما يتصل بأمر الدهر كما هو ماثل في الشعر الجاهلي ، وهم يعلمون أن ليس من همّهم القول ببقاء النجوم وقد تحدّث القرآن في غير موضع فيه عن انتشارها [٣] وهم ، ان قالوا فليس يُحمل قولهم على المجاز ، ولا مجال لتأول مثل هذا القول الاّ على الظن بانهم يُجارون الجاهلية في قولها بخلود النجوم والشمس والقمر.

الدهر والرياح والمطر

يرى الشاعر الاسلامي أن الرياح والمطر يتعاوران الديار ويؤثران فيها ويقرن الشاعر الجاهلي فعل الرياح والمطر الى فعل الدهر ، يقول القطامي في الديار وأهلها [٤] :

ألاَ يا دِيار الحيّ بالأَخْضَر اسلمَي وليسَ على الأَيام والدّهر سَالِمُ
تَراوَحُها العَصْران طَوْراً مُسفَّةٌ وَطَوْراً صَبا من آخر اللّيل خَارِمُ

فهو يرى أن الديار لا تسلم على تراوح العصرين بها وهما الرياح المسفّة التي تثير الغبار ، ورياح الليل الباردة ، ومثله قول العرجي [٥] :

ألا أيّها الرَّبْعُ الذي خَفَّ أَهْلُه وأَمسَى خَلاءً مُوْحِشاً غَيرَ آهِلِ
تَعاوَرَه العَصْران حَتى كأنّمَا يُغَرْبَل أعلى تُرْبِهِ بالمَنَاخِلِ

غير أن العرجي يذكر المطر ويقرنه الى الرياح :

وكلّ هَزِيمِ الرَّعْد جَوْنٍ مُجَلْجَل لَهُ هَيْدَبٌ دانٍ منَ الأَرْضِ هَاطِلِ

---

(١) ديوانه ، تحقيق نافع الراجحي (رسالة ماجستير)، ٣٠١.
(٢) سورة طه ١٠٥-١٠٧.
(٣) أنظر سورة الانشقاق ، ٢ والتكوير : ٢.
(٤) شعره ، ٢٣
(٥) شعره ، ١٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد لا يرى الشعراء أن للمطر أو الرياح أثرهما ، فيخصّون الدهر وحده بتغير الديار ، قال جرير [١] :

حَيِّ المَنازِلَ الأَجزاع غيّرها ... مَرُّ السنين وآبادٌ وآبادُ

ومثل هذا قول طهمان بن عمرو الكلابي في " الربعيْن " [٢] :

وَهَلْ يَسلَمِ الرَبْعان يأتي عَلَيْهما ... صَباحَ مَساءٍ نائِبُ الحَدَثانِ

فالحدثان أثقلَ على الربعين ، وهي غير ماكثة على ما كانت عليه من القوة ولن تظل سالمة على مرور الدهر . وقال الاحوص في الديار [٣] :

وغيَّرَها طُولُ التَقادُمِ والبِلى ... فليسَ كما كانَتْ تَكونُ عَلى العَهْدِ

فهو يرى أن طول الدهر يورث البلى والاندثار .

وقد يجمع الشاعر الرياح والمطر والدّهر جميعا ، كما في قول عمر بن ربيعة [٤] :

قِفْ بالدّيار عَفَا من أَهْلِها الأَثَرُ ... عَفّى مَعالِمَها الأَرْواحُ والمَطَرُ
مَنازِلِ الحيِّ أَقْوَتْ بَعدَ سَاكِنِها ... أَمسَتْ تَرود بها الغِزْلان والبَقَرُ
تَبَدّلوا بَعْدها داراً وغَيَّرها ... صَرْف الزّمان وفِي تِكْراره غِيَرُ

ومثله قول الأخطل قال : [٥]

حيِّ المَنازلَ بين السَفْح والرَّجَبِ ... لَمْ يَبْقَ غَيرُ وُشُومِ النّار والحَطَبِ
يُعِلُّها بالبِلَى إلحاحُ "كَرّهِمَسا" ... بَعْدَ الأنيسِ ومَرّ الدّهرِ ذي الحقب

يعني كرّ الرياح والمطر . واختلاف الايام والليالي ، وهنّ جميعا سبب البلى ومورّثه للديار بين السفح والرجب ، ومثله قول رقيع الوالبيّ في " الدمن البوالي " [٦]

---

(١) ديوانه ، ٧٢٥

(٢) شعره ، ٥٩.

(٣) شعره ، ٧٥ وتنسب لعمر بن أبي ربيعة ، ٤٩٠.

(٤) ديوانه ، ١١١.

(٥) ديوانه ، ٢٣٩.

(٦) شعره ، المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٦ ، عدد ٤ : ١٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— ٨ —

الدهر الرياضي (الفلكي) في الشعر الاسلامي

يذكر الشعراء الاسلاميون أن الدهر متصل سيره ، حثيث سعيه ، تمضي أيامه سراعا كالحلم ، يقول عمير بن مقدام الأسدي (١) :

مَضَى ما مَضى من حُلْوِ العَيْشِ ومُرِّه ... كأنْ لَمْ يَكُنْ الاّ كأَحْلامِ رَاقِدِ
وما الدَّهْرُ الاّ لَيْلَةٌ مثلُ لَيْلَةٍ ... ويَومٌ كيومٍ ضَادِرٍ مُتَمَثِّلُ وَارِدِ

ويعرّف النعمان بن عقبة العتكي الدهر فيقول (٢) :

هَل الدّهرُ الاّ لَيْلة وصَبَاحُهَا ... والاّ طُلوعُ الشّمسِ ثُمَّ رَوَاحُهَا

غير أنّه يحمّل هذا الدهر سعي المرء الى الموت :

والاّ صُروفَ الدَّهْرِ بالمَرءِ مَرَّةً ... ذَلولاً ومَرّاً ، سَعْيُهَا ومَرَاحُهَا
تُقَرِّبُ ما يَنْأى وتُبْعِدُ مَادَنَا ... إلى أجلٍ يُفْضي إليهِ انشِراحُهَا

مما يؤكد انهم يقصدون ليل الدهر ونهاره الرياضيين ، ومثله قول حارثة بن بدر الغدّاني (٣)

وجرّبتُ ماذَا العَيشُ الاّ تَعِلّةً ... وما الدّهرُ الا مَنْجَنونٌ يُقَلَّبُ
وما اليومَ إلا مثلُ أمسِ الذي مَضَى ... ومثلُ غدٍ الجائي ، وكلٌّ سَيَذْهَبُ

ويظهر هنا الدهر الرياضي جليّا ، وهنا يظهر قيمة جديدة ، وهي نسبة تقلب الدهر الى المجهول ، ولعلّه يقصد أن تسيير الليل والنهار بيد الله الذي يقلبهما .

ويرى عمر بن ابي ربيعة ان الدهر هو الحول ثم الشهر يتبعه ، ويشير الى قصر عمر الانسان ، يقول (٤) :

عُوجي عليّ فسلّمي " جَبْرُ " ... فيمَ الصّدودُ وأنتمُ سَفْرُ
ما نلتقي الاّ ثلاثَ مِنىً ... حتى يفرّق بيننا النَّفْرُ
الحَوْلُ ثم الشّهر يتبعُه ... ما الدّهر الاّ الحَوْل والشَّهْرُ

والشعراء الاسلاميون لا يجدون حرجا في ان يردفوا الدهر الزمان ، متناسين ما يترسّم في كلمة الدهر من علاقة الغلبة والانحدار . ومعلوم ان نقل المعنى من لفظ الى آخر يكون بضرب من الملابسة بينهما ، وبسبب من الاختصاص . فنجد عمر بن أبي ربيعة يقول بأن الدهر هو الزمان قال (٥) :

---

(١) الحماسة البصرية ، ٢ : ٣٤ .
(٢) حماسة الخالديين ، ٢٢٥ . وانظر ايضا : ٧٥ .
(٣) شعره (د . نوري القيسي) ، مجلة المجمع العلمي العراقي مج ٢٥ : ١٥٤ .
(٤) ديوانه ، ١٦٧ وتنسب للعرجي . ديوانه ، ٤٣ وانظر الشريف .
(٥) ديوانه ، ٢٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ دَهْراً يَلُفُّ شَمْلي بسُعْدى لزمانٌ يَهُمّ بالإحسان

غير ان الجعدي يرى الزّمان جزءً من الدّهر فيقول (١) :

تَرى الغُصْنَ في عُنْفوانِ الشَّباب يَهْتَزُّ في بَهَجانٍ خُضُرْ
زَماناً مِنَ الدّهر ثم الثّوَى فعَادَ إلى مَفْرَةٍ فانْكَسَر

ويرى الجعدي في موضع آخر ان الدهر هو العمر ، فيقول موبّخا (٢) :

أَكَلَّ الدَّهرِ سَعْيُكَ في تَبابٍ تُناجي كلَّ مُومِسَةٍ أَثيمِ

وهذا من باب الاستعارة ، ومثله الأخطل الذى يستعير الدهر للعمر أيضا فيقول (٣) :

سعيتَ شبابَ الدّهر لم تَسْتَطِعهم أفآلان لمّا أصبَحَ "الدّهرُ" فانِيا

فهو يقول بفَناء الدهر بعد الشباب ، وهو قولٌ غير معهود للدهر الحقيقي وانما قصد دهره هو . ومعلوم أن الدهر لا يهرَم ولذلك سُمّي " بالجديد " و " بالفَتىّ " .

وقد يستعير الشاعر الدهر ليدل على العهد " ، قال عدي بن الرقاع (٤) .

فأصبحَ دَهْرُها دهراً تَولّى وقَطّعت الوصال فلا وصالا
بِوى أني سَأبكي في ديارٍ ببُرْقَةِ " ضاحكٍ " حِجَجًا طِوالا

فهو يقصد في دهرها "الذي تولّى" أيام وصاله وأُنسه بمحبوبته وقد تولّت هذه الايام ، وتولى عهدُه بها .

ولا نَعدم من جميل استعارة في هذا الدهر الرياضي في غير ما موضع من الشعر الاسلامي (٥) .

---

(١) ديوانه ، ٢٣٧.
(٢) نفسه ، ٢١٩.
(٣) ديوانه ، ٣٥٢ . والاخطل يذكر ان الدهر لا يهرم ، ديوانه ، ٣٥٦.
(٤) ديوانه ، ١٠٩.
(٥) انظر مثلا : ديوان حسان بن ثابت ، ٤٤، ٧٥، ٣٨٤. شعر عبدالله بن الزّبير الاسدي والطرماح بن حكيم : ١٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

صورة الدهر في الشعر الإسلامي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ ١ ـ

ينزع الشعر الذى قيل في الدهر في العصر الاسلامي منزعا تأمليا، ولا ترى فيه الصور الا في لمع غير كثيرة منه . وهذه الصور مستوحاة مما جرى عليه شعر الدهر في العصر الجاهلي من مجيء الدهر في هيئة مستبدة قاهرة ، ينقض الامر بعد ابرامه وربما أظهر اعتماد هذا الشعر على النشاط الذهني والخيالي للشعر الجاهلي . على أنه لا قدرة بنا أن نظن أن هذه الصور جاءت من اعتقاد حقيقي بفعل الدهر ، وهو الظن الذى قلت به في شعر الدهر في العصر الجاهلي استنادا الى قولهم " وما يهلكنا الا الدهر " ولاعتقادهم بوجود رب يملك أمر الموت . وليس هذا الاعتقاد موجودا عند شعراء العصر الاسلامي لما نعلمه من أحوالهم ، فهم موحّدون يعتقدون بالله مالك الموت والحياة في آن .

والشعراء الاسلاميون أمكنهم تصوير الدهر صورة انسان مهلك وحيوان مفترس وربما عادوا في هذا التصوير الى الشعر الجاهلي أو الى مشاهداتهم اليومية التي تظهر أن الدهر هو السير الحتمي نحو الموت . فالانسان سائر من شبابه الى شيخوخته بمرور الايام والليالي وتواليها ، ومن نشاطه الى خموله ، ومن فاعليته الى ركوده . وهذا امر لا يتخلّف نظامه .

وقولهم في الدهر ليس له ضوابط تحكم مصدره . الاّ أنّنا نعرف ايمانهم بالله وبأن ما يصيبهم من الأقدار انما هو ابتلاء ، وهذا ما توحيه أشعارهم ومعرفة احوالهم .

ـ ٢ ـ

صورة الدهر الانسان

تقوم صورة الدهر في الشعر الاسلامي قياما مندمجا بالفكرة التي يسعى الشعر لقولها وقد جاءت هذه الصورة في محاور يمكن تقسيمها كالآتي : صورة الدهر الانسان ، وصورة الدهر الحيوان ، وصورة الدهر الأرض ، وصورة الدهر الماء ، وصورة الدهر الرياح ، ويمثل محور الدهر الانسان الحيّز الأكبر من هذا الشعر ، وهو محور يتفرع منه صور كثيرة له ، منها صورة الدهر الانسان المفني ، وصورة الدهر الانسان الصائد ، والدهر المفسد الطائش ، والدهر السعيد المسعد وصورة الدهر الكاسي ، وصور أخرى ....

الدهر : الانسان المفني

يرسم الشاعر الاسلامي الدهر على هيئة انسان يُفني المال والقوة ، ويخترم أرواح الناس، وهذه الهيئة تأتي من خبرة سابقة بالدهر والانسان وجريا على سنّة الشعر الجاهلي ومن أن نيل الخلود محال ، وأن مرور الدهر هو افناء للقوة والحياة وسير الدهر سير بهما الى الفناء .

قال سامة بن ربيعة العبديّ (١) :

الدّهر يَومان ، لا خَفَاء به ... وذو حُجول/ أقرانه جُدَدا
لا يَبليان ، ويَبْلَى ما سواهُما ... من قَبْلنا أفنَيَا المَال والوَلَدا

(١) حماسة البحتري ، ١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يرى أن الدهر متلوّن ، تُفني أيامه المال والولد . وقال اسماعيل بن يسار في رثاء أخيه [١] :

لَوكانَ نَيْل الخُلود يُدْركُه ... بَشَرٌ بطيبِ الجِيم والنَّجْرِ
لَغَبرتَ لا تَخشَى المَنُون ولا ... أَودَى بنَفْسِكَ حَادِثُ الدَّهْرِ

ففي هذا القول ينسب الشاعر الى الدهر هلاك أخيه .

ويظهر الدهر يتيمّم الانسان ويطلبه حتى يدركه ويهلكه . ويظهر هذا في قول بجير بن عبدالله القُشَيْرِيّ [٢] :

ذَريني أَصْطَبِحْ يَا هِندُ إِني ... رَأَيْتُ الدَّهرَ نَقَّب عَنْ هشَامِ
تَيمَّمه، ولَمْ يطلُبْ سِواهُ ... ونِعْمَ الرَّجلُ مِن رَجُلٍ تَهَامِ

والغريب أن الشاعر يقصر طلب الدهر على هشام ، وهو الرجل المعروف بالطيب والمكارم في حين أن الكميت بن معروف الاسدي يسري العيش كله كالزرع يبتريه الدهر [٣] ، ويرى ذو الرّمة أن الدهر يبلي جدّة كل جديد ، ويهلك الناس [٤] ويرى كعب بن مالك أن المرء ان سَلم مِن مرض أو قتلٍ لا يسلم من الدهر [٥] ، وكذلك عبيد الله بن قيس الرّقيات يرى ان الدهر " تَخوّنه إخوانه ، ولم يَبق لهم سائمة " [٦] .

ويبدو الدهر يُلِحّ في طلب الجميع في قول يزيد بن مفرّغ في قومه : [٧]

هَدَم الدّهر عَرْشَنا فتَداعى ... فَبلينا اذْ كلُّ شيءٍ بالِي
إذْ دَعانا زَوالُه فأَجَبْنا ... كلُّ دُنْيا ونِعْمَةٍ لِزَوالِ

فهو يرى الدهر هدّم عرشهم وأبلاهم ، وليس قومه بدعا من الناس ، فكل دنيا لزوال . ونرى تميم بن مقبل يظن أن الدهر هو من أتى على عثمان بن عفّان فيقول في رثائه [٨] :

ليبْكوا على خَيْرِ البَرِيّة كلّها ... تَخَوَّنه ريْبٌ مِن الدّهر مُعْطِبُ
ويَا عَجَباً للدّهر أَنّى أَصابَه ... ومِنْ مِثلِ مَا لاقى ابنُ عَفّان يُعْجَبُ

---

(١) محمود المقداد ، ديوان أشعار الموالي في العصر الأموي ، ١٠٩ .
(٢) ابو تمام ، الوحشيات ، ٢٧٥ .
(٣) انظر شعره ، مجلة المورد ، مج ٥، ع ٤، ٢٠٠ .
(٤) ديوانه ، ٣٥٧ .
(٥) حماسة البحتري ، ١٣٠ـ ولم أجدها في ديوانه .
(٦) ديوانه ، ١٠١
(٧) ديوانه ، ٧٥ .
(٨) ديوانه ، ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي صورة غير نادرة في الشعر الاسلامي اذ تطالعنا لدى أبي الأسود الدؤلي في قوله إن " ريب الدهر بالناس مغرم " [١] وفي قول عروة بن أذينة أن الفتى مثل الهلال يبلى وتفنيه الدهور [٢] " وفي قول الحارثة بن بدر الغدّاني بأن " الدهر لم يبق أخا ولا ذا خلّة " [٣]. ورؤية محمد بن بشير الخارجي الذي رأى أن الدهر صروفه من اختارت سليمان بن الحصين مرثيّه [٤]، وأقف لأتساءل هنا ما يبعد هذه الصور عن قول ذي الأصبع العدواني الذي يورده عبدالقاهر الجرجاني ويقول انه جاء على الاعتقاد بل ما يبعد قول الفرزدق : [٥]

ألا إنّما أودى شَبَابي وانْقَضَى ... عَلَى مرّ ليلٍ دائبٍ وَنَهَارِ
يُعيدانِ لي ما أمْضَيَا وهُما مَعَاً ... طَريدان لا يَسْتَلْهيَان قَرَارِي

وقول أبي الأسود الدؤلي - الذي كان يعجب به هشام بن عبدالملك ويردّده [٦] :

أفنى الشَّبَابَ الّذي أفْنَيْت جِدَّتَه ... مرُّ الجديدين مِنْ آتٍ ومنطلقِ
لَم يتْرُكَاني في طولِ اختلافِهِمَا ... شيئاً يُخَاف عليه لَذْعَةَ الحَرَقِ

ولعلّ هذه الصور قد جرت على " سُنّة الاقتباس " من الشعر الجاهلي . وهي ضرب من اعتصار هذا الشعر في أخيلته وتراكيبه " ومن هذه الصور كثير في شعر القريبين من العصر الجاهلي من المخضرمين ولدى شعراء صدر الاسلام. ولا تُقع على كبير اختلاف بين صورة الدهر المفني في الشعر الجاهلي وصورته في الشعر الاسلامي ، ولعلّ هذا يجوّز لي القول بأن الشاعر في هذه المرحلة ظل مشدودا الى صورة الدهر في الشعر الجاهلي بالرغم من تلك الملامح الجديدة التي تظهر بقوة في صورة الدهر في الشعر الاسلامي .

وجاء هذا الانشداد في صور الدهر في الشعر الاسلامي من رغبة الشعراء في اظهار الدهر في أوقع تأثير حتى يضارع صور الدهر الجاهلي ، وان كانوا يختلفون في مصادر هذه الصور. والشعراء الاسلاميون آخذون في قولهم بالدهر - بالمجاز وتعابيرهم في الدهر أغلبها من المأثور عن الشعر الجاهلي وصلُح أن يحمل المجاز رؤيتهم القوية التي تطابق ما يعتمل في نفوسهم ، وهذا المجاز يبيح لهم الخروج الى ما خرج اليه الشاعر الجاهلي .

---

(١) ديوانه ، ٥٨.
(٢) ديوانه ، ٣٤١.
(٣) شعره ، ٩٣.
(٤) شعره ، انظر : د. نوري القيسي "شعراء أمويون" ق ٣ : ١٩٨.
(٥) ديوانه ، ٣٠٣.
(٦) ديوانه ١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالرغم من هذا كله فان اختلافا واضحا بين صور الدهر في الشعر الجاهلي والاسلامي يظهر في أن الشعراء الاسلاميين أتوا قيما اسلامية في هذه الصور. منهم مجاد ابن جناب الذي رأى أن الدهر مملوك لله يجري بأمره ، قال: (١)

فَمَن كانَ مَغْرُوراً بِطولِ حَيَاتِهِ ... فَإِنِّي جميلٌ أَنْ سَيَصْرَعُهُ الدَّهْرُ
فَلَيسَ بِبَاقٍ إِنْ سَأَلتَ عَلى حَالِهِ ... عَلى الدَّهرِ إِلاّ من له الدَّهرُ والأَمرُ

ويرى أبو الاسود الدؤلي أن الدهر قد أسلمه الى الصبر وحسن الاحتمال ، قال (٢):

تَعوَّدتُ مَسَّ الضرِّ حَتّى أَلِفْتُهُ ... وأَسْلَمَنِي طُولُ البَلاءِ إلى الصَّبْرِ
إذا أَنَا لم أَقْبَل مِنَ الدّهرِ كُلَّ مَا ... أُلاقيهِ فيهِ طَالَ عَتْبِي عَلى الدَّهْرِ

ثم ان هذه الصور محمولة على المجاز ، فحسان بن ثابت يقول بخيانة الدهر وعدم ائتمانه من قصيدة له في مدح الرسول عليه السلام ، وكأنه لا يجد في قوله حرجا ، قال (٣):

فَمَنْ يأْمَنِ الدّهرَ الخؤُونَ فإِنَّنِي ... بِرَأْيِ الّذي لا يَأْمَنُ الدَّهْرُ مُقْتَدِي

ويكثر الشعراء من القول بأن الدهر لا تخطيء أحدا حوادثه . وان كان ذا قوة ومجد يقول أرطاة بن سُهيّة (أم الشاعر) أن قومه قد غالبوا الناس في المجد والسؤدد لكنهم وقفوا عند الدهر مطرقين عاجزين ، قال (٤):

غَلَبْنا بَني حَوّاءَ مَجْداً وسُؤْدُداً ... ولكنّنا لَمْ نَستَطِعْ غَلَبَ الدّهرِ

ويرى عمارة بن صفوان الضبي أن كل امرىء رهن للحوادث التي يجيء بها الدهر ، قال (٥):

أَجَارَتَنا مَن يَجتمِعْ يَتَفَرَّقِ ... وَمَنْ يَكُ رَهْناً للحوادثِ يغلَقِ
أَجَارَتَنا كلُّ امرىءٍ سَتُصيبُهُ ... حَوادثُ إلاّ تكسِرِ العَظمَ تعرُقِ
فَلا السّالمُ البَاقِي عَلَى الدّهرِ خَالدٌ ... وَلا الدّهرُ يستبقي حَبيباً لِمُشْفِقِ

فهو يرى أن المرء مرهون بمصيبة ان لم تكسر عظمه أخذت ما عليه من اللحم وأن لا سالِمَ على طول الدهر وامتداده .

---

(١) السجستاني ، المعمّرون والوصايا ، ٣٠.
(٢) ديوانه ، ١٠٦.
(٣) ديوانه ، ٤٠٧.
(٤) شعره ، مجلة المورد مج ٧ ، ع ١ ، ١٧٩.
(٥) الاخفش ، الاختيارين ، ٢:١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويؤكد هذا قول قيس بن ذريح [١] :

وَمَا مِنْ حَبِيبٍ آمِنٍ لِحَبِيبِهِ ... وَلا ذِي هَوىً إلَّا لَهُ الدَّهرُ فَاجِعُ

وقالت سعدى بنت الشمردل في رثاء أخيها [٢] :

كَمْ مِن جميعٍ مِلتئمِ الهَوى ... كَانُوا كَذَلك قَبلهم فتصدَّعُوا

وهذه الصور تبدو في هدأتها تحمل قيمة اسلامية تتمثل في حسن التأسي بأن الدهر يعمّ الجميع بلاؤه . ومن هذا قول هُدْبَة بن الخَشرم [٣] :

فَلا تَعْجَبِي أُمَّ الصَّبِيَّيْن قد تُرى ... بِنا غِبطةٌ والدَّهر فيه العَجَارِفُ

وَإن يَكُ أَمْرٌ غَيرُ ذَاك فَإنَّنِي ... لَرَاضٍ بِقَدْرِ اللهِ لِلْحَقِّ عَارِفُ

وفي قول الشعراء الذى يوصي بعدم عتب الدهر أو لومه ، والصفح عنه قال أرطاة ابن سهيّة [٤] :

عَنِ الدَّهرِ فاصْفَح إنّه غَيرُ مُعْتَبٍ ... وَفي غيرِ ما قد وَارت الأَرْضُ فاطْمَعِ

ويبدو هذا الهدوء آتياً من وصية الاسلام بالاطمئنان الى قدر الله ، وهذا الاطمئنان مدح به الشعراء ، قال الفرزدق في زياد بن الربيع [٥] :

فَتَىً غيرَ مِفْرَاحٍ بِدُنيا يُصِيبُهَا ... وَمِن نَكبَاتِ الدَّهرِ غَيرُ جَزُوعِ

وهذا الاطمئنان نتيجة من مجاهدة النفس بسوط العزم غير أن المرء قد ينقاد لفترة من عزمه ، ومن ذلك قول كثيّر [٦] :

فأصبحتُ ممّا أحدثَ الدهرُ خَاشِعاً ... وكنت لِرَيْبِ الدّهرِ لا أَتَخَشَّعُ

فالبلوى بأهل العشق قديمة جديدة ، وهم يؤثرون بأنفسهم ويكمدون فما ان سنحت لهم فرصة حتى غالبتهم الدموع واقتادهم الهوى الى ما فيه ذم الخور أمام مصائب الدهر غير أن العذل فيهم منهي عنه ، قال هُدْبَة بن الخشرم [٧] :

فَلا تَعْذِلِينِي، لَا أَرَى الدَّهْرَ مُعْتِباً ... إذا مَا مَضَى يَومٌ ، وَلَا اللَّوم مُرْجِعا

---

(١) ديوانه ، ١٠٩.

(٢) الأصمعي ، الاصمعيات ، ١٠٥. ابن الشجرى ، الحماسة الشجرية ، ٣٠٧.

(٣) ديوانه ، ١١٥. وأظن شعره اختلط بشعر أوس بن حجر انظر قصيدة أوس ، ديوانه ص ٧٤.

(٤) شعره ، مجلة المورد ، مج ٧ ، ع ١ ، ١٨١.

(٥) ديوانه (علي فاعور) ٤٤٣.

(٦) ديوان كثيّر : ٤٥ . وتنسب لجميل بثينة : ١١٨.

(٧) ديوانه ، ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدهر الصائد

لقد كادت تختفي صورة الدهر الصائد ، كما اختفى قمص الحيوان في شعر الدهر في العصر الاسلامي غير أن الدهر جاء على صورة صائد يرمي الناس بسهامه ، وينالهم رهقه ، من ذلك قول جرير فيه (١) :

رَمَتْني بِالثَّمانِينَ اللَّيالِي ... وَسَهمُ الدَّهرِ أَصْوَبُ سَهْمِ رامي

وقول الفرزدق (٢) :

وَكَيفَ بِرامٍ لا تطيشُ سِهامُهُ ... وَلا نَحنُ نَرْميهِ فَنُدرِكُهُ بِالكَبْلِ

ونرى في صورة الدهر الصائد قول الحُويرث الرّاسبي (٣) من الخوارج :

وَما كانَ غَمْراً صالحٌ غَيرَ أَنَّهُ ... رَمَتْهُ صُروفُ الدَّهرِ مِن حَيْثُ لا يَدري

وقول فضالة بن يزيد ، وقد وفد على معاوية (٤) :

رَمَتْني صُروفُ الدَّهرِ حَتّى تَرَكْنَني ... أَجَبَّ السَّنامِ بَعْدَ ما كنتُ أَيْهَما
كَذلِكَ رَيبُ الدَّهرِ يَترُكُ سَهمُهُ ... أَخا العِزِّ والإِيْدِ الذَّليلَ المُذَمَّما

ومن هذه الاقوال يتضح الدهر صورة صائد له سهام لا تطيش ، وهذه اقوال تتفق أقوال الشعراء الجاهليين في سهام الدهر ، وهي تعيد الى الأذهان مآتيهم المبدعة فيها . غير أنني لا أجد فيما اطلعت غير هذه النصوص في الدهر الصائد . ولعل هذا ينبيء عن تراجع صورة الدهر الصائد . ولعل هذا التراجع كان بسبب من كثرة ورود هذه الصورة في الشعر الجاهلي حتى عادت على التكرار مبتذلة . أو ربما كان لتطور فن القتال مع كثرة الفتوحات الاسلامية أثر في توجّه الشعراء الى صورة أكثر جدّة من منابع جديدة . وهذا يظهر في مجيء الدهر صورة فارس لا تؤمن غوائله يتوشح سيفا . من ذلك قول سابق البربري في الانسان الذي لا تعظه التجربة ، قال (٥)

فَما بالُهُ يفدّي مِنَ المَوتِ نَفسَهُ ... وَيأمَنُ سَيفَ الدَّهرِ والدَّهرُ قاتِلُهُ

الدهر المفسد

يُذْهِب الدهر بَهَجات الاشياء ، كما يقول المصابون من الشعراء وقد اثقلهم العمر وتمثل الدهر لهم صورة انسان مفسد يأتي على القوة والمال ، قال كعب بن

---

(١) ديوانه ، (علي فاعور) : ٥٩٤.
(٢) ديوانه ، ٤٣٤. وانظر نصا آخر له في ريب المنون الصائد : ٥٦.
(٣) د. احسان عباس ، شعر الخوارج : ٦١.
(٤) السجستاني ، المعمرون والوصايا ، ١٠٤.
(٥) ديوانه ، ١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معدّان الأشقرى . وقد ونت عليه نفسه فاستسلم لذمّ الدهر [١] :

يَا قَوم غيّرني وَأذْهَبَ قُوّتي ... دَهْرٌ أَلَحَّ بِظَارفي وَتِلادِي
تَغتالُ كُلَّ مُؤَجَّلٍ أيامُهُ ... وتصيرُ بَهْجَةُ مَا تَرى لِنَفَادِ

وهو يذكّر بقول الخيار بن أوفى النهدي وقد وفد على معاوية في آخر أيامه ، فقال له معاوية كيفَ تجدُك ، وما صَنَعَ بك الدّهر ؟ [٢] . قال : يا أمير المؤمنين ، صَدَع الدّهرُ قناتي وأشْكَلني لِداتي ، وأوْهى عِمادي ، وشيّب سَوادي ، وأسْرَع في تِلادي " [٣] .
وهو قول فيه ملامح انسان متعب صفعَ الدهر وجهه ، وأسلمه بعد أن صدع قناته ، وأذهب أصدقاءه . وهو يذكّر بقول جرير فيه وقد رحلت عنه امرأته في أخريات أيامه قال [٤] :

وَوَدّعتْني حينَ كَفَّ الدّهرُ من بَصَري ... وحِينَ صِرْتُ كَعَظمِ الرِّمّةِ البَالِي

ونرى الأخطل يقول في افساد الدهر لقوّته وجلاده قال في " الفتى " وهو الدهر [٥] :

فَمَا لَبّثَتْنِي أنْ حَنَتْنِي كَمَا تَرَى ... قَصِيرَاتُ أيّامٍ " الفتى " وَطويلُهَا

وثمة الدهر يأخذ من قوة ثابت بن قطنة ، قال [٦] :

يا هِندُ ، كيفَ بِنُصْبِ بَاتَ يُبكِيني ... وَعائِرٌ في سَوادِ العَيْنِ يُؤْذِيني
لِمَا جَنَى الدّهرُ مِنْ قَوسي وَعَذّرني ... شَيْبي وَقاسَيْتُ أمْرَ الخَلْطِ واللّينِ

وكان قد قال في المال يُذهبه الدهر ويأتي عليه من قصيدة أخرى له : [٧]

المالُ نَهْبُ الدّهْرِ مَا أخّرْتَهُ ... وَيَكُونُ حَظّاً مِنْهُ مَا يَتَقَدّمُ

وهو يُذكّر بقول الفرزدق في المال يملكه الدهر وان تمنّع حينا عليه ، قال [٨] :

وَمَا قَبَضَتْ كَفّايَ دُونَ مَالِهَا ... لِتَمْنَعَهُ إلاّ سَيَمْلِكُهُ الدّهْرُ

وقد يكتفي الشعراء بذكر أن الدهر مفسد دون أن ينتبهوا لدقائق صورة هذا الدهر المفسد وما يفسده . قال جرير [٩] : وقد سبق ذكره

لا يَأْمَنَنّ قَوِيٌّ نَقْضَ مِرّتِهِ ... إنّي أرَى الدّهرَ ذَا نَقْضٍ وإمْرَارِ

---

(١) شعره ، ٩٣ .
(٢) أمالي القالي ، ٢ : ١٢٠ .
(٣) المعمرون والوصايا . ٧٧ .
(٤) ديوانه ، ٥٨٤ .
(٥) محمود المقداد ، ديوان اشعار الموالي في العصر الاموى ، ٤١ .
(٦) نفسه ، ٣٠ .
(٧) ديوانه ، ٢٢٤ .
(٨) ديوانه ، ٢٣٣ .
(٩) ديوانه ، ١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال العَرْجي [١] :

فَلَمَّا بَرَاني الهَمُّ والحُزْنُ حِقبةً ... وَأَشْفَقتُ مِنْ خَوفِ الّذي كُنتُ آمِلُ
وَأبصرْتُ دَهْراً لا يَقُومُ لأَهلِهِ ... عَلَى ما أَحبُّوا فَاسِداً يتَحَوَّلُ
تَوكَّلْتُ واسْتحدثْتُ أَمراً مُبَارَكاً ... وَأَحْزَمُ هذا الناسِ مَنْ يَتَوكَّلُ

وأظن في قول العرجي ما يوحي بالتواصل بين الدهر والناس وبين الدهر والسلطان فلعلّه قصد ناس الدهر ، وأهله أو القائمين بالسلطة والولاة على أمر الناس وشؤونهم ، وهنا تبدو صورة الدهر أكثر قوة تمتد الى مسافات أبعد في الاتصال بأهل الدهر وما يحدث فيه ، وهنا يتناول الشاعر الدهر باطار من دهر عصره وليس الدهر عامة ، فيكون للدهر خصوصية التعبير عن جوّ العصر الأموي الذى عاش فيه الشاعر .

وثمة صورة الدهر العضوض، والشاعر لا يفصّل القول في هذه الصورة ، قال جُريبة بن الأشيم الفَقْعَسيّ [٢] :

إذا الدَّهرُ عَضَّكَ أَنيابُهُ ... لَدَى الشّرّ فَأْزِمْ بِهِ مَا أَزَمْ
ولا تُلْفَ في شَرّه هَائباً ... كأنّكَ فيه مُسِرّ السَّقَمْ

يوحي أن يَهْبِر المرء على عضّ الدهر وأن يلاقيه بالجَلَد . ولا يهاب شرّه كأنه عاجز الحيلة لا قوة له ولا عزم .

ويرى اياس بن الأرت الطائي ان الدهر "أعْمل ذو شغب " : شديد الوطأة على الناس ، قال [٣] :

إذا مَا تَراخَتْ ساعَةً فاجْعَلَنَّها ... لِخَيْرٍ فإنَّ الدَّهْرَ أَعْمَلُ ذُو شَغْبِ
فإن تَكُ خَيْراً أو يَكُنْ بَعْضَ راحَةٍ ... فإنَّك لاقٍ مِنْ غُمُومٍ وَمِنْ كَرْبِ

ويبدو في وصية الشاعر الاثر الاسلامي واضحا .

غير ان الفرزدق يرى الدهر قويا ، ويظهره في عصر بني أميّة . قال في سليمان بن عبدالملك ، وقد أقام للناس أمرهم ، قال [٤] :

وَما قُمتَ حتَّى اسْتَسْلَمَ النَّاسُ والتَّقَى ... عَلَيْهِم فَمُ الدَّهْرِ العضوضِ بواز لَهُ

ويظهر الدهر بمبراته يلحو العروق والعظام في قول فضالة بن زيد العدوانيّ : [٥]

وفِيمَ تَصَابي الشَّيخِ والدَّهْرُ سائِبٌ ... بِمِبْرَاتِهِ يَلحُو عُرُوقاً وأَعْظُما

---

(١) ديوانه ، ١٥٢.
(٢) التبريزى / شرح حماسة ابي تمام ، ١ : ٣٢٤.
(٣) السابق ٢ : ٩٠
(٤) ديوانه ، ٢٢٥.
(٥) السجستاني ، المعمّرون والوصايا ، ١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يرى ان الشيخ الذي طال عمره لا يحق له التصابي وأمره الى الموت قريب يلحو الدهر بآلته القاطعة أعظمه وعروقه . ويظهر أبو جلدة اليشكري وهو يعيب بني رماس لما أصابهم الدهر ولم يصبروا له ، وهم كعيدان الرخ والأثل الضعيف الذي يتأرجح لهبّة الريح ، عندما عضّهم الدهر بنكباته ، قال (١) :

وَإِنْ عَضَّهُم دَهْرٌ بِنَكْبَةِ حَادِثٍ فَأَخْوَرُ عِيدَاناً مِنَ المَرْخِ والأَثْلِ

وهي صورة مركّبة من مشاهد متحركة ، وكأن الدهر يعضّ عيدان المَرخ ، وتتهادى عيدانه تحت وطأته .

صورة الدهر المتحدّي

يرى الأحوص محبوبته لا ينال الدهر من جمالها ، سَيفانة لم يبلها الدهر رقراقة على توالي أيام الدهر وتبقى على حالها في الرقة والنعومة قال (٢) :

سَيْفَانَةٌ أَثَرُ الشَّبَابِ بِهَا رَقراقةٌ لَمْ يبلُها الدَّهرُ

ويقول جرير في حبّه لأم عثمان لا يقطعه طول الدهر ولا ينال منه قال (٣) :

يا أُمَّ عُثْمَانَ إِنَّ الحُبَّ عَن عَرَضٍ يُصْبِي الحَلِيمَ وَيُبكِي العَيْنَ أَحْيَانَا
مَا أَحْدَثَ الدَّهرُ مِمَّا تَعْلَمِينَ لَكُم لِلحَبْلِ مَرْماً ولا لِلعَهدِ نِسْيَانَا

ويلجأ الشعراء الى ممدوحيهم لدى التحدث عن تحدّي الدهر ، من ذلك قول عبدالله بن الزّبير الأسدي (٤) :

أَقُولُ، أَمِيرَ المُؤمِنِينَ عَصَمْتَنَا بِبِشرٍ مِنَ الدَّهْرِ الكَثِيرِ الزَّلَازِلِ

وكأن أمير المؤمنين منافس صَلْد لهذا الدهر (٥)، ونرى بعض الشعراء جعلوا قومهم ساعد الدهر أو مَنكبه أو كاهله . قال الأشهب بن رميلة (٦) :

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُم هُمُ القَومُ كُلُّ القَومِ يَا أُمَّ خَالِدِ
هُمُ (٧) سَاعِدُ الدَّهرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لا تَنُوءُ بِسَاعِدِ

---

(١) شعره ، مجلة المورد، مج ١٣، ع ٣:١٠٥.
(٢) ديوانه ، ٨٥.
(٣) ديوانه ، ١٦٣.
(٤) ديوانه ، ١١٧.
(٥) انظر ايضا الأخطل ، ديوانه ، ٢١٧. والفرزدق ، ١٦٧. وذوالرّمة، ٩٦٩.
(٦) شعره ، مجلة المورد ، مج ٢٦، ع ١ ، ١٩١. ونسبت لغيره ، انظر : عبدالحميد المعيني ، شعره بني تميم في الجاهلية ، ٤١.
(٧) ولعلها "هُمْ" من بحر الطويل المخروم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الراعي النّميري في عدي بن جندب وقومه (١) :

هُمْ كَاهِلُ الدَّهرِ الَّذي يُتَّقَى بِهِ ... ومَنْكِبُهُ المُرَجَّوُّ أكْرَمُ مَنْكِبِ

فهل للدهر ساعد أو منكب أو كاهل ؟ أم أن القوم همْ كاهل نكباته وساعد أثقاله وأرزائه ومنكب يُتقى به مصائبه .

ان الصورة هنا وان أوحت أن القوم قادرون على مصائب الدهر ، محتملون لها الاّ انهما تجعل للدهر ساعدا ومنكبا وكاهلا .

ويصف العرجي الدهر بأنه دهر فاسد غير أنه يُنكر أنّ هذا الدهر قد أفسد حبّه لليلى قال (٢) :

أَلَمْ يُنْسِ لَيلى عَهْدَكَ المُتَبَاعِدُ ... ودَهْرٌ أَتَى بَعْدَ الَّذي زَلَّ فَاسِدُ

وقد تضعف عزيمة الشاعر أمام مصائب الدهر فينكر أن هذا الدهر لا يغلبه أحد، قال نُصَيب الشاعر الأموي في الدهر يكر العود الصليب ، ولا يغلبه أحد يحاول كسر عوده ، قال (٣) :

وَمَنْ يَكُ ذا عَظْمٍ صَلِيبٍ رَجَا بِهِ ... لِيَكْسِرَ عُودَ الدَّهْرِ فَالدَّهْرُ كَاسِرُه

وثمة صورة للدهر يأتي على كل شيء فيصيّره ذكرى لا يلقى منه الانسان غير هذه الذكرى بعد أن يقطع الوصال ، قال تميم بن مقبل (٤) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ القَلْبَ ثَابَ وَأَبْصَرَا ... وَجَلَّى عِمايات الشَّبَابِ وَأَقْصَرَا
أَبَى القَلْبُ إِلاَّ ذِكْرَ دَهْمَاءَ بَعْدَمَا ... غَنِينا فَأَضْحَى حَبلُها قَدْ تَبَتَّرَا
وَكُنَّا اجْتَنَيْنَا مَرَّةً ثَمَرَ المُنَى ... فَلَمْ يُبْقِ مِنه الدَّهْرُ إِلاَّ تَذَكُّرَا
فَيَا لَكَ مِنْ شَوْقٍ بِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ ... يُجِنّ الهَوَى مِنْهَا ، وَيَا لَكَ مِنْظَرَا

الدهر المسعد

لم يغفل الشعراء الاسلاميون عن أن يصوّروا الدهر مسعدا سعيدا ، وهو ما كاد يغفله الشعراء الجاهليون غير ان هذا التصوير كان في مجال الذكرى ، من ذلك قول عبيدالله بن قيس الرقيات (٥) :

تَذَكَّرتُ مَعْشَرِي وَهُم كَانُوا ... مُلوكاً في سَالِفِ الأَحْوَالِ
مُلْكُهُم صَالِحٌ وَدَهْرُهُم دَهْرٌ ... نَقِيٌّ وَشَرُّهم لَيْسَ غَالِي

---

(١) ديوانه ، ٢٢.
(٢) ديوانه ، ١١٦.
(٣) ديوانه ، ٩٢.
(٤) ديوانه ، ١٦٧
(٥) ديوانه ، ١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلّه يقصد الزبيريين . وقال الشعراء الغزلون في هذا الدهر السعيد ، منهم عمر بن بن أبي ربيعة قالفي سعي الدهر (١) :

قُلْتُ ، لا بَلْ ذَهَبَ الدَّهْرُ الَّذي ... كُنْتُ أَسْعَى مَعَهُ حَيْثُ سَعَى
ذَاكَ إذْ نَحْنُ وَسَلْمَى جِيرَةٌ ... لَا نُبَالِي مَنْ وَشَى أو سَمَّعَا

ويظهر الدهر هانئا لا يروع الناس منه شر ولا يخشى ريبه في القول المنسوب لعقبة ابن زهير ولكثيّر عزة : (٢)

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ ... وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وَشُدَّتْ عَلَى حُدْبِ المَهَارِي رِحَالُنَا ... وَلَا يَعْلَمُ الغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ
نَقَعْنَا قُلُوباً بِالأَحَادِيثِ وَاشْتَفَتْ ... بِذَاكَ صُدُورٌ مُنْفِجَاتٌ قَرَائِحُ
وَلَمْ نَخْشَ رَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... وَلَا رَاعَنَا مِنْهُ سَنِيحٌ وَبَارِحُ

وأتوقف لدى هذا القول الجميل ، فلا أوافق فيه من قال: انك " إذا فتشته لم تجد شيئا "بل أقول انه يأخذ القارىء الى رحاب من الرؤى العفوية الممتعة، ولأقول في موطن شاهد الدهر أن الشاعر غني بالدهر فؤاده .

وثمة أقوال في تصوير الدهر لا يسير الا على ما أحبّ المرء ورضي ، غير أن هذا السير لا يدوم بل يتولى بعد حين من الدهر ويُبقي حسرة وغصصا ، من ذلك القول المنسوب ليزيد بن معاوية (٣) :

وَدَاعٍ دَعَا والنَّجْمُ كَأَنَّهَا ... قَلَائِصُ قَدْ أَعْنَقْنَ خَلْفَ فَنِيقِ
وَقَالَ اغْتَنِمْ مِنْ دَهْرِنَا غَفَلَاتِهِ ... فَعَقْدُ زَمَامِ الدَّهْرِ غَيْرُ وَثِيقِ
وَإِنِّي مِنْ لَذَّاتِ دَهْرِي لَقَانِعٌ ... بِحُلْوِ حَدِيثٍ أَوْ بِمُرِّ " عَتِيقِ "

فالدهر يغفل عن المرء في هذه الصورة غير انه في الشعر الجاهلي" لا يغفل ان شيء غفل " كما سبق ذكره ، وثمة صورة تظهر أن الدهر يطاوع الناس باليسر في قول طريح بن اسماعيل قال في قوله (٤) :

لَا يَفْرَحُونَ إِذَا مَا الدَّهْرُ طَاوَعَهُمْ ... يَوماً بِيُسْرٍ وَلَا يَشْكُونَ إِنْ نُكِبُوا

---

(١) ديوانه ، ١٩٥.
(٢) ديوان كثيّر ، ٥٢٥.
(٣) ديوانه ، ٤٧-
(٤) شعره ، ٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يظهر الدهر محمود السجيّات ، مأمونا في قول تميم بن مقبل [١] :

أَلاَ رُبَّ عَيْشٍ صَالِحٍ قَدْ لَقِيتُهُ ... بِضِيقِ الرِّكَاءِ إِذْ بِهِ مَنْ نُوَاصِلُهُ
إِذَا الدَّهْرُ مَحْمُودُ السَّجِيَّاتِ تُجْتَنَى ... ثِمَارُ الهَوَى فِيهِ ، وَيُؤْمَنُ غَائِلُهُ

ويُظهر حبيبُ بن خدرة مولى بني هلال الدهر حال السلم والجميع حلول وهو سعيد بأحبته مُلاق منهم ما أحبّ ، لا يستوقفهم المَلَل ، وحوض اللهو متسرع يسرده القوم فرحين مسرورين قال [٢] :

أَلاَ حَبَّذَا عَصْرُ " اللِّوَى " وَزَمَانُهُ ... إِذِ الدَّهْرُ سِلْمٌ والجَمِيعُ حُلُولُ
وَإِذْ لِلصِّبَا حَوْضٌ مِنَ اللَّهْوِ مُتْسَرَعٌ ... لَنَا عَلَلٌ مِنْ وِرْدِهِ وَنُهُولُ
وَإِذْ نَحْنُ لَمْ يَعْرِضْ لأُلْفَةِ بَيْنِنَا ... تَنَاءٍ ، وَلاَ مَلَّ الوِصَالَ مَلُولُ

ولا نعدم صورا اخرى فيه . [٣] .

بنات الدهر وبنوه

لا يُظهر الشعر الاسلامي للدهر بنون ولا بنات غير ما يقوله الاخطل في بنات الدهر ، قال [٤] :

وَمَا يَبْقَى عَلَى الأَيَّامِ إِلاَّ بَنَاتُ الدَّهْرِ والكَلِمِ العُقُورُ

فهو يرى ان بنات الدهر ماكثة على طول الايام ، وكذا الكلام الذى يعقر القوم من هجاء أو سبّة مقذع .

الدهر الكاسي

لا يتخلّف احساس الشعراء بالشيب في الجاهلية والاسلام ، فهو ثقيل عليهم وهم ناقمون عليه ، فيهم منه تأوه المكظوم ، وشكاية المظلوم ، وقولهم فيه نشيط للمسلك في الشعر الجاهلي والاسلامي .

وقد رأى الشعراء الشيب ثوبا يلبس على كراهية البسهم اياه الدهر قهرا قال ثمامة بن عامر البجلي إن الشيب لباس بال سمل قد أبدله اياه الدهر بالشباب [٥] :

بَكَيْتَ لَمَّا رَأَيْتَ الشَّيْبَ قَدْ نَزَلا ... وَبَانَ عَنْكَ الشَّبَابُ الغَضُّ فارْتَحَلا
لاَ تَحْسِبِ الدَّهْرَ يُبْلِي جِدَّةً أَبَدًا ... مِنَ الشَّبَابِ ، وَلاَ يُعْطِي بِهَا بَدَلا
فَأَبْدَلَتْكَ اللَّيَالِي بَعْدَ جِدَّتِهَا ... مِنَ الشَّيْبِ لِبَاسًا بَالِيًا سُمُلا

---

(١) ديوانه ، ٢٤١.
(٢) محمود سمقداد ، ديوان أشعار الموالي في العصر الأموي (ر.ج) ، ٢٦٧.
(٣) أنظر مثلا ديوان ذى الرمة ، ٢١. وجرير ، ٣٦، ٥٦، ١٥٠. والقطامي ، ١٠٠. والأحوص ، ٢٠٩. وكثير عزة ، ٥٢٣. وعمر بن أبي ربيعة ، ١٥٣، ٢٩٣.
(٤) ديوانه ، ٢٧٢
(٥) حماسة البحترى ، ٢٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَإِن بَكَيتَ عَلَى دَهْرِ الشَّبَابِ لَقَد ... أَبكَى العُيونَ فَأَذْرَى دَمْعَهَا هَمِلا
فَعُزَّ نَفْسَكَ عَمَّا فَاتَ مُعْطَبِرًا ... مَنْ يَجْعَلِ البِرَّ زَاداً والنُّهَى عَقِلا

ويظهر الاثر الاسلامي جليا في عقب الصورة .

ويرى المرار بن منقذ ان الدهر لبسه طويلا حتى كساه منه الشيب ، قال في أخريات عمره [١]

عَجِبَتْ خَوْلَةُ إِذْ تُنكِرُنِي ... وَرَأَتْ خَوْلَةُ شَيخاً قَد كَبُرْ
وَكَسَاه الدَّهرُ سِتّاً نَاصِعًا ... وَتَعَنَّى الظَّهرُ مِنه فَأُطِرْ
إِنْ تَرِي شَيباً فَإِنِّي مَاجِدٌ ... ذُو بَلاءٍ حَسَنٍ غَيرُ غَمِرْ
قَدْ لَبِستُ الدَّهرَ مِنْ أَفْنَانِهِ ... كُلَّ فَنٍّ حَسَنٍ فِيهِ حَبِرْ

فهو يذكر ان خولة قد أسفته وأنكرت كبره لما طالت به سنه ، وأُطر ظهره ،غير أنه يتعالى على كبره فيذكر مجده ، وأنه جرّب الخير وعاش أيام سرور وعافية ، ويتعالى على لباس الدهر الذى البسه في نهاية عمره وكان قد لبس كل حبرة مزيّنة .

ويرى الاخطل ان الشيب قد حلّل رأسه ، قال [٢] :

وَلَقَد لَبِستُ لِهَذا الدَّهرِ أَعْصُرَهُ ... حَتّى تَجَلَّلَ رَأْسِيَ الشَّيْبُ واشتَعَلا

وهذا الشيب من كثرة ما لبس الدهر ، ويقول جرير في نفسه [٣] :

وَلَقَد رَأَيتُكَ والقَنَاةُ قَوِيمَةٌ ... إِذ لَمْ يَشِبْ لَكَ مِسْحَلٌ وَعِذَارُ
والدَّهرُ بَدَّلَ شَيبَةً وَتَحَنِّيَا ... والدَّهرُ ذُو غِيَرٍ لَهُ أَطْوَارُ
مُطِلَ الدُّيونَ ، فَلَا يَزَالُ مُطَالِبَا ... يَرْجُو القَضَاءَ ، وَمَا وُعِدنَ ضِمَارُ

فالدهر قد أغمى غُمّته بعد قوام قناته ، ولا يزال مطالبا بدينه ، وما يطلبه الدهر أكثر من الشيب وحده .

صور أخرى في الدهر الانسان

ثمة صورة الدهر تغلي مراجله ، وتجيش قدوره بالمفظعات في قول سابق البربري يعظ الناس ، وكان شديد القول في النصيحة قال [٤] :

---

(١) الاخفش ، الاختيارين ، ٣٣١. وانظر السجستاني ، المعمرون والوصايا ، ١٠٠.
(٢) ديوانه ، ٣٨٩.
(٣) ديوانه ، ٦٤٤.
(٤) ديوانه ، ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيأمَنُ رَبْبَ الدَّهرِ يا نَفْسُ وَاحِدٌ تَجيشُ لَه بالمُفْظِعاتِ مراجِلُه

وثمة صورة أخذ وقعا في قول المغيرة بن الأسود في المرء الذي وفّى الاربعين بعظمه عن غبّه ، قال (١) :

إذا المَرءُ وَفّى الأربعينَ وَلَم يَكُنْ لَهُ دُونَ مَا يَأْتي حِياءٌ وَلا سِتْرُ
فَدَعْهُ، وَلا تَنْفَسْ عَليهِ الَّذي أَتَى وَإِنْ جَرَّ أَرْسَانَ الحَيَاةِ لَه الدَّهْرُ

فهو يوصي أن لا يهتم الواعظ بمن لا يمنعه دينه وحياؤه عن اجتراح السيئات غير أن موطن الشاهد في صورة الدهر هي أن يأتي الدهر انسانا يجر أرسان الحياة المرء بالنعمى ويصيبه بالنكبات وهي صورة قوية فيها ابتكار وجدّة .

وثمة صورة الدهر يقلب ظهره وبطنه في قول الكميت الأسدي في قوله (٢) :

وَلَمّا رَأَيتُ الدَّهرَ يَقْلِبُ ظَهْرَه عَلَى بَطْنِهِ فِعلَ المُمَعِّكِ في الرَّمْلِ

وهي صورة فيها نبوّ تستاء منه النفس، وقوله فيها فعال غلوا شديدا ، وهو يذكرني بقول القاضي الجرجانيّ الذي لا يُبيح مثل هذه الاستعارات ، قال (٣) : " ... وهذه أمور متى حملت على التحقيق ، وأجريت على المسامحة أدت الى فساد اللغة واختلاط الكلام وانما القصد منها التوسط والاجتزاء بما قرب وعَرضُ والاقتصادُ بما ظَهر ووَضُح " . فالجرجاني يحذر من الاسراف في التصوير اسرافا يختلط به الامر على المتلقي ، ويقول بالاستعارة المعتدلة .

ومن هذه الاستعارات التي غالت قول الرّماح بن أبرد (ابن ميّادة) (٤) :

وَلكنّ دَهْراً بَعْدَ دَهْرٍ تَقَلَّبَت بِنا مِنْ نَواحِيه ظُهُورٌ وَأَبْطُنُ

وَمِنْ صُوَرِ الدَّهْرِ الشّديدة التعقيد قول هدبة بن الخشرم (٥) :

وكم نكبة لو أن أدنى مرورها على الدهر نُكّتْ عندها ثوبُ الدهر

فهو يسرف حد أن يجعل الدهر نفسه بيدك امام ثوب الدهر ونكباته وهو يورد هذا في التعبير عن جلده امام النكبات التي مرّت عليه .

وثمة قول الطرماح بن حكيم في هجاء ضبة غير أنه ألين وقعا قال (٦) :

وَكُلُّ لَوْمٍ يُبيدَ الدَّهرُ أَثْلَتَه وَلُؤْمُ ضَبَّةَ لَمْ يُنقِص ولم يَبِدِ

---

(١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ٣٧٢.
(٢) ديوانه (داود سلوم) ، ٢:٦٤.
(٣) القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ٤٣٢.
(٤) ديوانه ، ١٣٦.
(٥) ديوانه ، ٩٨.
(٦) ديوانه ، ١٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالدهر يُبيد اللؤم وأهله ،الاّ أنه يقف عاجزا عند لؤم ضبة فلا يبيده ومثله قول ذريح بن عبدالله التميمي (١) :

تُنتَجُ أبكارُ المَخازِي بِدارِهِم قَديماً وَيُبْلَى قَبل لُؤمِهِم الدَّهرُ

وثمة صورة الدهر ساعيا وقاعدا قال أبو صخر الهذلي (٢) :

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

ويقعد مروره مسرعاً في حال الوصال ، وسكونه وبطء حالة انقضاء ما بين العاشقين من الود والمحبة ، وربما قصد في سعي الدهر وشابته وكيده بهما ومن أمثلة الدهر الذي يسعى في الوشاية قول مجنون ليلى (٣) :

سَعَى الدَّهرُ والواشُون بَيني وَبَيْنَها فَقَطَّعَ حَبْلَ الوَصْلِ وَهْوَ وَثِيقُ

وقد يقعد الدهر بالمحبين عن أحبتهم قال المغيرة بن حبناء في جارية لها باعها لفقره (٤) :

لَوْلَا قُعُودُ الدَّهرِ بِي عَنْكِ لَمْ يَكُن يُفَرِّقُنَا سِوَى المَوْتِ فَاعْذُرِي

وثمة صورة خرج فيها الشاعر خروجا قويا عن المألوف عندما زعم أن الدهر قد شاخ وابيضّ حاجبه من الشيب ، وهي في قول الأخطل : (٥)

فنَحنُ أخٌ لم يُلقَ في النّاس مِثلنا أخاً حِينَ شَابَ الدَّهرُ وابْيضَّ حَاجِبُه
وإنّا لَصُبْرٌ في مَواطِن قَوْمِنَا إذاالقَنا الخَطّيُّ عُلّت مَخاضِبُه

فهو يمدح قومه بصبرهم في مواطن الشدة اذا ما الرماح تلوّنت أعاليها بالدم ، واذا ما شاب الدهر وأصبح ذا حاجب أبيض كناية عن الخوف والفزع ، وهذه صورة جديدة كل الجدّة ، ولعلّها متأثرة بقول الله في شدة هوْل يوم القيامة ﴿ فكيف تَتَّقُون إنْ كَفرتُم يَوماً يجعَل الوِلدَانَ شِيبًا " (٦) والشيب في الحاليْن منكَر مُريع ، والدَّهر لا يَشيب ولا الوِلْدان .

مما سبق في صورة الدهر الانسان نجد ان هذه الصورة قد حظيت بابتكارات جديدة جديرة بالاهتمام ، وأنها تأثرت بالمعاني الاسلامية الاتية من القرآن الكريم والسنة النبوية .

---

(١) الحماسة البصرية ، ٢، ٢٧٣.

(٢) ديوان الهذليين ، وتنسب لمجنون ليلى ، ديوانه ٥٦

(٣) ديوانه ، ٢٠٦

(٤) د. نوري محمود القيسي ، شعراء أمويون ق ٣:٩٣.

(٥) ديوانه ، ٢٨٦

(٦) سورة المزّمل ، ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ٣ -
صورة الدهر الحيوان

صورة الدهر الناقة

لقد تراجعت صورة الدهر الناقة في الشعر الاسلامي ، وثمة صورة واحدة هي في شعر الفرزدق ، وقد ألحّت كلاكلُ الدّهر به قال (١) :

أرى اللّه في تسعين عاماً مَضتْ لَه ... وستٍ مع التّسعين عادتْ فَواضلُهْ
علينَا ، ولا يُلوي كما قَد أصابَنَا ... لدَهْرٍ علينا ، قد ألحّت كَلاكلُهْ

وهو يرى للدهر كلاكِل ، وليس كلْكَلا واحداً ، ولعلها صورة تُظهر الدهر بَعيرا .

صورة الدهر المغتال

يرى كعب بن معْدان الأشقرى أن أيام الدهر يغتال الناس قال (٢) :

يا قوم غَيّرني وأذْهَبَ قُوّتي ... دَهْرٌ ألَحّ بطارِفي وتِلادِي
تغتالُ كلَّ مؤجّلٍ أيّامه ... وتصير بهجَة ما تَرى لنفَادِ

ويرى كُثيّر أن الدهر قد يغوله قال (٣) :

سَيَهْلَكُ في الدّنيا شفيقٌ عَليكمُ ... اذا غاله من حادث الدهر غائله

والغائل هو الغول ، وقد لا يقصد الشاعر هنا الى تصوير حادث الدهر بالغول ، وانما أطلق هذا القول عاما ، ومثله قول عدي بن الرقّاع العاملي (٤) :

دَار حَيٍّ تَقادَم العَهْد مِنها ... بَعد حُضّارها فَبارَت وبَارُوا
صَادفوا مِنْ غَوائِل الدّهرِ غُولاً ... بَعْدَما أنجَدوا ـ سنينَ ـ وغاروا

ومثله قول الأخطل في شبابه الذى غالهُ ابنا سمير "وهما الليل والنهار ، و" سمير " هنا هو " الدهر " قال (٥) :

وشَبابي قَد كانَ في لَذّة العَيْش فأودَى وغَالَه ابنا سَمير

---

(١) ديوانه ، ٤٣٩.
(٢) شعره ، ٩٣ وانظر صورة الدهر المفسد ، وقد جمع الشاعر هنا الصورتين .
(٣) ديوانه ، ٤١٩. وتنسب لجميل بثينة
(٤) ديوانه ، ١٦٣.
(٥) ديوانه ، ٤٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدهر الازلم الجذع

وردت تسمية الدهر بالأزلم الجذع في شعر الأخطل ، وكان قصد الى أن الدهر لا يهرم ، ولا نجد الأزلم الجذع لدى غيره من الشعراء الاسلاميين ولعلة لم يقصد هذه الصورة قصدا . (١)

ـ ٤ ـ
صور أخرى للدهر

شبّه الراعي النميريّ حال الدهر مع الناس بحال الحوض من المياه تأتيه الواردات ثم ترحل عنه ويبقى من بعدها على حاله . قال (٢) :

ما الدّهرُ والنّاسُ إلاّ مثلُ واردةٍ إذا قَضَى عَنَقٌ منها أتى عَنَقُ

فالناس يقصدون الماء ثم يرحلون عنه تباعا كعَنَق الإبل وهو ضرب من السير المنتظم للابل .

ويمكن أن تُتأول بعض صور الشعر الاسلامي في الدهر على أنها صورة الدهر التي كالرياح ، وأظهرُ هذه الصور قول الاخطل (٣) :

وبينَما المَرءُ مغبوطٌ بمأمنه إذ خانَه الدّهر عَمّا كان فانقَتَلا

فهو يرى ان الدهر يفتل المرء من حال الأمن الى الشدة . ومن ذلك قول كعب بن مالك بأن " الدهر ذو صَرف يدور " (٤) وقول عبدالرحمن بن حسان بن ثابت في أن " الدهر يصرف حالا فحالا " (٥) وفي قول عبدالله بن الزبير الأسدي وقد رأى الدهر " تغيّر صرفه " (٦) به .

ويذكر الأشهب بن رُميلة " المنون " وهو الدهر ينحرف به ويستقيم قال (٧) :

أرِقْتَ ولم تَنَم عَنك الهمومُ وعادَ فُؤادَك الطرَبُ القَديمُ
مَضَوا لسَبيلهم وقَعَدتُ وَحْدِي تَجُورُ بي المَنونُ وتَسْتَقيمُ

وقد يكون المنون هنا الموت أو المنيّة "تجور" به "وتستقيم" ؛ غير أنه أسلمُ للصورة أن يكون " المنون " هو الدهر هنا ، فالموت لا ينحرف بالمرء ولا يستقيم به .

---

(١) أنظر ديوانه ، ٣٦٥
(٢) ديوانه ، ٧٣
(٣) ديوانه ، ٣٨٩
(٤) ديوانه ، ٨٥
(٥) حماسة البحتري ، ٨٤
(٦) شعره ،
(٧) شعره ، مجلة المورد، مج ٢٦، ع ١، ٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى عدي بن الرقاع الدهر يعتلي كل محلّه حتى تصير كأنها لم تنزل " [١] وأنه ألقى الرجال العالحين " [٢] وأنه يسترط الامم ويخسف بهم ، وفي هذا قال [٣] :

كَم استَرطَ الدَّهر مِنْ أُمَّةٍ ... كأنَّ البلادَ بهم تُخْسَفُ
وجيلٍ سَمَعْنا بهم قَد فَنَوا ... فَما الحيُّ الاّ كمَن يُقتَفُ
كأرضٍ تَنَزعُ مَا أَنْبَتَت ... وكَان لَهَا مَرَّةً زُخْرُفُ

فهو يشبه الدهر بالارض ، ثم انه يرى في موضع آخر ان الأرض مهلكة غائلة للناس قال [٤] :

والأرض غائلةٌ للنّاس مَهْلكةٌ ... فَما تَرَى أحداً مِن أهلها امتَنَعَا
حتّى إذا استرطت جيلاً بأجْمَعِهم ... لاقَى الذي بَعْدَهم من أَهلها خشعا

فهو يراوح بين ان يكون الدهر يعتلي الأمكنة ، وبين أن يكون الدهر كالارض التي تسترط الناس وتبلعهم .

ومثل هذا نجده في قول أرطاة بن سهية [٥] :

رأيت المرء تأكله الليالي ... كأكل الأرض ساقطة الحَديد

ـ ٥ ـ

ليس خفيا من الرصد السابق أن المعنى المرتبط بكلمة الدهر قد تحوّر فيما تلى الشعر الجاهلي ليعني الاحداث التي تحدث بمرور الدهر وفيه ، وانه أصبح يُعنّينا هذا الفهم وهذا الدافع الذى تستند اليه صورة الدهر الفنيّة في الشعر الاسلامي . من

على أن المتتبّع لصورة الدهر في هذا الشعر لا يخفى عليه تأثرها غير القليل بفنّ صورة الدهر في الشعر الجاهلي ، فتكادُ تتكرر بعض صور الدهر في هذا الشعر في صورتها الكلية الجاهزة في الشعر الاسلامي ، وتبدو بعض صور الدهر

---

(١) ديوانه ، ٦٩
(٢) نفسه ، ١٦٢
(٣) نفسه، ٢١٣.
(٤) نفسه ، ٢١٧.
(٥) شعره ، مجلة المورد ، مج ٧ ، ع ١ ، ١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الشعر الاسلامي ضربا من اعتصار الدهر في الشعر الجاهلي في مفردات صوره وتراكيبها .

بل بعاني القاريء لهذه الصور من رتابتها المملّة التي تقتل فيه لذة التأثر وتجهده في اشغال حواسه لها (١) .

لكن أمر صورة الدهر الفنيّة في الشعر الاسلامي عامة والأموي خاصة لا ينتهج هذا التكرار الا في القليل ، ولا ينطلق الشعراء من تمثل صور الدهر الجاهلي وحسب ، والا لما أسعفوا القاريء بصور سوية جديدة، وان كان اتصال الشاعر الاسلامي شديدا بهذا الشعر ، وكان هذا الشعر الجاهلي مؤثرا في أخيلته وعواطفه .

وصورة الدهر وان استقرت خطوطها في الشعر الجاهلي ، فقد عثرنا على ما هوجديد في غير اتجاه من اتجاهاتها ، ويبرز هذا الجديد في تملّك الشاعر الاسلامي لها تملكا يقوم على انتزاعها من علاقاتها القديمة ودمجها بوصفها اجزاء في صور الدهر الجديدة ذات القيم الاسلامية . فالشاعر الاسلامي يستعير مواد صوره من الشعر الجاهلي وينتفع بها ، وان كان الشاعر الجاهلي قد واجه هذه المواد من منطلقات روحية ودينية خاصة . في حين يعرضها الشاعر الاسلامي في كيفيات أكثر جدّة .

ولعلّ الجدّة في صور الدهر في الشعر الاسلامي آتية من تأثر هذه الصور غير القليل بالقرآن الكريم وقيمه وبالسنة النبوية الشريفة ، وآتية مما كان يكتنف العصر الاسلامي من أحداث وأزمات كانت تحتم على الشاعر أن يتطور بشعره ليستطيع القول فيها خاصة ما تعلّق بصورة الدهر السلطان ، وقد أشرت الى هذا الامر في موضعه (٢) .

---

(١) انظر : أغلب هذه الصور من شعر المخضرمين والمعمّرين .
انظر مثلا : عينية ابي ذؤيب ، ديوان الهذليين ، ق ١ : ٩٣ .
ديوان الفرزدق : ٥٤، ٥٦، ٥٩٨ .
ديوان الاخطل ، ٢٧٢، ٤٣٩
ديوان جرير، ٢٣٣ .
ديوان هدبة بن الخشرم ، ٦٩
ديوان النابغة الجعدي ، ١٠
وانظر حماسة الخالدين ، ٧٥، ٢٢٥ .

(٢) انظر ايضا : ديوان الاخطل ، ٢١٧ . وديوان عبدالله بن الزبير الاسدي ، ١١٧ . وديوان ذي الرمة (عبدالقدوس صالح) ، ٩٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* * *

بقي أن أشير فيما يلي الى بعض خصائص صور الدهر في الشعر الاسلامي :

- إنّ هذا الشعر لا يُهمل تراسل صور الدهر مع " الزمان " و " المنون " و " الأيام " ، وفي الوقت الذي كان فيه الشعر الجاهلي لا يؤمن بمجيء " الزمان "هكذا "الدهر" في صور " الدهر " الخاصة،نجد أن هذا تراجع في الشعر الاسلامي وبات " الزمان " يستطيع أن يحمل ما حمله " الدهر " من معاني وصور. ومنه مثلا مجيء الزمان المفسد [١]. ومجيء الزمان صورة شجرة ، وهو في قول مجنون ليلى [٢] :

أتجمعُ قلباً بالعراق فَريتُه ... ومنه بأظلالَ الأراكِ فَريقُ
تُهيّجني للوَصْل أيامَنا الأُلى ... مَررنَ علينا والزّمانُ وَريقُ
ليالي لا تَهوَيْنَ أن تَشحَطَ النّوى ... وأنتمْ خَليلٌ لا يُلامُ صَديقُ

فهو يجي بالزمان بالشجرة المورقة وقد أزهرت أيامه في الحب والوصال.

ويبدو هذا التراسل في أشدّه في قول هدبة بن الخشرم وقد ضيّع خصوصية كل لفظ وخلط الجميع خلطا عجيبا قال [٣] :

وحالتْ خطوبٌ بعدَ عهْدكِ دونَنَا ... وعدّى عن اللّهْوِ العِداءُ فأقصَرا
أمورٌ وأنباءٌ وحالٌ تقلّبتْ ... بنا أبطنٌ يا أم عمْرٍو وأظهُرا
كأنْ لَمْ يَكنْ منّا ولم نَستَعن بِه ... عَلى نائباتِ الدّهرِ الاّ تَذكّرا
وإنّا على غَمْرِ المنونِ قَناتَنَا ... وجَدّك حاموا قَرنِها أن يُهصّرا
فانْ غَالنا دَهرٌ فقد غَال قَبْلَنا ... مُلوك بني نصرٍ وكسرَى وقَيْصَرا
فان يكُ دهرٌ نابَني فأصابَني ... بريْبٍ، فَما تَشوي الحوادثُ مَعْشَرا
وإني اذا مَا الموتُ لمْ يَكُ دونَه ... مَدى الصّبر، أحمي الأنفَ أن أتأخّرا
وقَد أبقتِ الايامُ منّي حَفيظَةً ... عَلى جَلّ مَا لاقيتُ واسماً مُشهّرا

وكأنّي بالشاعر يقلّب المعنى نفسه في صور وألفاظ مختلفة ، حتى يجوز أن يُخلط بين ألفاظه فنضع واحدا مكان آخر من الالفاظ الدالة على الزمان كالدهر أو المنون أو الايام.

---

(١) يندرج تحت هذه الصورة قول الشمردل بن شريك :
وان يَخنا زمانٌ لا نُعاتبه ... فقد أرانا وما في عَظْمنا رَمَقُ
مجلة معهد المخطوطات ، مج ١٨، ع ١، ٢٦٣.
وقول عبيدالله بن قيس الرقيات :
ذهبَ الرجالُ الصالحون وبُقّيتْ ... ضعفي الرّجال لدى الزمانِ الفَاسِدِ
ديوانه ، ٧٩. وقول كعب بن مالك في رثاء حمزة ومن أصيبَ معه يوم أحد (رضي الله عنهم) :
تذكّر قوم أتاني لهم ... أحاديثُ في الزّمنِ الأعْوَجِ
ديوانه ، ٤٥. وقول ابن احمر الباهلي :
أعشُو بعينٍ وأُخرى قَد أضرّ بها ... ريبُ الزّمان ، فأمسَى ضَوؤُها خَمُدا /شعره ٤٠.

(٢) ديوانه (أبو بكر الوالبي)، ٢٠٦ وتنسب لغيره انظر حماسة البحترى، ٢:١٠١.

(٣) ديوانه ، ٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ولم تكن صورة الدهر غنية عن التأول في غير قليل من هذا الشعر، ولم تبرأ من التعقيد ولست الى أن تهجم الى محصولك منها بقادر الا ان تكون لك رويّة واعمال فكر .

- ولقد ضربتْ بعض صور الدهر في الشعر الاسلامي في آفاق اكثر اتساعا (١) وان لم يكن للبيئة الجديدة كبير الاثر في مواد هذه الصور ، غير أنها تخففت كثيرا من صور الدهر المتخّذة من الصحراء وحيواناتها . فتخفّفت من الدهر الصائد وأبدلت هذا الدهر الفارس . وكادت تختفي صورة الدهر الحيوان .

ولم يأنف الشعراء الاسلاميون من أن يروا الدهر صورة محمودة جميلة ، فجاء الدهر سعيدا مسعدا في بعض هذه الصور ، وسجّل الشعراء الاسلاميون ، اللحظات الرغيدة من عيشهم حامدين شاكرين مجيء الدهر بالمطاوعة واليسر .

- وجاءت صور الدهر في حالتها الحركية ، ولم تأت جامدة ساكنة شأنها في ذلك شأن صور الدهر في الشعر الجاهلي ، وهذا ليس غريبا والدهر متصل سَيْره حثيث سعيه (٢) .

- لم يكن الشعراء الاسلاميون قد التفتوا طويلا الى تفاصيل صورة الدهر ولم يهتموا في تتبّع دقائقها ، فتكرر الدهر في صور كثيرة تكرارا لا يميز مذاهب الشعراء ولا طبائعهم في غالب هذه الصور .

- وكانت أغلب صور الدهر في الشعر الاسلامي تأتي في حالة جرّ " الدهر " باضافة الدهر الى " الريب " أو الصرْف " أو " النوائب " أو " الحوادث " .

---

(١) انظر مثلا : ديوان الكميت بن زيد الاسدى ، ٦٤/٢ . شعر الأشهب بن رُمَيْلة : مجلة المورد ، مج ٢٦ ، ع ٢ ، ١٩٩٧ .
ديوان الراعي النميري : ٢٢٠ .

(٢) انظر في هذه الصور : الافعال المضارعة التي أسندها الشاعر الاسلامي للدهر والصيغ التي جاءت بها هذه الصور كصيغة " اذا ما " " اذ ... " " وان يكن " ...
وقد وضّحت هذا في فصل " صورة الدهر في الشعر الجاهلي " أيضا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـذا يذكّـر بالدراسـة التـي قـام بهـا محمـد الخولـي ودلّـل فيهـا على أن أشيـع حالـة للاسـم فـي اللغـة العربيـة هـي حالـة الجـرّ اذ بلغـت الاسـماء المجـرورة ٦٥٪ مـن جميـع الاسـماء .

(١) أنظـر معجـم علـم اللغـة النظـري " الحالـة الشائعـة "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمـــــــة

خرجـت الدراســة الــى نتائـج أُثبـتُ أهمّهـــا :

- توكّـد الدراسـة أنــه لا بأس مــن أن يتحلّــى الدهــر بالصـدق والموضوعيّـة فـي أبحـاث العلمـاء والمؤرخيـن . ولكــن هــذا ليــس مــن المهـم فـي الشعـر ، فانــه وان جـرى الشعـــراء حينـا على مـا جـرى عليـه المؤرّخـون والعلمـاء باعتبـار الدهـر تعاقـب الأيّـام والليالـــي، ومضـيّ الوقـت وتتابعــه فـان الهـوّة تبـدو واسعـة ، والشقـة فسيحـة بيــن مـا يتصـل بهـــذا الدهـر ـ الظاهـرة الفلكيـة ـ وبيـن ما يُحمّلـه الشعـراء ـ الجاهليّـون خاصـة ـ مـن معـــان ومهـام ينـوء بهـا وتثقـل عليـه ممـا هـو متصـل بـذوق هؤلاء الشعـراء وخبراتهـم ، بـل لعـلّ الدهـر أقـرب إلـى أن يُـدرك بِحَـدْس خـاص لـدى كـل انسـان وبوحْـي مـن صلابـة ذات هـــذا الانســان أو ليونتهـا يتشكّـل الدهـر فـي معـان حسّيـة تكشـف معنـى الدهـر ومفهومـــه ، وتعلـن صورتـه .

وقـد رأى الشـعـراء الجاهليـون الدهـر بوحْـي مـن ذواتهـم ، وذهبـوا فيـه كـل مذهـب ســـوء، وغلّفـوه بغـلاف المـوت ، وكـادوا يحصرونـه فـي الشقـاء ويُوقفونـه عليـه .

- وقـد رأت الدراسـة أن الجاهلـي ذهـب هـذا المذهـب مـن وحْـي تقسّـم المـــوت والحيـاة بيـن آلهـة متعـددة فـي الفكـر الجاهلـي ، فالجاهلـي يجعـل للـه الخلـق والرزق، ولكنه وكمـا يخبـر القرآن الكريـم يُنكـر ملـك المـوت وقبضـة الأرواح المُوكليـن بقبـض أرواح الذيـــن انتهـت آجالهـم حسـب مـا قـدّر اللـه وقضـى . ولعـلّ الجاهلـي وجـد راحـة فـي أن يركـن الـى الدهـر أنـه هـو المُهلـك والمفـرّق والمفسـد .

- والشاعـر الجاهلـي فـي تصويـره الدهـر يكشـف عـن هيئـة الدهـر المثقلـة بمعانـي الافتـراس والشـدة والطيش ، والقـوة غيـر المحكّمـة ، فيظهـر الدهـر ينـال القـوم قسـرا وجبـرا ويعتلي حياضهـم ، ويختلـس حياتهـم وقوّتهـم ، وهـذا مـن زعـم الجاهلييـن أن مـرور الأيـــام والليالـي هـو المؤثـر فـي هـلاك الانفس،ووصفهـم الانسـان والحيـوان بالضعـف أمـام قـــوّة الدهـر القـادرة ، وكأنـي بالشاعـر الجاهلـي يجـد مـن هـذا الزعْـم مهـادا يركـز بـه أخيلتـــه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في " الدهر " ويدعم صوره فيه .

ويُسند الشاعر المكروه للدهر على أنه فاعلها والقائم بها .

- يتغذّى الدهر بمفهوم السلطة والمُلك في الشعر الجاهلي .
- يتصل الدهر " بالمنون " في غاية مشتركة وهي المنيّة ، ووُجد من النصوص الشعرية الجاهلية من يُقابل مقابلة صريحة بين فعل المنون وفعل الدهر في تقدير الموت على الانسان .
- تتبين علاقة المكان بالدهر في الشعر الجاهلي في أمرين : علاقة الدهر بالجبال ، وعلاقة الدهر بالطلل ؛ اذ يظهر الانسان يموت ويبلى وتغتاله الأيام وتبقى الجبال بعده لا تتغيّر ؛ وفي الحديث عن الطلل يُفضي الشعراء بالدهر الى مشارف وعرة ، تختزل الدهر ليكون الماضي الذى تخلّف وحسب، ولا ينتبهون الى أن هذا الدهر ممتد قد تحدث فيه أشياء تمرّ ويعود الطلل مسرحا للحياة ثانية ، ولكن الشاعر الجاهلي يأبى الاّ ان يربط الموت بالطلل .
- تتبيّن علاقة الدهر بالمظاهر الطبيعية في الشعر الجاهلي في الاشارة الى تقلّب حركة المرء على الارض وارتباط هذا التقلّب بحركة الأجرام السماوية وهذا مرتبط بحركة الدهر ـ أي : ارتباط الدهر والانسان بحركة السماء ـ وتظهر علاقة الدهر بالمطر والرياح حميمة في العمل على افساد الديار والعودة عليها بالبلى والدمار .
- تكشف الدراسة عن الرؤية المجازية لأسماء الدهر ، فتُعرّف ان هذه الأسماء أُتخذت من القهر والاستبداد الى جانب صفات القوة والجبروت .
- يظهر الدهر في صور كثيرة تُبيّن بجلاء نظرة الشعراء الجاهليين للدهر، وفي هذه الصور يُغرق الشعراء في وصف أعمال الدهر واسناد الأفعال المكروه اليه دون تأول ودون استخدام الوسائل البلاغية في غالب هذه الصور . فلا يُوحي مجيء هذه الصور أنها صور مجازية ، ومن هذه صورة الدهر الانسان ذى القوّة الباطشة غير الحكيمة ، وصورة الدهر الحيوان شديد الافتراس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــذي يغشـــى النـــاس بنابـــه وكَلْكَلـــه ·

فيما يخص الدهر في القرآن الكريم والسنة الشريفة فقد رأت الدراسة أن القرآن الكريم يفيض في الحديث عن الدهر مفهوما رياضيا "فلكيا". وتركّز آيات القرآن الكريم على أن اختلاف الليل والنهار هو بيد الله الحكيم القادر مما يشي بأن رؤية مختلفة كانت تتمثّل تعاقب الليل والنهار ، وينفي القرآن أي امتياز جاهلي للدهر ·

تتابع السنة الشريفة نصوص القران في الحثّ على استغلال أيام الدهر وتُذهِب عن الدهر امتيازاته الوثنية ، وتذكر الدراسة الاحاديث النبوية في الدهر وتأويلاتها وتوجيه مأخذها على المجاز ·

تؤكد الدراسة أثر الاسلام في حمل الشعراء على أفق واسع وسيره بهم في مسارب جديدة تغنيهم عن الرسوف في أغلال القول القديم من التبرم بالدهر والشعور بعبثية الحياة وقصور الحكمة في الحياة والموت ، وأنه أضحى بالشعراء وهم يغذّون السير نحو عالم أكثر انطلاقا ورحابة ، على أن هذا لا ينسحب على الشعراء الاسلاميين جميعهم،فثمة فئات منهم لم تتمثّل القيم " الاسلامية ولم تتواصل معها في أشعارها ، وقد أدركت فئات من الشعراء الاسلام وقد اكتمل فنّها الشعري ، فلم ترض بديلا عن المبالغة التي اعتادتها سواء في قولها في الدهر أو غيره ، وهذه المبالغة مما يصل بمضمون أشعارها في الدهر الى مرتبة لا يرتضيها الاسلام وتتجاوز المطلوب من المسلم كبعض شعراء " المشوبات " ، وبعض الشعراء المعمّرين ، والأخطل · وقد ضاقت دائرة الصراحة على الشاعر الاسلامي حين أخذ يُحيل الفعل الذى يقع به الى الدهر،وقد إنتقلت دائرة الارادة من الدهر الى الله فأصبح من التجوّز أن يقول الشاعر الاسلامي في الدهر المُهلك والمفسد · وكان هذا القول نتاجا من الروح الانسانية التي تأبى إلا أنْ تحيل الى القوى الغيبيّة·

تتسم علاقة الدهر بالانسان في الشعر الاسلامي بطابع ضغط أحداث الحياة واشتداد وطأتها وصراع الانسان مع هذه الاحداث فيتبين ان الدهر يتغيّر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالناس ويعثر بهم ، وربما قال الشعراء الاسلاميون بالدهر المهلك الذى يفرّق الجموع ، ولكن قولهم هذا محمول على المجاز بما نعلم من أحوالهم وايمانهم بالله وان أتى الدهر مفنيا ومفرّقا ومقلّبا .

- يتغذّى الدهر بمفهوم السلطة ويرمز للحالة السياسية وما عليه أمر السلطان في النادر من الشعر الأموي في الدهر .

- تظهر علاقة الدهر بالمكان في الشعر الاسلامي دون أن تحمل القيم الجاهلية نفسها التي حملها الدهر فيّ الشعر الجاهلي ، والشعراء الاسلاميون يُزْرُون على الدهر في تغيّره ونقضه عهد من يحبونهم أيام السعد ، فالدهر بدّل السعادة شقاء.وعمل على تعفية الديار وخلائها من أهلها .

أما الجبال فلا يلتفت الشاعر الاسلامي اليها التفاتة الشاعر الجاهلي ، وانما أتى بها في تعبيره عن شدّة كربه وعظيم رزئه .

- لا تظهر علاقة الدهر بالمظاهر الطبيعية الا فيما يختص بتعاون الدهر والرياح والمطر في درس الديار وانداثار المنازل ، في تعابير موْروثة تجرى على سُنَّة الاقتباس من الشعر الجاهلي .

- ينزع الشعر الاسلامي الذى قيل في الدهر منزعا تأمليا لا تُرى فيه الصورة الا في لُمع قليلة ، وهي صور مستوحاة مما جرى عليه شعر الدهر في العصرالجاهلي ولعلّ هذا راجع الى ضعف مهاد الدهر الوثني في نفوس الشعراء ، هذا المهاد الذى جعل من صورة الدهر صورة قوية ومميزة في الشعر الجاهلي . والشاعر الاسلامي وان اعتمد النشاط الذهني والخيالي للشعر الجاهلي في الدهر على أنه لا قدرة بنا ان نظن أن صور الدهر في الشعر الاسلامي جاءت من اعتقاد حقيقي بفعل الدهر كما هو في الشعر الجاهلي لما نعلمه من ايمان الشعراء بالله مالك الموت والحياة .

- أمكن الشعراء الاسلاميون تقديم الدهر في صور سويّة الاداء تدل على تملّك الشاعر الاسلامي للصورة ، ويظهر هذا في انتزاع صورة الدهر الجاهلية من علاقاتها القديمة في بعض الشعر الاسلامي - ودمجها بوصْفها أجزاء في صور جديدة ذات قيم جديدة وهذه الجدّة تأتي من تأثر هؤلاء الشعراء بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الشريفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ان ملامح خاصة تتمثل عن صور الدهر في الشعر الاسلامي مما هو مألوف في الشعر الجاهلي ، مما يضاعف جدّة هذه الصور ، ويقوّيها.ويأتي الدهر في الشعر الاسلامي كما لم يأت من قبل جدّة وابتكارا في صورة شجرة وارفة الظلال ، وصورة انسان تطاوع باليسر والتيسير .

- والخاتمة إذ تؤكد نتائج الدراسة لا تُغفل أن الدهر ظاهرة فلكية تتأثر بمؤثّرات شتّى ، ومن أيسر الامور أن يتجادل الناس في الدهر وأن تتوزعهم الأهواء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠١ ابن جنـــــي : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ٣٩٢ هـ
الخصائـــص
تحقيق محمد علي النجار
بيـروت / دار الهدى ، ط ٢ ١٩٥٢٠

٠٢ ابن الجوزى : أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزى ٥٩٧ هـ
زاد المسير في علم التفسير
دمشق / المكتب الاسلامي ، ط ١ ١٩٦٥م٠

٠٣ ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي ٨٥٢ هـ
فتح البارى في شرح صحيح البخارى
تحقيق عبدالعزيز عبدالله بن باز
بيروت / دار المعرفة ١٣٩ هـ

٠٤ ابن حـــزم : علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ٤٥٦ هـ
المحلّى طبع باعتناء / أحمد محمد شاكر
تحقيق لجنة احياء التراث العربي
بيروت / دار الآفاق الجديـــدة (د٠ت)٠

٠٥ ابن دريـــد : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى ٣٢١ هـ
جمهـــرة اللغـــة
بغـداد / مكتبة المثنى (د٠ت)١

٠٦ ابن الشجـــرى : أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد ٥٤٢ هـ
الحماســـة الشجرية
تحقيق عبدالمغني الملوحي وأسماء الحمصي
دمشق / وزارة الثقافة ١٩٧٠م

٠٧ ابن فـــارس : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥ هـ
معجم مقاييس اللغـــة
تحقيق عبدالسلام هارون
بيـــروت / دار الفكر ١٩٧٩م٠

٠٨ ابن فـــورك : أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الانصارى ٤٠٦ هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مشكل الحديث وبيانـــه
القاهرة / دار الكتب الحديثة ١٩٧٩م

٠٩ ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦ هـ
- الشعر والشعراء
تحقيق أحمد محمد شاكر
مصر / دار المعارف ١٩٦٩م

- تأويل مختلف الحديـــث
صحّحه وضبطه محمد زهرى النجـــار
بيروت / دار الجليل ١٩٧٣م٠

٠١٠ ابن كثيّـــر : أبو الفداء اسماعيل بن كثيّـــر ٧٧٤ هـ
تفسير القرآن العظيم
القاهرة / مطبعة مصطفى البابي الحلبي
دار احياء الكتب العربية (د٠ت)

٠١١ ابن الكلبـــي : أبو المنذر هشام بن محمد بن الســائب ٢٠٤ هـ
الأصنـــــام
تحقيق أحمـــد زكـــي
القاهـرة / مطبعة الدار القومية ١٩٦٥م

٠١٢ ابن المبارك : أبو غالب ميمون محمد بن المبارك ٥٩٧ هـ
- منتهى الطلب من أشعار العرب (مخطوط)
معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، فؤاد سركيس
المجلد الاول ١٩٨٦م
- قصائد نادرة من منتهى الطلب
تحقيق يحيى الجبورى
مجلة المورد / بغداد / المجلد ٨/ العدد ٤

٠١٣ ابن منظـــور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ٧١١ هـ
لسان العـــرب
بيروت / دار صادر ، ط ١ (د٠ت)

٠١٤ أبو الأسود الدؤلي : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل
ديوانـــه
تحقيق محمد حسن آل ياسين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بغداد / مطبعة المعارف ١٩٦٤م٠

٠١٥ أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي ٢٣١ هـ
الوحشيات (الحماسة الصغرى)
تحقيق عبدالعزيز الميمني
القاهرة / دار المعارف ١٩٦٣م٠

٠١٦ أبو حيّان : أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي المعروف بابن حيّان ٧٥٤ هـ
البحر المحيط
مصر / مطبعة السعادة ط١ ، ١٣٢٩ هـ

٠١٧ أبو زبيد الطائي : حرملة بن المنذر
شعره
جمع نوري حمودي القيسي
بغداد / مطبعة المعارف ١٩٦٧م

٠١٨ أبو السعود : أبو السعود محمد بن محمد العمادي ٩٥١ هـ
تفسير أبي السعود ، ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم
بيروت / دار احياء التراث العربي ١٩٨٠م

٠١٩ أبو عبيدة : معمّر بن المثنى ٢٠٩ هـ
أيام العرب قبل الاسلام
جمع ودراسة وتحقيق د٠ عادل جاسم البياتي
بغداد / دار الجاحظ ١٩٧٦م

٠٢٠ أبو علي القالي : اسماعيل بن القاسم بن عيذون ٣٥٦ هـ
الأمالي
بيروت / دار الآفاق الجديدة ١٩٨٠م

٠٢١ أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين ٣٥٦ هـ
الأغاني
بيروت / دار احياء التراث العربي ١٩٦٣م

٠٢٢ أبو هلال العسكري : الحسن بن عبدالله بن سهل بعد ٣٩٥ هـ
الفرق في اللغة
بيروت / دار الآفاق الجديدة ، ط ٣ ١٩٧٨م

٠٢٣ إحسان عبّاس : احسان عبّاس
نصان جديدان عن الدين في الجاهلية
مجلة الاداب الجامعة الامريكية
بيروت / العدد ٠٢٦

٠٢٤ أحمد شمس الدين : أحمد شمس الدين حجاجي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسطورة والشعر العربي
مجلة فصول ، المجلد ٤ / العدد ٢/ ١٩٨٤م.

٠٢٥ الأحوص الأنصاري : عبدالله بن محمد بن عبدالله الأوسي
شعره
جمع وتحقيق د. إبراهيم السامرائي
بغداد / مكتبة الأندلس ١٩٦٩م

٠٢٦ الأخطل : أبو مالك غياث بن غوث التغلبي ٩٠ هـ
شعره (صنعة السكري روايته عن ابن حبيب)
تحقيق فخر الدين قباوة
حلب / دار الأصمعي ط ١ ، ١٩٧١ م

٠٢٧ الأخفش الأصغر : أبو المحاسن علي بن سليمان ٣١٥ هـ
كتاب الاختيارين
تحقيق فخر الدين قباوة
بيروت / مؤسسة الرسالة ط ٢ ، ١٩٨٤م.

٠٢٨ الأشهب بن رُمَيْلة : الأشهب بن رميلة
شعره
جمع وتحقيق نوري حمودي القيسي
مجلة معهد المخطوطات العربية
الكويت / المجلد الاول / الجزء الاول ١٩٨٢م.

٠٢٩ الأصفهاني : أبو بكر محمد بن داود بن علي ٢٩٧ هـ
الزَّهْرَة
تحقيق د. ابراهيم السامرائي
الزرقاء / مكتبة المنار ، ١٩٨٥م.

٠٣٠ الأصمعي : أبو سعيد عبدالملك بن قريب ، ٢١٦ هـ
الأصمعيات
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون
القاهرة / دار المعارف ١٩٦٤م

٠٣١ الأعشى الكبير : أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل ٧ هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديوانـــــه
تحقيق د٠ محمـد محمـد حسيـن
بيروت / دار النـهضة ١٩٧٤م٠

٠٣٢ الأعلم الشنتمـريّ : يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي ٤٧٦ هـ
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين
تحقيق احمد عبدالمنعم خفاجـي
القاهرة / مطبعة المشهد الحسيني ١٩٦٣م٠
- شعر زهير بن أبي سلمى صنعه الاعلم الشنتمرى
تحقيق فخر الدين قباوة
بيروت / دار الآفاق الجديدة ط٣ ، ١٩٨٠م٠

٠٣٣ الآلوسي الكبير : شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبدالله ١٢٧٠هـ
روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني
بيروت / دار احياء التراث العربي (د٠ت)

٠٣٤ امرؤ القيس : جندح بن حجر ٨٠ ق٠ هـ
ديوانـــــه
تحقيق د٠ محمد أبو الفضل ابراهيم
القاهرة / دار المعارف ١٩٥٨م

٠٣٥ أميّة بن ابي الصلت : أمية بن عبدالله ٥ هـ
ديوانـه
تحقيق د٠ بهجت عبدالغفور الحديثـي
بغداد / مطبعة المعانـي ط ١ ١٩٧٥م

٠٣٦ الأنباري : أبو بكر محمد بن القاسم ٣٢٨ هـ
شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات
تحقيق وتعليق عبدالسلام هارون
القاهرة / دار المعارف ١٩٦٢م٠

٠٣٧ أوس بن حجر : أوس بن حجر
شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليـن
تحقيق د٠ محمود عبدالله الجادر
بغداد / مطبعة دار الرسالة ١٩٧٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٣٨ الأيجـي : محمد بن عبدالرحمن الحسني الشافعـي ٩٠٥هـ
جامع البيان في تفسير القرآن
تحقيـق منيـر أحمـد
الباكستـان / كوجر أنواله ، دار نشر الكتب الاسلامية
(د٠ت)

٠٣٩ البحتـري : أبو عبادة الوليـد بن عبيـد ٢٧٤ هـ
حماسـة البحتـري
تحقيق لويس شيخـو
بيروت / دار الكتاب العربي ١٩٦٧م٠

٠٤٠ بشر بن أبي خازم : بشر بن أبي خازم الأسـدى
ديوانـه
تحقيق د٠ عزة حسـن
دمشق / منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٧٢م

٠٤١ البصـري : صدر الدين أبو الحسن علي بن ابي الفرج البصرى ٦٥٩ هـ
الحماسة البصريـة
تحقيق د٠ عادل جماه سليمان
دار احياء التراث الاسلامـي (د٠ت)

٠٤٢ البغـوي : البغـوى أبو محمد بن سعود ٥١٦ هـ
معالم التنزيـل
تحقيق خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار
بيروت / دار المعرفة ط٩ ١٩٨٦م

٠٤٣ البقاعـي : برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بـن عمر ٨٨٥ هـ
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور
الهند / حيد آباد / دائرة المعارف العثمانية ط١، ١٩٨٠م

٠٤٤ البيضـاوي : ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بـن عمـر ٦٨٥ هـ
تفسير البيضاوي " أنوار التنزيل وأسرار التأويل "
القاهرة / شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
ط٢ ، ١٩٦٨م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٤٥ البيهقي : البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين ٤٥٨ هـ
الآداب
دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا
بيروت / دار الكتب العلمية ١٩٨٦م٠

٠٤٦ تأبط شرا : ثابت بن جابر بن سفيان نحو ٨٠ ق٠هـ
ديوانه
جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر
دار المغرب الاسلامي ط ١ ١٩٨٤م٠

٠٤٧ التبريزي : أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد ٥٠٢ هـ
شرح القصائد العشر
تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد
مصر / مكتبة محمد علي صبيح ط ١ ١٩٦٢م٠

٠٤٨ تميم بن مقبل : تميم بن مقبل
ديوانه
تحقيق د٠ عزة حسن
دمشق / منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦٢م

٠٤٩ التهانوي : محمد علي بن علي التهانوى (القرن ١٢ هـ)
كشاف اصطلاحات الفنون
مطبعة اقدام بدار الخلافة العلمية ١٣١٧ هـ

٠٥٠ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ٢٥٥ هـ
- الحيوان
تحقيق وشرح عبدالسلام هارون
القاهرة / مكتبة الخانجي ١٩٨٨م
- البيان والتبيين
تحقيق عبدالسلام هارون
بيروت / المجمع العربي الاسلامي ١٩٤٨م

٠٥١ جران العود النميري : عامر بن الحارث النميرى
ديوانه
رواية ابي سعيد السكرى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاهرة / دار الكتب المصرية ط١ ١٩٣١م.

٠٥٢ الجرجاني : أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن ٤٧١ هـأو ٤٧٤هـ
أسرار البلاغة
تحقيق هـ. ريتر
استانبول / مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٤م.

٠٥٣ جرير : جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي (٦٤٠ - ٧٢٨ م)
ديوانه
شرح ابن حبيب
تحقيق نعمان محمد أمين
القاهرة / دار المعارف ط ١ ، ١٩٧١.

٠٥٤ جميل : جميل بن معمر
ديوان شعره
جمع د. حسين نصار
القاهرة / مكتبة مصر (د.ت)

٠٥٥ جواد علي : د. جواد علي
المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام
بيروت / دار العلم للملايين بالاشتراك مع دار النهضة بغداد ١٩٧٣م.

٠٥٦ الجوهري : أبو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي ٣٩٣ هـ
الصحاح " تاج اللغة وصحاح العربية
تحقيق احمد عبدالغفور عطار
بيروت / دار العلم للملايين ط ٢ ١٩٧٩م

٠٥٧ حاتم الطائي : أبو عَدِيّ حاتم القحطاني ٤٦ ق. هـ
ديوانه وأخباره
صنعه يحيى بن مدرك الطائي رواية هشام بن محمد الكلبي
دراسة وتحقيق عادل سليمان جمال
القاهرة / مطبعة المدني ١٩٠٠ م

٠٥٨ الحادرة : قطبة بن أوس بن محصن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديوان شعـــره
تحقيق د٠ ناصر الدين الأســـد
بيروت / دار صادر ١٩٨٠م

٠٥٩ الحارث المخزومي : الحارث بن خالـد المخزومي
شعـــــره
جمع وتحقيق د٠ يحيى الجبورى
النجف الأشـرف / مطبعة النعمان ط ١ ، ١٩٧٢م

٠٦٠ حسام الدين الآلوسي : حسام الدين الآلوســي
الزمان في الفكر الدينـي والفلسفـي القديـم
بيروت / المؤسسة العربية للدراسات والنشـر ١٩٨٠م

٠٦١ حسّان الانصاري : حسان بن ثابت الانصارى
ديوانه
تحقيق وليد عرفـات
بيروت / دار صـادر ١٩٧٤م

٠٦٢ الحطيئة : جرول بن أوس بن مالك العبسي
ديوانه
شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني
تحقيق نعمان محمد أمين طه
القاهرة / مكتبة مصطفى البابي الحلبي ط ٢ ١٩٥٨م

٠٦٣ حميد الهلالـي : حميد بن ثور الهلالي
ديوانه
جمع عبدالعزيز الميمنـي
القاهرة / الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥م

٠٦٤ الخـــازن : علاء الدين علـي بن محمـد بـن ابراهيم البغـدادي المعروف بالخازن ٧٤١ هـ
تفسير الخازن المسمى " باب التأويل في معاني التنزيل "
بيروت / دار الفكر ، ط ١ (د٠ت)

٠٦٥ الخالديان : أبو بكر محمد بن هشام ٠ ٣٨ هـ/ وأبو عثمان سعيد بن هشام ٣٧١هـ وهما ابنا هاشـم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية
والمخضرمين المعروف بحماسة الخالديين ،
حققه د٠ محمد يوسف
القاهرة / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨م٠

٠٦٦ الخِرْنِق : الخرنق بنت بدر
ديوانها / رواية ابي عمرو بن العلاء
القاهرة / وزارة الثقافة مركز تحقيق التراث ونشرة ١٩٦٩م

٠٦٧ خفاف بن ندبة السُّلَمِيّ: خِفاف بن نَدْبَة السلمي
شعره
جمع وتحقيق نوري حمودي القيسي
بغداد / وزارة الاعلام ١٩٦٨م

٠٦٨ الخنساء : تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي ٢٤ هـ
ديوانها
تحقيق د٠ أنور أبو سويلم
عمان / ١٩٨٩م
- ديوان الخنساء
بيروت / طبعة دار صادر ١٩٦٣م

٠٦٩ دريد بن الصّمة : دريد بن الصمة
ديوانه
تحقيق محمد خير البقاعي
دمشق / ١٩٨١م٠

٠٧٠ ديوان الهذليين : ديوان الهذليين
نسخة مصوّرة عن دار الكتب المصرية / نشر الدار القومية
للطباعة والنشر
القاهرة / لجنة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦٥م

٠٧١ ذو الأُصبع العدواني : حَرْثان بن الحارث بن محرّث
ديوانه
جمعه وحققه عبدالوهاب العدواني ومحمد الدليمي
الموصل / مطبعة الجمهور ١٩٧٣م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٧٢ ذو الرُّمة : ذو الرّمة غيلان بن عقبة العَدوي ١٧٧ هـ
ديوانه
جمع وتحقيق د٠ عبدالله القدوس أبو صالح
دمشق / منشورات المجمع العلمي ١٩٧٢م٠

٠٧٣ الرازي : أبو عبدالله بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري ٦٠٦ هـ
التفسير الكبير المسمى "بمفاتيح الغيب "
طهران / دار الكتب العلمية ط ٢ (د٠ت)

٠٧٤ الراعي النُّميري : عبيد بن حصين بن معاوية ٩٠ هـ
شعر الراعي النميرى وأخباره
جمعه وقدم له وعلق عليه ناصر الحاني
دمشق / مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٩٦٤م

٠٧٥ ربيعة بن مقروم الضبي : ربيعة بن مقروم الضبّي
شعره
صنعة نوري حمودي القيسي
بغداد ، مكتبة المثنى ١٩٦٨م

٠٧٦ رضوان محمد النجار : د٠ رضوان محمد النجار
المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة
بغداد / مجلة معهد المخطوطات العربية / المجلد ٣٠
الجزء الثاني ١٩٨٦م٠

٠٧٧ الزِّبرقان : الزبرقان بن بدر ٤٥ هـ وعمرو بن الأهتم
شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم
دراسة وتحقيق د٠ سعود محمود عبدالجابر
بيروت / مؤسسة الرسالة ط١ ١٩٨٤م٠

٠٧٨ الزبيدي المرتضي : أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن الرزاق الحسيني ١٢٠٥ هـ
تاج العروس من جواهر القاموس
مصر / المطبعة الخيرية ط١ ١٣٠٧ هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٧٩ الزبير بن بكّار : الزبير بن بكّار
نسب قريش وأخبارها
تحقيق احمد محمد شاكر
لبنان / مكتبة الخياط (د٠ت)

٠٨٠ الزمخشري : محمود بن عمر الملقب بجار الله الزمخشري ٥٣٨ هـ
- أساس البلاغة / بيروت / دار الكتب العلمية (د٠ت)
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد
بيروت / دار الكتاب العربي ١٩٨٦م

٠٨١ زهير بن أبي سلمى : زهير بن أبي سلمى
شعره، صنعة الاعلم الشنتمرى ، يوسف بن سليمان ٤٧٦ هـ
تحقيق فخر الدين قباوة
بيروت / دار الآفاق الجديدة / ط ٣ ١٩٨٠م

٠٨٢ زيد الخيل الطائي : زيد الخيل الطائي (زيد بن مهلهل بن يزيد)
جمع وتحقيق نورى حمودى القيسي
النجف / مطبعة النعمان ١٩٦٨م

٠٨٣ السجستاني : أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي ٢٥٥ هـ
المعمّرون والوصايا
تحقيق عبدالمنعم عامر
القاهرة / دار احياء التراث العربي ١٩٦١م

٠٨٤ سلامة بن جندل : سلامة بن جندل بن عبد عمرو التميمي
:
ديوانه
تحقيق فخر الدين قباوة
حلب / المكتبة العربية ١٩٦٨م

٠٨٥ السيوطي : عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ
الدار المنثور في التفسير المأثور
عمان / اشراف ونشر دار الفكر ط ٢ ١٩٨٣م

٠٨٦ الشنفرى الأزدي : الشنفرى الأزدي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديوانه (ضمن مجموعة الطرائف الادبية)
تحقيق عبدالعزيز الميمني
القاهرة / ١٩٣٧م

٠٨٧ شوقي ضيف : شوقي ضيف
العصر الجاهلي
القاهرة / دار المعارف ١٩٨٢م

٠٨٨ شوقي عبدالحكيم : شوقي عبدالحكيم
الفولكلور والاساطير العربية
بيروت / دار ابن خلدون ط ٢ ١٩٨٢م

٠٨٩ الشوكاني : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ١٢٥٠ هـ
فتح القدير
بيروت / دار المعرفة (د٠ت)

٠٩٠ الصاغاني : رضي الدين أبو الفضائل حسن بن محمد بن حسن ٦٥٠ هـ
التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية
تحقيق عبدالعليم الطماوي وآخرون
القاهرة / دار الكتب ١٩٧٩م٠

٠٩١ ضمرة بن ضمرة : ضمرة بن ضمرة النهشلي
شعره
جمع وتحقيق هاشم طه شلاش
بغداد / مجلة المورد / مجلد ١٠ / العدد ٢ /١٩٨١م

٠٩٢ الطبري : أبو جعفر بن جرير بن يزيد (٣١٠هـ)
تفسير الطبرى جامع البيان عن تأويل آى القرآن
تحقيق محمود محمد شاكر
القاهرة / دار المعارف ١٩٦٩م٠

٠٩٣ طرفة بن العبد : طرفة بن العبد
ديوانه
تحقيق وتحليل ونقد علي الجندي
القاهرة / المكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٥م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٩٤ الطرمّاح : الطرماح بن حكيم الطائي نحو ١٢٥ هـ
ديوانه
تحقيق عزة حسن
دمشق / وزارة الثقافة ١٩٦٨م

٠٩٥ طريح الثقفي : طريح بن اسماعيل الثقفي
شعره
جمع د٠ بدر أحمد ضيف
الاسكندرية / دار المعرفة الجامعية ١٩٨٧م٠

٠٩٦ الطفيل الغَنَوي : طفيل بن عوف / نحو ١٣ ق٠ هـ
ديوانه
تحقيق محمد عبدالقادر احمد
القاهرة / دار النهضة المصرية ١٩٨٣م

٠٩٧ عادل البيّاتي : شعر الحارث بن ظالم المُرّي
مجلة كلية الاداب
جامعة بغداد / العدد ١٥

٠٩٨ عالم الفكر : عالم الفكر
مجلة عالم الفكر (الكويتية)
العدد خاص بالزمن / العدد ٢ لسنة ١٩٧٧م

٠٩٩ عامر بن الطفيل : عامر بن الطفيل ١١ هـ
ديوانه
رواية ابي بكر محمد بن القاسم الانباري عن أبي العباس أحمد
بن يحي ثعلب
تقديم كرم البستاني
دار صادر ١٩٧٩م

٠١٠٠ العباس بن مرداس : العباس بن مرداس
ديوانه
جمع وتحقيق يحيى الجبوري
بغداد / وزارة الاعلام دار الجمهورية ١٩٦٨م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠١٠ عبدالاله الصائغ : عبدالاله الصائغ
الزمن عند الشعراء العرب في مرحلة ما قبل الاسلام
بغداد / دار الرشيد ١٩٨٢م

١٠٢٠ عبدة بن الطبيب : عبدة بن الطبيب
شعره
جمع وتحقيق د٠ يحيى الجبورى
بغداد / دار التربية ١٩٧١م

١٠٣٠ عبدالجبار المطلبي : د٠ عبدالجبار المطلبي
قصة ثور الوحش وتفسير وجودها في الشعر الجاهلي
مجلة كلية الاداب / جامعة بغداد عدد ١٢ / ١٩٦٩م

١٠٤٠ عبدالحميد محمود : عبدالحميد محمود المعيني
شعر بني تميم في العصر الجاهلي
بريدة-نادي القصيم الادبي ١٩٨٢م

١٠٥٠ عبدالعزيز طشطوش : عبدالعزيز محمد موسى طشطوش
الزمن في الشعر الجاهلي (ر٠ ج)
اشراف د٠ عبدالقادر الرّباعيّ
إربد / جامعة اليرموك ١٩٨٣م

١٠٦٠ عبدالله بن رواحة : عبدالله بن رواحة الانصارى الخزرجي ٨ هـ
ديوانه (ودراسة في شعره وسيرته)
د٠ وليد قصاب
عمان / دار الضياء ط٢ ١٩٨٨م٠

١٠٧٠ عبدالله بن الزّبعرى : عبدالله بن الزبعرى
ديوانه ط ٢
تحقيق يحيى الجبورى
بيروت / مؤسسة الرسالة ١٩٨١م

١٠٨٠ عبيد بن الأبرص : عبيد بن الأبرص
ديوانه
تحقيق حسين نصار
القاهرة / مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٧م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠١٠٩ عبيد الله الرقيات : عبيدالله بن قيس الرقيات
ديوان شعره
تحقيق وشرح د٠ محمد يوسف نجم
بيروت / دار بيروت / دار صادر ١٩٥٨م

٠١١٠ العُجَيْر السَلولي : عمير بن عبيد الله بن عبيد بن سلول
شعره
صنعة محمد نايف الدليمي
مجلة المورد / المجلد ٨ / العدد ١ / ١٩٧٩م

٠١١١ عدي بن الرقاع العاملي : عدي بن زيد بن مالك ١٠١ هـ
ديوان شعره
تحقيق د٠ نورى حمودى القيسي
بغداد / المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧م / نسخة مصوّرة

٠١١٢ عدي بن زيد العبادي : عدي بن زيد العبادي
ديوانه
تحقيق محمد جبار المعيبد
بغداد / مطبعة الجمهورية / وزارة الاعلام ١٩٦٥م

٠١١٣ العَرْجي : عبدالله بن عمر الأموى
ديوانه (رواية أبي الفتح عثمان بن جني ٣٩٢ هـ
تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدى
بغداد / الشركة الاسلامية للطباعة والنشر ط١ ١٩٥٦م

٠١١٤ عروة بن الورد : عروة بن الوَرْد
ديوانه (طبع مع ديوان السموأل بن عادياء
تحقيق وشرح كرم البستاني
بيروت / دار صادر ١٩٥٣م

٠١١٥ علقمة الفحل : ابن عبده بن النعمان بن ناشرة بن قيس
ديوانه (شرح ابي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالاعلم الشنتمري)
حققه لطفي الصقال ودريّة الخطيب
راجعه فخر الدين قباوة
حلب / دار الكتاب العربي ١٩٦٩م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠١١٦ علي البطل : د٠ علي البطل
الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجرى
بيروت / دار الاندلس ١٩٨٠م٠

٠١١٧ عمرو بن أحمر الباهلي : عمرو بن أحمر الباهلي
شعره
جمع وتحقيق د٠ حسين عطوان
دمشق مجمع اللغة العربية (د٠ت)

٠١١٨ عمرو بن شأس الأسدي : عمرو بن شأس الأسدى
شعره
جمع وتحقيق د٠ يحيى الجبورى
النجف الأشرف / مطبعة الآداب ١٩٧٦م٠

٠١١٩ عمرو بن قميئة : عمرو بن قميئة
ديوانه
تحقيق حسن كامل الصيرفي
القاهرة / معهد المخطوطات العربية ١٩٦٥م٠

٠١٢٠ عمرو بن معد يكرب : عمرو بن معد يكرى الزبيدى
ديوانه
تحقيق هاشم الطعّان
بغداد - وزارة الثقافة والاعلام (د٠ت)

٠١٢١ عنترة بن شدّاد : عنترة بن شداد بن عمرو
ديوانه
تحقيق محمد سعيد مولوى
دمشق / المكتب الاسلامي ١٩٧٠م

٠١٢٢ فاطمة محجوب : فاطمة محجوب
قضيّة الزمن في الشعر العربي
دار المعارف بمصر ١٩٨٠م

٠١٢٣ الفرزدق : أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة ١١٠هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديوانـــه
اعتنـــاء علي الفاعـور
بيروت / دار الكتب العلمية ١٩٨٧م

٠١٢٤ الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ٨١٧ هـ
- القاموس المحيـــط
بيروت / دار الفكر ١٩٧٨م
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز
بيروت / المكتبة العلمية (د٠ت)

٠١٢٥ القرشـي : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ٣١٠هـ
" من رواة الشعر في القرن الرابع الهجرى "
جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام
تحقيق علي البجاوي
مصر / مطبعة لجنة البيان العربية / دار نهضة مصر ط ١
١٩٦٧م

٠١٢٦ القرطبي : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر ٦٧١ هـ
تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن
تصحيح أحمد عبدالعليم البروني
بيروت / دار الكتاب العربي ط٣ ١٩٦٧م٠

٠١٢٧ القطامـي : عمير بن شييم بن عمرو نحو ١٣٠ هـ
ديوانه
تحقيق د٠ ابراهيم السامرائي و د٠ احمد مطلوب
بيروت / دار الثقافة ط ١ ١٩٦٠م٠

٠١٢٨ قيس بن الخطيم : قيس بن الخطيم
ديوانه (رواية ابن السكيت وغيره)
تحقيق د٠ ناصر الدين الأســد
القاهرة / دار العروبة ط ١ ١٩٦٢م

٠١٢٩ قيس بن زهير : قيس بن زهير
شعره
تحقيق عادل جاسم البياتي
النجف الأشرف / مطبعة الآداب ١٩٧١م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣٠٠ كثيّر عـزّة : كثيّر بن عبدالرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي ١٠٥ هـ
ديوانـــه
جمع وشرح د٠ إحسان عباس
نشر دار الثقافة / بيروت ١٩٧١م٠

١٣١٠ كعب بن زهير : كعب بن زهير
ديوانـــه
صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله السكرى
نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب ١٩٥٠م
نشر الدار القومية للطباعة والنشر / وزارة الثقافة والارشاد
القومي في الجمهورية العربية المتحـــدة٠

١٣٢٠ كعب بن مالك الانصاريّ : كعب بن مالك بن عمر الأنصاري ٥٠ هـ
ديوانـــه
تحقيق د٠ سامي مكي العاني
بغداد / مكتبة النهضة ١٩٦٦م

١٣٣٠ الكميت بن زيد الاسديّ: الكميت بن زيد بن قيس الأسدي
شعـــره
جمع وتقديم د٠ داود سلوم
بغداد / مكتبة الاندلس ١٩٦٩م

١٣٤٠ لبيد العامريّ : لبيد بن ربيعة بن مالك
ديوانـــه
تحقيق د٠ احسان عباس
بيروت / دار صادر ١٩٦٦٠

١٣٥٠ لقيط بن يعمر الأياديّ : لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي
ديوانـــه
تحقيق خليل العطية
بغداد / وزارة الاعلام ١٩٧٠م

١٣٦٠ ليلى الأخيلية : ليلى الأخيلية
: ديوانها
عني بتحقيقه وجمعه خليل ابراهيم العطية وجليل العطية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بغداد / دار الجمهورية ١٩٦٧م

١٣٧٠ المبـــرّد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر ٢٨٥ هـ
الكامل في اللغة والآداب والنحو والتصريف
بيروت / دار المعرفة ١٩٨٠م٠

١٣٨٠ المتلمس الضبعي : جرير بن عبدالمسيح ٥٠ ق٠هـ
ديوان شعره " رواية الأثرم وأبي عبيدة والاصمعي "
جمعه وحققه وعلق عليه حسن كامل الصيرفي
معهد المخطوطات العربية ١٩٧٠٠

١٣٩٠ المثقب العبدى : عائذ بن محصـــن
ديوان شعره
تحقيق حسن كامل الصيرفي
القاهرة / معهد المخطوطات العربية ١٩٧١م

١٤٠٠ مجنون ليلى : قيس بن الملوح بن مزاحم العامري
ديوانه
جمع وترتيب أبي بكر الوالبي
القاهرة / مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٩٠

١٤١٠ محمد محمد حسين : د٠ محمد محمد حسين
الهجاء والهجّاؤون في الشعر العربي وفي صدر الاسلام
القاهرة، / ، ١٩م

١٤٢٠ محمود المقداد : محمود المقداد
ديوان أشعار الموالي في العصر الأموي (ر٠ج)
تقدم بها الى جامعة دمشق وأشرف عليها د٠ موسى الباشا
١٩٨٢م٠

١٤٣٠ المرتضي : الشريف علي بن الحسن الموسوي العلوي ٤٣٦ هـ
أمالي المرتضي " غُرر الفوائد ودرَر القلائـد "
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
القاهرة / دار إحياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي
الحلبي وشركاه ١٩٥٤م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤٤٠ المرزوقيّ : أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ٤٢١ هـ
شرح الحماسة
تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون
القاهرة / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط١ ١٩٦٢م

١٤٥٠ مسكين الدارمي : ربيعة بن عامر
ديوانه
تحقيق د٠ عبدالله الجبوري وخليل ابراهيم العطية
بغداد / دار التربية ١٩٧٠م

١٤٦٠ مصطفى عبدالطيف : مصطفى عبداللطيف جياووك
الحياة والموت في الشعر الجاهلي
بغداد / منشورات وزارة الاعلام العراقية
دار الحرية / ١٩٧٧م

١٤٧٠ مصطفى ناصف : د٠ مصطفى ناصف
الصورة الأدبية
بيروت / مكتبة الأندلس ط ٣ ١٩٨٣م

١٤٨٠ المفضل الضبيّ : أبو العباس المفضل بن محمد بن عامر بن الضبّي ١٦٨ هـ
المفضليات
تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون
القاهرة / دار المعارف ١٩٥٢م٠

١٤٩٠ المهلهل التغلبيّ : المهلهل بن ربيعة التغلبي
حياته وشعره (ر٠ج)
دراسة وتحقيق نافع الراجحي
رسالة جامعية / الجامعة المستنصرية
اشراف د٠ نوري القيسي آذار ١٩٨٦م

١٥٠٠ نابغة بن شيبان : عبدالله بن المخارق بن سليم
ديوانه
القاهرة / دار الكتب المصرية ط ١ ١٩٣٢م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥١٠ النابغة الجعدي : النابغة الجعدي
شعر النابغة الجعدي
دمشق / منشورات المكتب الاسلامي ط ١ (د.ت)

١٥٢٠ النابغة الذبياني : زياد بن معاوية بن ضباب ١٨ ق.هـ
ديوانه
تحقيق د. محمد أبو الفضل ابراهيم
القاهرة / دار المعارف ١٩٧٧م
تحقيق د. شكري فيصل /بيروت /دار الفكر (د.ت)

١٥٣٠ ناصر الدين الأسد : د. ناصر الدين الأسد
مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية
القاهرة / دار المعارف ط ٢ ١٩٦٢م

١٥٤٠ النسفي : أحمد بن محمود النسفي ٧١٠هـ
مدارك التنزيل وحقائق التأويل /طُبع مع تفسير الخازن
عمان / دار الفكر (د.ت)

١٥٥٠ نصرت عبدالرحمن : د. نصرت عبد الرحمن
- المطر ومواضع وروده في جانب من الشعر الجاهلي
مجلة دراسات الجامعة الأردنية / مجلد ٦ / العدد ١
أيار ١٩٧٩م.
- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث
عمان / مكتبة الاقصى ط ٢ ١٩٨٢م
- الواقع والاسطورة في شعر أبي ذؤيب الجاهليّ
عمان / مكتبة الاقصى ط ٢ ١٩٨٤م.

١٥٦٠ النعمان الأنصاري : النعمان بن بشير الأنصارى
شعره
تحقيق د. يحيي الجبورى
بغداد / دار المعارف ١٩٦٨ م

١٥٧٠ النّمر بن تولب : النّمر بن تولب
شعره
صنعة نورى حمودى القيسي
بغداد / مطبعة المعارف ١٩٦٨م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠١٥٨ نوري حمودي القيسي : د٠ نورى حمودى القيسى
شعراء أمويون " القسم الثالث "
بغداد / مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٢م

٠١٥٩ نيلسون : ديتلف نيلسون
التاريخ العربي القديم (ترجمة فؤاد حسن)
- مصر- / ١٩٥٨م

٠١٦٠ هدبة العذري : هدبة بن الخشرم بن كرز العُذري
شعره
جمع وتحقيق د٠ يحيى الجبوري
دمشق / منشورات وزارة الثقافة والاعلام ١٩٧٦م

٠١٦١ الوليد بن يزيد : الوليد بن يزيد
شعره
جمعه وحققه د٠ حسين عطوان
عمان / مكتبة الأقصى ١٩٧٩م

٠١٦٢ يزيد بن الطثرية : يزيد بن الطثرية بن عبيد
شعره
دراسة وجمع وتحقيق ناصر بن سعد الرشيد
دار مكة ١٩٨٠م٠

٣٨٨٠٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

In comparison with the preislamic viewpoint, the islamic viewpoint maintains that the succession of night and day is under the control of God. It is stressed that time has no credit whatsoever. The islamic poetry considers time in relation to events, experiences and living conditions . In particular, the struggle between man and these events takes prominence. In the islamic poetry, the image of time is somewhat different from the preislamic image, in the sense that time has been accredited new values related to the islamic beliefs.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

"Time in Preislamic and Islamic Poetry"

Time has often been characterized by objectivity by scientists and historians . This study focuses not so much on the relationship between objectivity and time considered as succession of days and nights by historians and scientists, but on the concepts provided by poets who stressed the relationship between time and human experience . Preislamic poets had a special viewpoint about time in which the meaning of time was almost restricted to human misery and death.

This study has also highlighted the approach which the preislamic poets followed in explaining the relationship between time and life and death. For the preislamic poet, life and death are distributed among several gods. For example, creation and means of livelihood has been bestowed by god. He has nothing to do with death and bereavement. Obviously, the preislamic poet found consolation in time, as destructive element.

This study has shown the various images exploited by the preislamic poets in the description of time such as the image of time as the aggressive monstrous animal.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit